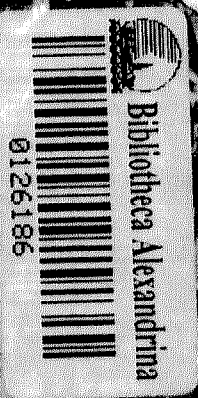
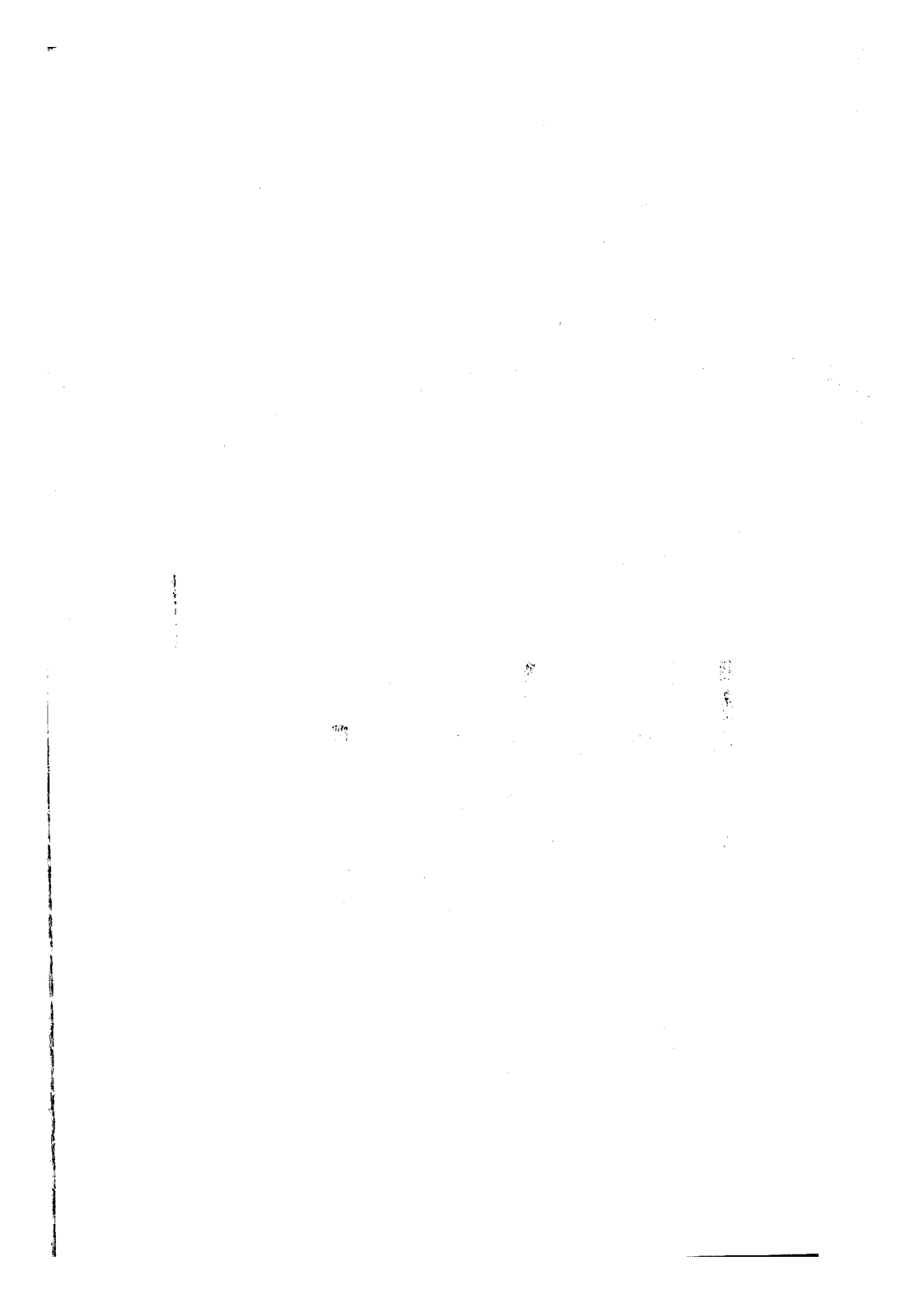


قصص من التراث

الحيوة



عبد الحميد جوده السباعي



16317 892736

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم الهندسة: ٤٩٠
رقم التسجيل: ١٧٤٤٨

مطبوعان بكتبة مهنز

قَصص من الكُتُب المَقَدِّسَة

تأليف

عبدالمجيد محمد بن عبدالحلیم



الناشر: مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

1000

1000

1000

1000

1000

1000

1000

خطيئة ودم

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب
الرحيم) .

« قرآن كريم »

$$r_{\text{eff}} = \frac{r}{1 + \frac{m}{k}} \quad (1)$$

where r is the true rate, m is the amount of money in the account, and k is the number of compounding periods per year.

$$r_{\text{eff}} = \frac{r}{1 + \frac{m}{k}}$$

كان كل شيء فضاء ، فلا هواء ولا ماء ، ولا أرض ولا سماء ،
ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا ضياء ، وكان الرحمن ما فوقه هواء ،
وما تحته هواء ، وأراد أن يخلق الكون فخلق الريح ، ثم خلق الماء
على متن الريح ، ثم خلق عرشه على الماء ، وسما الدخان
على الماء فسمى سماء ، واستوى الرحمن الى السماء وهى دخان ،
ثم رفع سمكها فسواها ، ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات ، ثم
خلق الأرض فكانت زنتا ، لا ليل ولا نهار ، ثم خلق الليل فكان
الكون ظلما فى ظلام ، ثم قال للسماء :

— أطلعى شمسي وقهرى ونجومى .

فبزغت الشمس فى رقعة السماء ، وطلع القمر وتالأت
النجوم الألاء ، ثم محا آية الليل ، فبقى النور وذهب الضياء ،
وجعل آية النهار مبصرة ، وقدر للكواكب منازلها ، فراحت كل
تجرى لمستقر لها ، وهجم على الليل النهار ، فبدد ضياؤه الظلام ،
ثم دحا الأرض فانبسطت رقعتها ، ثم قال لها شقعى أنهارك ،
وأخرجى ثمارك .

فندفعت الأنهار ، وأنبتت الأرض عسبا وبقلا وشجرا ، ثم أرسى
الجبال ، ثم خلق الطير والزواحف والدواب ، فراح الطير يرفرف
بأجنحته فى السماء ، وأخذت الزواحف تزحف على بطونها ،
وجعلت الدواب تدب على الأرض الفضاء .

خلق الله السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسه

من لغوب ، ثم استوى على عرشه تحف به ملائكته تسبح بحمده ،
وتقدس له ، وراح الليل يطلب النهار حثيثا ، ففشى الليل
النهار ، وباتت الدنيا فى ظلام ، ولما أشرف نور الصبح قال الله
لملائكته :

— إني جاعل فى الأرض خليفة .
فقالن الملائكة :

— أنجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك !
فقال لهم :

— إنى أعلم ما لا تعلمون .

وقبض الله قبضة من جميع الأرض ، فكان فيها الأبيض
والأسود والأحمر ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ،
ثم بلت القبضة حتى صارت طينا لازبا ، ثم صور الله الإنسان ،
فكان جسدا من طين ، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا ، وبقي
حتى أصبح صلصالا ، فمرت به الملائكة ، ففزعوا منه . وكان
ابليس أشدهم فزعا ، فراح يقترب منه ويضربه ، فيصوت الجسد
كما يصوت الفخار ، فكان يغمغم !
— الأمر ما خلقت !

وجعل ابليس يطوف به ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق
لا يتمالك ، فقال للملائكة فى استخفاف :
— لا ترهبوا هذا ، فان ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت
عليه لأهلكنه .

فقال الملائكة بعضهم لبعض :

— لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه .

وبقى جسد البشر مدة ، ثم جاء ربك والملائكة صفا صفا ،
ثم قال للملائكة :

— إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

فراح ابليس يقيس بين نفسه وذلك الجسد الذى سوى
من طين ، فرأى نفسه أشرف منه ، فهو من تار ، وأين الطين من
النار ؟ وما درى أن فى الطين الرزائة والحلم والنمو ، وفى النار
الطيش والخفة والسرعة والاحراق ، فاستكبر وعزم على الا يسجد
مع الساجدين .

ونفخ الله فيه من روحه ، فجعل لا يجرى شئ منها فى
جسده الا صار لحما ودما ، وجرت الروح أول ما جرت فى
بصره ، فراح ينظر الى جسده ، فأعجبه ما رأى من حسنه ،
فذهب لينهض فلم يقدر ، فلما سرت الروح فى بقية جسده ،
انتصب واقفا ، وسمى آدم ، لأنه من أديم الأرض خلق .

وسجد الملائكة لآدم الا ابليس ، أبى واستكبر وكان من
الكافرين فقال الله له :

— ما منعك أن تسجد إذ أمرتك .

قال :

— أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين .

قال :

— فاهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرجك
من الصاغرين .

قال :

— انظرني الى يوم يبعثون .

قال :

— انك من المنظرين .

قال : فيما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم آتيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين .

قال : اخرج منها مذموما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴿٥٥﴾

وخرج ابليس منها ذليلا ، وقال الله لآدم :

— إيت أولئك الملائكة ، فقل لهم : السلام عليكم .

فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله .

ورجع آدم الى ربه عز وجل ، فقال الله له :

— هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ..

— ٣ —

وثناء ربك ان يرى الملائكة انهم ما كانوا صادقين لما قالوا : لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه ، فجلب من الأرض حيوانات البرية ، وطيور السماء ، ثم عرضها على الملائكة ، فقال :

— انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .

قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم

الحكيم .

قال : يا آدم انبئهم بأسمائهم .

فجعل آدم يذكر اسم كل طير ، وكل زاحفة ، وكل دابة ؛
فقال الله سبحانه :

— ألم أقل لكم ، إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون .

وأسكن آدم الجنة ، فراح يضرب فيها وحيدا ، ثم وفد
عليه النوم ، فراح فى سبات عميق . وشاء الله أن يخلق له
زوجة له يسكن اليها ، فأخذ ضلعا من أضلعه من شقه الأيسر ،
والأم مكانها لحما ، وادم نائم لم يهب من نومه ، وخلق الله من
ضلعه امرأة ، وجلست المرأة عند رأسه تتطلع اليه ، فلما هب
آدم من نومه ، رأى عند رأسه مخلوقة حلوة ، تديم النظر اليه ،
فرمقها فى عجب ، وأحس نحوها عطا وانجذابا ، فسألها
فى دهش :

— ما أنت ؟

— امرأة !

— ولم خلقت ؟

— لتسكن إلى !

وراح ينظر اليها من رأسها الى قدمها فى غبطة ونشوة ؛
وأقبلت الملائكة عليهما ، وشاءوا أن يروا مبلغ علمه ، فسأله :

— ما اسمها يا آدم ؟

— حواء .

— ولم سميت حواء ؟

— لأنها خلقت من شئ حى .

وجعل ابليس يجول خارج الجنة ، لا يجرو على الدنو منها ،
فقال الله الأدم :

— يا آدم ، ان هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجكما من

الجنة فتشقى ، إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظلم
فيها ولا تضحى .

وجعل آدم ينظر الى حواء وقد أحس غبطة ، فلم يعد يمشى
فى الجنة وحشا ليس له من يؤنسه ، فقد أنعم الله عليه زوجة ،
بعض لحمه ودمه ، وراحا يسيران عريانين ، لا يخجلان ، فما كانا
يعرفان خيرا ولا شرا ، وقال الله الآدم :

— يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا
حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين .

ونظرت حواء الى الشجرة التى حرمها الله عليها ، فاذا هى
بهجة للعيون ، وفتنة للناظرين ، ثم تحولت عنها ، وراحت و آدم
يأكلان من ثمار الأشجار الأخرى ، وعاشا فى رغد من العيش ،
وسعادة وهناءة .

— ٤ —

طرد ابليس من الجنة ، فعزم على أن يوسوس لآدم وحواء ،
وأن يزين لهما معصية الله ، فيخرجهما من الجنة ، وحاول أن
ينقلت الى الجنة غير مرة ، لينفذ أميته ، ولكن خزنة الجنة
كانوا يردونه فى كل مرة ، فلم ييأس ، وفكر فى أن يعرض نفسه
على دواب الأرض أيها تحمله حتى يدخل الجنة ، فيكلم آدم
وزوجه ، فانطلق وعرض نفسه على الدواب ، فأبى الدواب
جميعا ذلك عليه ، فذهب الى الحية ، وكانت كاسية من أجمل
الدواب ، تمشى على أربع قوائم ، فكلمها فقتال لها :

— أمنعك من بنى آدم ، فأنت فى ذمتى ان أنت ادخلتنى الجنة .
فقبلت الحية ما عرض عليها ، فجعلته بين نابيين من أنيابها ،
ثم دخلت به الجنة ولم يفتن الخزنة الى ذلك . فلما اطمان
ابليس الى انه أصبح فى الجنة ، خرج من الحية ، وأسرع الى
آدم ، وراح يوسوس له :

— يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟

فأعرض آدم عنه ، ولكن ابليس استمر فى وسوسته :

— ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين .

فلم يصغ آدم اليه ، وفر منه ، فأسرع ابليس خلفه ، وأخذ
يقسم :

— والله انى لكما من الناصحين .

فوضع آدم أصبعه فى أذنه ، وأشاح بوجهه عنه ، فارتد
ابليس عنه وهو حسير ، وأيقن أنه ليس على اغراء آدم بقدير ،
ولكن ما لبث أن رأى حواء تتطلع الى الشجرة المحرمة ، فأسرع
اليها وقال لها :

— انظرى الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب
طعمها ، وأحسن لونها .

فتطلعت حواء اليها فى اشتياق واشتهاء ، ثم مدت يدها
اليها وتناولت منها ، وأكلت وأسأغت ما أكلت ، فالتفتت الى
آدم وقالت :

— يا آدم كل فانى قد أكلت !

— لا

— كل ، لقد أكلت ولم تضرنى .

— لا

فتركته حواء وقد زوت ما بين حاجبيها ، وانتبذت مكانا قصيا ، وأحس آدم رغبة الى حواء ، فدعاها لحاجته ، فقالت :

— لا ! الا أن تأتي ها هنا !

فقام آدم ، وسار الى حيث كانت حواء ، وطوقها بذراعيه ، فأشاحت بوجهها عنه ، وأظهرت دلالا ، فلم يستطع آدم أن يصبر على دلالتها ، فمد يده الى وجهها النافر ، وأداره لتتلاقى عيناها بعينيها ، لعلها ترى ما فى عينيه من حب ، فلما التقت العيون قالت فى اغراء :

— لا ! الا أن تأكل من هذه الشجرة .

فانهارت مقاومة آدم جميعا ، وقام الى الشجرة يتناول منها ويأكل ، فعرف كل شيء ، عرف أنه عريان ، كما عرفت حواء أنها عريانة ، فبدت لهما سواتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وأقبل الرحمن ، فلما رآه آدم ، ذهب هاربا فى الجنة . ناداه ربه :

— يا آدم ، أمنى تفر ؟

— لا يارب ، ولكن حياء منك .

— ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين ؟ ! لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟
فقال آدم :

— يا رب ، أطمعتنى حواء .

فقال لحواء :

— أنت التى غررت عيى ، فانك لا تحمليين حملا إلا حملته كرها ، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارا .

وقال للحية :

— أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبيدي ، ملعونة
أنت حتى تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق الا التراب ،
أنت عدو بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت
بعقبه ، وحيث لقيك شدخ رأسك .

فقال آدم وحواء في استغفار :

— ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين .

فقال الله الآدم :

— أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأباحتك منها مندوحة
عما حرمت عليك ؟

فقال آدم في انكسار :

— بلى يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك

كاذبا .

فقال الله :

— فبعزتي لأهبطنك الى الأرض ، فلا تنال العيش الا كذا !

فقال آدم في ذلة وتضرع :

— رب غفرانك ، رب غفرانك !

فقال الله :

— اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر

ومتاع الى حين .

—•••••

وهبط آدم الى الأرض ، وعلى رأسه أكليل من شجر الجنة ،
والقى نفسه على قمة جبل فى الهند وحيدا ، فراح يتلفت الى اليمين
والى الشمال ، ويدور على عقبه ، ويمد بصره الى الأفق البعيد ،
فلا يجد الا الأرض والسماء ، فيحس رهبة ، لقد كان بجوار الرحمن
أهنا هائئا ، فصار طريدا هائئا على وجهه ، لا يدرى ما يفعل
فى هذا الكون العريض ، كانت حواء الى جواره فى جنة النعيم ،
تقاسمه هناءه ، فما باله لا يجدها اليوم معه فى دنيا الشقاء
تقاسمه شقاءه ، لقد كانت سبب نكته وأس بلائه ، ولكنه ما كان
يحس نحوها حقدا أو بغضا ، بل كان يحن اليها ، وكانت أميته
الأولى على وجه الأرض أن يتلاقى وزوجه .

وهبط آدم من على الجبل حتى بلغ سفحه ، وجعل يتلفت
باحثا منقبا عن حواء ، ولكنه لم يجد لها من أثر ، فانقبض صدره ،
وسالت عبراته ، وجعل يبكى على الفردوس المفقود .

وهبطت حواء بجدة من أرض مكة ، فألفت نفسها وحيدة فى
ذلك الفضاء العريض ، فجزعت ، وراحت الرياح تولول وتصفى ،
فازداد فزعها وجزعها ، وسقط الليل فراحت حواء تتلفت فى جزع
واضطراب لعلها تجد آدم أثرا ، أو لعل آدم يفتد عليها فينقذها مما
هى فيه من عذاب ، ولكن انقضى شطر الليل ولم يظهر آدم ،
فجعلت تبكى حتى كاد قلبها ينصدع من البكاء .

وتصرم الليل وآدم نائم عند سفح الجبل ، وابتدأت الشمس
تبزغ ، فهب من نومه يستقبل أول نهار يفتد وهو على الأرض ،

ويرقب الشمس التي راحت تطل على الكون ، ويبس الاكليل الذي كان على رأسه فتحات^١ ورقه ، وسقطت الأوراق على الأرض فنبتت طبييا في أرض الهند . وجعل آدم يضرب في الفضاء ، وينظر الى سعة الأرض وبسطتها فلم ير فيها أحدا غيره ، فاستوحش وقال :

— يارب ، أما الأرضك هذه عامر يسبح بحمدك ويقدم لك غيرى ؟

فسمع صوت الله يقول :

— انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى ويقدمنى ، وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ، ويسبح فيها خلقى ، ويذكر فيها اسمى ، وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى ، وأوثره باسمى وأسميه بيتى ، أجعله حرما آمنا يحرم بحرمنه من حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه ، فقد أخفر ذمتى ، وأباح حرمتى . أجعله أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا ، يأتونه شعنا غربا على كل ضامر من كل فج عميق ، يرجون بالتلبية رجيجا ، ويثجون بالبكاء ثجيجا ، ويعجون بالتكبير عجيجا ، فمن اعتمره ولا يريد غيره ، فقد وفد إلى وزارنى وضافنى ، وحق على الكريم أن يكرم وفده وضيافته ، تعمره يا آدم ما كنت حيا ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن .

وأحس آدم حيننا الى بيت الله هذا الذى بمكة ، وأوحى اليه أن ينطلق الى البيت الحرام الذى أهبط له الى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله .

وراح آدم يطوى الأرض طيا ، حتى اذا بلغ مكة لمح امرأة على البعد تغذ السير ، فخلق قلبه ، واضطرب

نفسه ، فأسرع نحوها وقلبه فى صدره كجناح خافق ، يكاد يقفز من فيه من شدة الفرح ، انها هى ، حواء نفسها ، الزوجة وحبيبة الفؤاد . ولما رأته حواء ، ارتمت فى أحضانها تبكى وتنتحب فضمها الى صدره فى وله واشتياق .

لقد التقيا وتعارفا بمكة ، فسمى مكان تعارفهما عرفات .

- ٦ -

وانطلق آدم وحواء الى بيت الله ، واذا هو ياقوتة واحدة ، فراحا يطوفان ، ولما أتما مناسك الحج ، عادا الى الهند ، فاتخذا مغارة يأويان اليها فى الليل والنهار ، وأحس آدم شيئاً يعرض أمعاءه ، وشعر بضعف وخور ، فلما جاءه جبرائيل وصف له ما يحس ، فقال جبرائيل له :

— انه الجوع !

فقال آدم فى عجب :

— الجوع ! وما أفعل ؟

فأجابه جبرائيل :

— استطعم ربك .

وذكر آدم ما كان فيه من تعيم ، فبكى وبكت حواء ، ورفع آدم وجهه الى السماء وجعل يدعو الله أن يطعمه ، وأخذ بطنه يصرخ به ، فأخذ فى الابتغال والدعاء ، فبعث الله اليه مع جبرائيل بسبع حبات من حنطة ، فوضعها فى

يد آدم ، فنظر اليها آدم ، ثم رفع عينيه الى الملك واستنسر :
— ما هذا ؟

— هذا الذى أخرجك من الجنة .

— وما أصنع بهذا ؟ أكله ؟

— انثره فى الأرض .

فنثره آدم فأنبته الله من ساعته ، فنظر آدم الى الحنطة ،
ثم قال :

— أكله ؟

فقال له جبرائيل :

— احصده .

فقال :

— احصده ؟ كيف ؟

فأراه جبرائيل كيف يحصده ، فراح آدم يعمل ، فلما
انتهى من حصده جمعه ثم سكت ، وتطلع الى جبرائيل ،
فقال هذا له :

— أفركه .

فقال :

— أفركه ؟ وكيف أفركه ؟

فقال جبرائيل :

— أفركه بيدك .

فأخذ آدم يفركه بيديه ، وجعل العرق يتنصد منه ، ولما انتهى

قال لجبرائيل فى لهفة :

— أكله ؟

— أذره .

— وكيف أذروه ؟

فأراه جبرائيل كيف يذروه ، فجعل آدم يعمل وقد أحس
تعبا ، ولكنه استمر فى عمله ، فان الجوع يعضه وان صراخه
لينبعث من جوفه ، وانه ليود أن يسكت ذلك الصراخ الأليم
وان كد وتعب ، ولما انتهى من تذريته تنفس الصعداء ، فقد
حسب أن تعبته قد انتهت ، وان جبرائيل سيأمره بتناول طعامه ،
ولكن جبرائيل قال له :

— اطحنه .

فقال آدم فى تبرم :

— وبم أطحنه ؟

فأتاه جبرائيل بحجرين ، فوضع أحدهما على الآخر وقال :

— بهذه .

فطلق آدم يطحن الحبات بين شقى الرحى ، وقد سال
عرقه ، وبان عليه الكلال . . وتم الطحن ، وقبل أن يلتقط
انفاسه المبهورة ، قال له جبرائيل :

— اعجنه .

فقال آدم فى صوت خفيض ذليل :

— وكيف أعجنه ؟

فأمره أن يجلب ماء ، وأن يضع الدقيق فى وعاء ، وان
يب الماء عليه ، ثم أراه كيف يعجنه ، فأخذ آدم يعجن ، ولما
نهى رفع رأسه وراح ينظر الى جبرائيل ، فقال له جبرائيل :

— أخبزه .

— وكيف أخبزه ؟

— أوقد نارا .

— وكيف أوقد نارا ؟

— اجمع بعض الأغصان اليابسة .

فجمع آدم بعض أغصان ييبست ، وجمع جبرائيل له الحجر
والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فاشتعلت الأغصان ،
فمد آدم يده وقبض على النار فصرخ ، فمقد احترقت يده ، ونظر
الى جبرائيل فقال هذا :

— لقد أحرقتك النار لأنك عصيت الله .

وأخذ آدم يخبز خبزه ، فلما انتهى قال له جبرائيل :

— الآن كل يا آدم !

وارتفع جبرائيل ، وابتدا آدم وحواء يأكلان ، ولما انتهيا
سكت صراخ البطن وابتدا صراخ الفكر ، فراحت الأفكار تتوافد
على رأس آدم فتذكر فيما تذكر قول الله له :

— يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من
الجنة فتشتقى ، ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا نظماً
فيها ولا تضحى .

فانههر الدمع من مقلتيه ، فقد انتهت أيام الجنة سراعا ،
أيام الهناءة والسعادة ، وأقبلت أيام الدنيا القاسية ، أيام الصخب
والتعب والنصب والشقاء .

وحملت حواء ، فحاست ما تقاسيه النساء فى الحمل ، ثم جاءها المخاض ، فأشرفت على الموت مرارا قبل أن تضع ما فى بطنها ، ثم وضعت توعمها ذكرا وأنثى ، وسمى الذكر قابيل ، والأنثى كليما ، ونشأ قابيل وكليما معا ، وكانت كليما تنمو حلوة جذابة جميلة ، ومرت أيام تتلوها أيام ثم شهور تجد فى أثرها شهور ، فوضعت حواء توعمها آخر ذكرا وأنثى ، وكان الذكر هابيل والأنثى ليودا .

وشب الأخوة الأربعة معا ، وكانت كلما مرت السنون فتفتحت كليما وازدادت جاذبية وحسنا ، فكانت أجمل من ليودا ، وأكثر فتنة وسحرا ، فتعلق بها قابيل وتدله بها حبا .

واشتد ساعد قابيل وهابيل ، فخرج قابيل لبذر الأرض . فقد كان على بذرها ، وخرج هابيل ليرعى ماشيته ، كان على رعى الماشية ، وجعل كل يعمل عمله حتى اذا ما غابت الشمس عن الكون عاد كل منهما الى الكهف ليشارك الأسرة طعامها .

وجلس حول الطعام آدم وحواء وأبناؤهما وكانت كليما باهرة الحسن ، حلوة الملامح ، فجعل كل من قابيل وهابيل يسترق النظر اليها ، وطمأن آدم الى نظراتهما فعزم على أن يزوج أبناءه ، وقد كانت شريعته أن يتزوج الرجل أى أخواته شاء الا توعمته التى ولدت معه ، فقال :

— آن اوان زواج قابيل وهابيل ، فليتزوج قابيل من لبودا ،
وليتزوج هابيل من كليما .

فبدت الغبطة في وجه هابيل ، وامتعص قابيل ، وبان
الغضب في وجهه ، انه ليضن بأخته على أخيه ، فلم يكتف سورة
غضبه بل انفجر صائحا :
— أنا أحق بأختي .

فقال آدم ليهديء من ثورة ابنه :

— يا بني ! انها لا تحل لك .

فقال قابيل في اصرار :

— انها تحل لي ، انها أختي ، وأنا أحق بأختي من هابيل .

ونظر قابيل الى كليما ، فبدت له أجمل وأحلى مما كان
يراه ، فعقد العزم على التشبث بها وعدم تركها لهابيل ، فأخذ
يردد :

— انها لي ، لي أنا ، لن أتزوج الا كليما ، وليتزوج هابيل
من لبودا .

فبان على آدم التردد ، وأخذ يتطلع الى قابيل وهابيل ،
انه ليحس نحوهما عطفًا وحبًا ، انه لا يستطيع أن يرغم قابيل
على تزويج أخته التي يهواها ويحبها من هابيل ، فالتفت الى
قابيل وقال :

— يا بني ! فقرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا ،
فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها .

وخرج آدم ليأتي مكة ليطوف ببيت الله ، وتأهب قابيل
وهابيل ليقربا قربانا ، فقرب هابيل أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ،
طيبة بها نفسه ، وقرب قابيل شر حرثه ، الكوثر والزوان غير

طيبة بها نفسه ، وكان الرجل اذا قرب قربانا فرضيه الله عز وجل أرسل اليه نارا فأكلته ، فأخذ قابيل وهابيل ينتظران قضاء الله فى قربانهما .

ومرت سويعات وهما ينتظران قضاء الله فى اضطراب وقلق وخوف ، وكان هابيل أكثر اطمئنانا ، وأمر قلبا ، فقد كان صاحب حق ، فان الشريعة لتقضى بزواجه من كليما ، وكان قابيل باغيا ظلما ، لا يحب الا نفسه ، ولا يهمه من سواها ، فجعل ينتظر قضاء الله وقد بيت فى نفسه أن لا يخضع لهذا القضاء ما لم يكن فى جانبه .

وانقضت نار بيضاء من السماء كسهم انطلق من قوسه ، فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فشكر هابيل ربه ، وضاق قابيل بالفيظ صدره ، وأحس دمائه تجرى بالمقت والحقد ، وأعمى الغضب بصيرته ، وجاءه الشيطان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وراح يوسوس له أن أقتل أخاك قبل أن يستحوذ على كليما ، ورأى بعين خياله لبودا القبيحة الى جواره ، فثارت ثأثرته ولم يستطع أن يكبت ما وسوس الشيطان به فى صدره ، فنظر الى أخيه نظرة مقت وحقد وغضب وقال :

— لاقتلتك !

فقال هابيل فى اطمئنان ، وكان أشد من أخيه وأقوى :

— انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك الأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد أن تبوء بائتى وأثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين .

وأدار هابيل ظهره لأخيه وانصرف ، وراح قابيل يفكر فى أن ينقض على هابيل ويقتله ، ولكنه ثبت فى مكانه لا يريم حتى اختفى هابيل عن عينيه .

سار قابيل مطأطء الرأس ، باسر الوجه ، منقبض الصدر ، بعض على نواجذه غيظا ، يلتقط نفسه المكروب فى جهد ، فكأنما كانت يد قوية تضغط رقبتة ضغطا ، وجعلت الأفكار الخبيثة تتوافد على مخيلته توافد الموج ، فاذا ما تكسرت فكرة ، وفدت فكرة أعظم شرا وأشد خبثا .

وبلغ قابيل الكهف ، ورأى كليما فأحس خزيا ، فان الله لم يتقبل قربانه ، وقضى بزواجها من هابيل ، وتمدد لينام ، وكان المكان حالك الظلام . فأخذت الأفكار تنمو ، وراحت تتجسم فى مخيلته . فتعذبه وتضنيه : ان هابيل سيهنا بكليما الجميلة الفتاة الجذابة ، أما هو فيشتى بلبودا البغيضة القبيحة ، انه ليحس أنه بأخته أولى ، لقد اتفتت السماء والأرض على تعذيبه ، فلن يخضع لمشيئة الأرض ، ولن يأبه لحكم السماء ، ولن يترك كليما لهابيل أبدا ، وليكن ما يكون .

واستمر فى تلقه وأرقه ، يصفى الى شيطانه ، وشيطانه يلعب به ويمنيه ، وانقضى الليل وما انقضى عذابه فعزم على أن يضع لهذا الضنا حدا .

خرج هابيل كما اعتاد أن يخرج كل يوم ، وراح يرمى ماشيته ، وأقبل قابيل محطم النفس يحس كأنما عقدت فى صدره عقدة من الحقد والمقت ، وراح أخاه فى ماشيته فلم ير فيه الا سالب سعادته وهنائه ، فحمل صخرة واقترب من أخيه ثم ضربه بها ، فسقط هابيل مجدلا ، وسال أول دم على الأرض ،

وتعففت الأرض فلم تمتصه بل تركته ، انها لتترفع عن أن تشارك
الانسان جرمه وبغيه وطغيانه .

ونظر قابيل الى أخيه الذى انكفأ على وجهه فاقد الحراك ،
وقد انقشع المقت عن صدره ، فقد شفى غليله ، فما درى مايفعل .
بذلك الجسد الفانى ، وانقضت ساعات وقابيل أمام أخيه المجدل
حائر . وأقبل غرابان ، وراحا يقتتلان ، فجعل قابيل يرقبهما فقتل
أحدهما الآخر ، فلما سقط المقتول على الأرض لم يتركه القاتل فى
الفضاء ، بل عمد الى الأرض ، وراح يحفر له فيها ، ثم جذب
المقتول ووضعه فى الحفرة ، وواره بالتراب ، فلما رأى قابيل ذلك
غمغم :

— يا ويلتى ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة
أخى ؟ .

ثم نهض وطفق يحفر لأخيه ، ثم واره فى قبره .
وعاد آدم من مكة ، وانطلق الى كهفه ، فلما رآه قابيل
قادما أحس وبجلا . فأخذ بيد أخته كليما وفر من وجهه ، فأسرع
آدم الى الكهف ، فعلم بمقتل هابيل ، فأحس حزنا يقطع نياط
قلبه ، والدمع يسبح من مقلتيه ، فهول فى غضب خلف قابيل ،
فراه هابطا من الجبل آخذا بيد أخته ، فصاح به فى حنق :
— اذهب ، فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه .

ابن الذبيحين

((وابن الجارية أيضا ساجعه أمة لأنه
من نسلك)) .

(التوراة)

((مالك يا هاجر ، لا تخافى لأن الله قد
سمع لصوت الفلام حيث هو ، قومي أحملى
الفلام وشدى يدك به ، لأنى ساجعه أمة
عظيمة))

(التوراة)

- ١ -

خرج ابراهيم من المعبد وهو شارد اللب ، فقومه ماكنون
على عيادة التماثيل ، وان عقله لينفر من تلك الالهة التى لا تسمع
اذا دعوها ، ولا تنفع ولا تضر ، وظل يفكر ويقلب وجهه فى
السموات والأرض ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال :

— هذا ربى .

فلما أفل قال :

— لا أحب الآملين .

وجعل يقلب وجهه فى السماء ، فلما رأى الثمر بازغا قال :

— هذا ربى .

فلما أفل قال :

— ان لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين .
وعاد الى أهله ، وهو فى حيرة من أمره ، وانقضى الليل ، وجاء
النهار ، فخرج ، فلما رأى الشمس بازغة قال :
— هذا ربى ، هذا أكبر .
فلما أفلت قال :

— يا قوم انى برىء مما تشركون .
واهتدى الى من فطر السموات والأرض ، فامتأ قلبه ايمانا .
ونزلت به سكينه ، وانطلق الى المعبد فألقى أباه وقومه يعبدون
التمائيل ، فقال لهم :

— ما هذه التمائيل التى أنتم لها عاكفون ؟
قالوا :

— وجدنا آباءنا لها عابدين .
قال :

— لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين .
قالوا :

— أجنئنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟
قال :

— بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا
على ذلكم من الشاهدين .

— بل هذه الأصنام آلهتنا يا ابراهيم .

— هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ؟

— هذه آلهتنا يا ابراهيم ، نظل لها عاكفين .

— فانهم عدو لى الارب العالمين ، الذى خلقنى فهو

يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئنى ، واذا مرضت فهو

يشفين ، والذي يهينى ثم يحيين ، والذي أطمع أن يفتر لى
خطيئتى يوم الدين .
— سنعبدها وسنظل على عبادتها ، أننا وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون .
— نالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .

— ٢ —

جاء يوم العيد ، وتأهبوا للخروج الى ظاهر البلد ، وجاء
الى ابراهيم أبوه ، وسأله أن يخرج معهم ، فنظر نظرة فى
النجوم ، فقال :
— انى سقيم .
وخرج الناس وبقي ابراهيم ، حتى اذا غابوا عن عينيه
ذهب الى المعبد مسرعا مستخفيا ، وانطلق فى البهو العظيم ،
فألقى الأصنام وبين أيديها الوان من الأطعمة قدمها الناس قربانا
اليها ، فقال لها متحكما :
— الا تأكلون ؟ مالكم لا تنتظون ؟
فراغ عليهم ضربا باليمين ، فكسرها بقدم فى يده ، فجعلها
حطاما ، الا كبيرا لهم ، لعلمهم اليه يرجعون ، وذهب الى الكبير ،
ووضع فى يده القدم .
ورجع الناس من عيدهم ، وانطلقوا الى المعبد ، فراعهم
ما حل بالهتهم ، قالوا :
— من فعل هذا بالهتنا ، انه لمن الظالمين .
قال بعضهم :

— سمعنا فتنى يذكرهم ، يقال له ابراهيم .
— فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون .
وجاء ابراهيم ، وحشر الناس فى المعبد ، قالوا :
— أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟
قال :

— بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون .
فأدرکت القوم حيرة ، فأطرقوا ثم قالوا :
— لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

— أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ، ولا يضرکم ؟

أف لكم ولما تعبدون من دون الله ! أفلا تعقلون ؟
فأقبلوا اليه يسرعون ، قال :

— أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقکم وما تعملون .

فغلبوا ، فعدلوا عن المناظرة ، وأرادوا أن يبستروا هزيمتهم

فاجئوا الى القوة ، قالوا :
— ابنوا له بيانا ، فآلقوه فى الجحيم .

وصاح صائح :
— حرقوه وانصروا آلهمکم ان كنتم فاعلين .

فشرعوا يجمعون حطباً ، ثم عمدوا الى جوبة عظيمة فوضعوا

فيها ذلك الحطب ، وأطلقوا فيه النار ، فاضطربت وتأججت ،

واندفع لهيبها يتراقص كأنه السننة الشياطين ، ثم وضلعوا

ابراهيم فى منجنيق وأطلقوه ، فانطلق حتى وقع فى النار وهو

يقول :

— اللهم انك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد

أعبدك .

قال الله :

— يا نار ، كوني بردا وسلاما على ابراهيم .
ووقف الناس ينظرون ، وقد علامهم الدهش ، لانهم وجدوه
والنار حوله لا تصيب منه شيئا ، ونظر ابوه ، فلما رأى ابنه فى
النار لا تؤذيه ، قال :
— نعم الرب ربك يا ابراهيم .

— ٣ —

وبلغ الملك أن النار كانت بردا وسلاما على ابراهيم ، فلم
يصدق ما بلغه ، فخرج فى رجاله الى حيث كانت النار تتأجج
شورها يتطاير ، وأحس حرارتها تلمح وجهه ، فمد بصره ، فرأى
ابراهيم يتصبب عرقه ولم يحرق منه سوى وناقه ، فأحس
قهرا ، وزاد فى قهره أن رأى الناس يتهايمون ، فخشى أن يفتنهم
ذلك الشاب الذى جاء يدعوهم الى اله غيره ، فقد كان يدعى
أنه ربهم العظيم .
وأمر الملك الناس أن يخرجوه ، فدنا بعضهم من النار ،
فشعروا بلفحها يكاد يشويهم ، فوقفوا بعيدا لا يقدرون
على الوصول اليه ، وارتفعت هتافاتهم تدعوه أن يخرج
اليهم .

وخرج ابراهيم من النار لم يمسه شئ من حرها ،
فانطلقت اليه أمه تعتقه فى حبا ، وتقبله فى حنان ، وهى تكي
لا يرقئا لها دمع . وذهب اليه ابوه وقد أثبتت فى جوفه مشاعر
الابوة الرقيقة الحانية .

وجىء به الى الملك ، فقال له فى كبرياء :
«

— من ربك هذا الذى تدعو اليه ؟
فقال ابراهيم :
— ربي الذى يحيى ويميت .
فقال الملك فى استخفاف :
— أنا أحيى وأميت .
— لا تستطيع .
— سترى .

وجاء الملك برجلين حكم عليهما بالموت ، وقال :
— أقتل هذا وأعفو عن هذا .
فقال ابراهيم :
— هذا تشغيب .
فقال الملك مكابراً :
— ألا ترى يا ابراهيم اننى أحيى وأميت !
وتطلق وجه الملك ، وابتسم الناس ابتغاء مرضاته ، وقال
ابراهيم :
— فان الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأنت بها من المغرب .
فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

— ٤ —

هجر ابراهيم قومه فى الله ، وهاجر من بين أظهرهم ، وخرجت
عه امرأته سارة ، وابن أخيه لوط ، فقد آمن به ، حتى اذا بلغوا
سام ، أوحى الله اليه :
— انى جاعل هذه الأرض لخلقك بعمدك .

فابتنى ابراهيم مذبحا لله شكرا على هذه النعمة ، وضرب
قبة ، وعاش يعبد ربه ، ونزل بالبلاد قحط وشدة وغلاء ، فحمل
ابراهيم سارة وارتحل الى مصر ، ونزل بالقرب من قصر فرعون .
ورأى غلمان فرعون سارة ، وكانت ذات جمال ساحر ،
فذهبوا اليه ، وقالوا له :

— نزل هنا رجل معه امرأة من احسن النساء .

فأرسل اليه ، فدخل ابراهيم على فرعون وهو خائف ،
فقال له :

— من هذه معك ؟

— أختى .

— فأرسل بها إلى .

فرجع ابراهيم الى سارة وهو حزين ، فقالت له :

— ماذا قال لك ؟

— سألتني عنك ، فقلت انك أختى ، وانه ليس اليوم مسلم
غيرى وغيرك وأنت أختى ، فلا تكذبني عنده .

وذهبت سارة الى القصر وهي تدعو الله :

— اللهم ان كنت تعلم أني آمنت بك وبرسوك ، وأحصنت

فرجى الا على زوجي ، فلا تسلط على الكافر .

ودخلت عليه ، فالتمعت عيناه سرورا ، فقد كان جماله

أسرا ، وحسنها باهرا ، ودنا منها ، وأراد أن يمد يده اليها ،

فأحس كأنها شابت يده ، فارتاع ، فقالت له سارة :

— هذا من فعل ربي

فأدعى الله لى ولا أضرك

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فمدها اليها فشلت ،
فقال لها :

— ادعى الله ولا أضرك .

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فراح يمددها اليها
فشلت .

فقال لها فى توسل :

— هذا حق ، هذا من عند ربك ، ادعى الله لى ولن

أضرك .

فدعت له ، فلما أرسل ، نادى أدنى حشمة فقال :

— ما أرسلتم الى الا شيطاننا ، أرجعوها الى ابراهيم ،

وأعطوها هاجر .

ورجعت سارة الى زوجها وخلفها هاجر ، فلما دنت من خيمته

الفته يصلى ، فلما أحس بها أنصرف ، وأقبل عليها يسألها عما

حدث ؟ فقالت :

— كفى الله كيد الظالم ، وأخدمنى هاجر .

— ٥ —

خرج ابراهيم وسارة من مصر ، وفى رفقتها هاجر
المصرية ، ونزلوا برية الشام . وتوالت السنون ، وراحت
سارة تتطلع الى هاجر ، فألفت ماء الشباب يترسرق فى
وجهها . ونبتت فى ذهنها فكرة ، أن زوجها دعا ربه أن يهب
له ذرية من الصالحين ، وهى عجوز عقيم ، وزوجها شيخ

كبير ، فلماذا لا تهب له هذه الجارية يتزوجها ، فيرزقه الله الذرية
الصالحة !

ودخلت على ابراهيم وقالت :

— انى وهبت لك هاجر .

فنظر اليها وفى عينيه سؤال ، وقالت :

— انى اراها امرأة وضيئة فلعل الله يرزقك منها ولدا نقر

به عينا .

وتزوج ابراهيم هاجر ، فحملت منه ، ففرح ، وخيل لسارة
أن هاجر ارتفعت نفسها ، وتعاطمت عليها ، فلم تطق أن تكتم
غيرتها فكانت تشكوها الى زوجها .

وضعت هاجر اسماعيل ، فطاف بالدار الفرح ، وسرت
سارة ، ولكن سرعان ما غاض فرحها ، فقد كانت تشتتني أن
يكون الولد منها .

ومرت الأيام ، واسماعيل يترعرع ، وسارة ترقبه وفى قلبها
حزن ، فقد حرمت أن يكون لها من بعلها ولد .

وراح الناس ينزلون على ابراهيم ، فقد أوسع الله عليه ،
وتقصت خمس عشرة ليلة ولم ينزل به أحد ، فقد حبس الضيف ،
فشق ذلك عليه ، وهبط الليل ، فأوقد نارا لعل أحدا يأتيه ،
وجلس أمام قبته ، واذا برجال قادمين ، فلما راوه قالوا :

— سلامنا .

قال :

— سلام قوم منكرون .

فراغ الى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم ، فلم
ياكلوا ، قال :

— الا تاكلون ؟

ونظر اليهم فلما رأى أيديهم لا تصل اليهم نكرهم ، وأوجس
منهم خيفة ، وقال :

— إنا منكم وجلون .

— لا تخف ، إنا أرسلنا الى قوم لوط .

كانت سارة قائمة ، فلما رأَتْ خوف زوجها ضحكت ، لأنها
فطنت الى أن الرجال رسل الرحمن ، قالوا :

— إنا نبشرك بغلام عليم .

فلما سمعت سارة البشري قالت :

— يا ويلتى ألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، أن
هذا لشيء عجيب .

وقال ابراهيم :

— أبشروني على أن مسنى الكبر ، فبم تبشرون ؟

قالوا :

— بشرنك بالحق فلا تكن من القانطين .

قال :

— ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون .

— ٦ —

حملت سارة ووضعت اسحاق ، ففرحت به ، وفرح به أبوه ،
وتوجه الى الله يشكره :

— الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ،
ان ربي لسميع الدعاء .

ورأت سارة أن تتخلص من اسماعيل وأمه ، فلما دخل إبراهيم عليها قالت فى غضب :

— اطرده هذه الجارية وابنها .
— ليه ؟

— ان ابن الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق .

سواء ابراهيم ما يسمع ، وأحس مرارة ، فما كان يظن أن الأمر يصل الى أن تطلب سارة اخراج هاجر وابنها من الشام ، وكان لكلامها وقع ثقيل فى نفسه ، ففكر فى الا يجيبها الى طلبها ، وفيما هو فى حزنه وتفكيره ، أوحى الله اليه أن استمع الى سارة ، ولا تحزن على اسماعيل وأمه ، وأخرج بابنك ، فسأباركه وأجعله أمة عظيمة .

وتأهب ابراهيم للخروج بزوجه وابنه ، فأخذ خبزاً وحمل قربة ماء ، وانطلق حيث أوحى الله اليه أن ينطلق ، حتى اذا بلغ مكة ترك هاجر واسماعيل وتأهب للعودة ، فخرجت هاجر اليه ، وقالت فى فرح :

— الى من تكلنا ؟

فلم يتكلم ابراهيم ، وظل فى صمته ، فقالت :

— الله أمرك بهذا ؟

— نعم .

— اذن لا يضيعنا .

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا :

— ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك

المحرم ، ربنا ليقموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

عاشت هاجر واسماعيل فى قلب الصحراء ، فى رعاية الله ، وتصرمت الايام وهما فى عريشهما ، ونقد ما كان معهما من ماء ، فعطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ، واستقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعيها ، ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى اذا جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا ، واستمرت تهول فى فزع واعياء بين الصفا والمروة ، ثم ذهبت الى اسماعيل لترى ألا يزال حيا ، فرأت تحت قدميه ماء ، فقد فجر الله له زمزم ، فانكبت على الماء وجعلت تغرف منه ، تروى ظمأها ، وتملاً سقاءها .

ومرت رفقة من جرهم مقبلين ، فنزلوا فى أسفل مكة ، فرأوا طائرا عائفا ، فتعجبوا وقالوا :

— ان هذا الطائر ليدور على الماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء .

فانطلقوا ليروا ما هناك ، فرأوا زمزم وهاجر عندها ، فقالوا لها :

— تأذنين لنا أن ننزل عندك ؟

— نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء .

— نعم .
فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم ، فنزلوا معهم حتى صار
بهم أهل أبيات منهم ، وشب اسماعيل بينهم ، وتعلم العربية
منهم .
وأعجبهم حين شب ، فزوجوه منهم ليتحقق وعد الله بأن
يباركه ويجعله أمة عظيمة .

— ٨ —

أحس ابراهيم شوقا الى ابنه ، فتأهب للخروج ، وأخبر
سارة بخروجه ، فشاعت أن تثبطه غيرة من هاجر ، فأخبرها
أنه لن يزيد على السلام ، واستطلاع الحال .
وخرج ابراهيم فأتى مكة ، وذهب الى زمزم ، فألقى اسماعيل
يبصرى نباله تحت دوحه قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه ، فاعتنفا
فى سوق ، وراحا يتحدثان ، وانطلقا الى الخيام .
ونام ابراهيم ، فرأى فى المنام أنه يذبح ابنه ، ولما كانت
رؤيا الأنبياء وحيا ، فقد صدق الرؤيا ، وعزم على أن يمتثل
لأمر الله ، ودعا اسماعيل ، وقال له :
— يا بنى ، انى أرى فى المنام انى أذبحك ، فانظر ماذا
ترى .
فقال اسماعيل :
— يا أبت ، أفعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من
الصابرين .

- يا بنى خذ الحبل والمدية .
وانطلقا ، وفى الطريق اعترضهما ابليس فى هيئة رجل ،
ودنا من ابراهيم وقال له :
— أين تريد أيها الشيخ ؟
— أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه .
— تريده لتذبح ابنك ، لعل الشيطان جاعك فى منامك ،
فأمرك بذلك ؟
فعرفه ابراهيم ، فقال له :
— اليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله الأُمضين لأمر ربى .
وسار ابراهيم مطرقا ، واسماعيل خلفه يحمل الحبل
والشفرة ، فاعترضه ابليس وقال له :
— أتدرى أين يذهب بك أبوك ؟
— نعم ، أدرى .
— أتدرى أنه يزعم أن ربه أمره بأن يذبحك ؟
— فليفعل ما أمره الله ، سمعا لله وطاعة .
وانطلقا حتى اذا بلغا مكانا قصيا وقفا ، وقد دثر الكون
سكون رهيب ، ووقف ابراهيم ينظر الى ابنه وقد تفجرت فى
جوفه عواطف متباينة ، انه يحس حبا طاغيا لابنه ، ويحس رغبة
فى تنفيذ أمر ربه ، وجعل يرمق ابنه الذى سيدبجه برهة ، فقال
اسماعيل :
— يا أبت ، ان أردت ذبحى ، فاشدد رباطى ، لا يصيبك منى
شئ فينقص أجرى ، فان الموت شديد ، وأشدذ شفرتك حتى
تجهز على فتريحنى .
والقاه على وجهه وقلبه ينظر حتى لا ينظر الى وجهه ،
خشية أن تدركه رقة تحول بينه وبين أمر الله ، وكان على

اسماعيل قميص ابيض ، فقال :
— يا أبت ، انه ليس لى ثوب تكفنى فيه غير هذا ، فاخلعه
عنى .
وراح اسماعيل يخلع قميصه ، وابراهيم يغالب عواطفه
ويقول :

— نعم العون أنت يابنى على أمر الله .
وشحذ شئرنه فكأنما كان يقطع بها مهجته ، واضجع ابنه ،
وهم بذبحه ، فسمع مناديا ينادى :
— يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ،
ان هذا لهو البلاء المبين .

فالتفت ابراهيم ، فاذا بكبش ابيض اقترن ، قد بعثه الله
فدية لاسماعيل ، فامتألاً فؤاد ابراهيم نشوة ، وأحس كأنها أثنال
الدنيا انزاحت عن صدره ، وأكب على ابنه يقبله مغتبطا وهو
يفغمم ودموعه تجرى على لحيته البيضاء :
— يا بنى اليوم وهبت لى .

— ٩ —

دثر مكان البيت المقدس ، وأصبح موضعه أكمة حمراء ،
فأوحى الله الى ابراهيم : ان ابن لى بيتا ، فذهب الى ابنه
اسماعيل ، وقال له :
— ان الله عهد الينا أن نطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع
السجود .

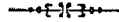
فانطلقا الى مكان البيت ، فجعل ابراهيم بينيه ، واسماعيل
يناوله الحجارة وهما يبتهلان :

— ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا ناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم .
وأراد إبراهيم أن يجعل للناس علما يبتدئون الطواف منه ، ويختمون به ، فقال لابنه :

— يا بنى اطلب لى حجرا حسنا أضعه ههنا .
فراح اسماعيل يبحث ثم عاد بالحجر الأسود ، فوضعه ابراهيم موضعه ، وبنى عليه ، ولما أتم ما أمر به قال :
— رب ، قد فرغت .
قال :

— اذن فى الناس بالحج .
— أى رب ، ومن يبلغ صوتى ؟
— اذن وعلى البلاغ .
— أى رب ، وكيف أقول ؟
— قل : يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ، فأجيبوا ربكم .

فوقف ابراهيم على المقام يؤذن فى الناس بالحج ، فجاء الناس من كل فج عميق .
ومرت الأجيال ، وتكاثرت ذرية اسماعيل تحقيقا لوعد الله ، وتلبية لدعوة خليله ، وبقى الحرم آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ ، تنفذ اليه أمة ، وتذهب عنه أمة من ذرية اسماعيل .



وجاءت جرهم ، واستخفت بأمر البيت الحرام ، فارتكبوا فيه المعاصي ، وخشى رئيسهم أن يسلبوا الكعبة ، وكان بها غزالتان من ذهب ، ودروع وأسياف وأموال ، فعمد إليها ودفنها فى زمزم وطم البئر واعتزل قومه .

وجاءت خزاعة وأخرجت جرهم من الحرم ، ولم تكن تدرى أمر زمزم ، فبقيت مطمورة مجهولة ، وحفرت آبار أخرى للناس .

وتصرمت السنون ، وفتتها الأجيال ، وأصبح عبد المطلب سيد قريش ، وفى ذات يوم دخل الى الحجر ونام ، وفيما هو فى نومه إذ أتاه آت فقال له :

— أحفر طيبة .

— وما طيبة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع الى مضجعه فنام ، فجاءه ، فقال له :

— أحفر برة .

— وما برة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع الى مضجعه ، فنام ، فجاءه فقال له :

— أحفر المذنونة .

— وما المذنونة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد رجع الى مضجعه ، فنام ، فجاءه فقال له :

— احفر زمزم ، انك ان حفرتها لا تندم ، وهى ميراث من أبك الأعظم ، لا تنزف أبدا ولا تندم ، تسقى الحجيج الأعظم .

— وأين هى ؟

— بين الفرث والدم ، عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب

الأعصم .

فلما كان الغد ، ذهب عبد المطلب ووحيدده الحارث الى قرية النمل ، فوجد غرابا ينقر بين الصنمين اساف ونائلة ، فجاء عبد المطلب بالعول ، وقام ليحفر ، فقامت اليه قريش فقالوا :

— والله لا نتركك تحفر بين وثينا اللذين نحر عندهما .

فقال عبد المطلب لابنه الحارث :

— أمنع عنى حتى احفر ، والله لأبضين لما أمرت به .

فالتفت القوم الى عبد المطلب وبنى عيونهم هزء وسخرية ، انه ليس له الا الحارث ، وأنى للحارث أن يمنع عنه ، فقال له عدى بن نوفل ساخرا :

— يا عبد المطلب ، ستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك ولا مال ، وما أنت الا واحد فى قومك !

فغضب عبد المطلب وقال لعدى :

— اتقول هذا وقد كان نوفل أبوك فى حجر هاشم !

— وأنت أيضا كنت فى يثرب عند أخوالك من بنى النجار ،

حتى ردتك عمك المطلب .

فقال عبد المطلب فى غضب :

— او بالقللة تعيرنى ؟ فله على النذر لئن آتانى الله عشرة
من الأولاد الذكور ، لآنحرن أحدهم عند الكعبة .

فكف قومه عنه ، وظل يعمل حتى نبع الماء ، فاعترفوا
بزمزم لعبد المطلب ، لا يخاصمونه فيها أبدا .

وكرت السنون ، وصار أولاد عبد المطلب عشرة ، وكان
قد نسى نذره ، فدخل لينام ، واذا بهاتف يأتيه ، كما جاء جده
ابراهيم خليل الرحمن من آلاف السنين :

— اذبح أحد أولادك وفاء لنذرك .

وكما أطاع ابراهيم وحى الله ، أطاع عبد المطلب رؤياه ،
فجمع أولاده ، وخرج الى السدان يضرب القداح عليهم ، فخرج
القدح على أصفرهم عبد الله ، وكان أحب ولده اليه ، فأخذه
بيده ، كما أخذ ابراهيم اسماعيل ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل
به على اساف ونائلة والجموع خلفه ، لترى عبد المطلب يذبح
حبيبه ، ارضاء لربه .

وبلغ سادات قريش ما اعتزم عليه عبد المطلب ، فخرجوا
من أئديتهم مذعورين يخشون أن تصبح هذه العادة سنة فيهم ،
وبلغ بنى مخزوم أخوال عبد الله ، ما عقد الشيخ عليه العزم ،
فانطلقوا اليه ، فالفوه قد ألقى ابنه عبد الله على الأرض ووضع
رجله على عنقه ، وأخذ الشفرة ليذبحه ، وقبل أن يذبحه ظهر
سادات قريش يتصايحون :

— لا تفعل حتى تستفتى فيه ، لئن فعلت هذا ، لا يزال
الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه .

وقال بنو مخزوم :

— والله ما أحسنت عشرة أمه !

فأصر عبد المطلب على أن يوفى بنذره ، فقالوا له :

— فلنأت كاهنة خبير فنسألها ، فان أمرتك بذبحه ذبحته ،
وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

وتجهزت الرواحل ، وانطلقوا الى خبير ، ودخل عبد المطلب
وهو يرجو فى نفسه أن تجد منفذا لنذره ، وجعل يقص عليها
قصته حتى اذا ما انتهى ، تطلع اليها فى لهفة ، فقالت فى
هدوء :

— ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله .

فتركوها وخرجوا ينتظرون الغد ، وانقضى الليل فى فلق
وارق ، ويأس ورجاء ، حتى اذا تنفس الصبح خرجوا اليها ،
فاستقبلتهم فأحسنن استقبالهم ، ثم ابتدأت شفنها تتحركان ،
فتعلقت العيون بهما ، قالت :

— قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟

— عشرة من الأبل ؟

فقالت لعبد المطلب :

— تخرج عشرة من الأبل وتقذح ، وكلما وقعت القداح
على ابنك ، تزيد عدد الأبل حتى تخرج القداح على الأبل .
فسكنت الطمأنينة نفوس القوم ، وأحسوا راحة ، فقد أنقذت
حياة عبد الله .

وراح عبد المطلب يضرب القداح ، وما زال يزيد عشرة عشرة
حتى بلغت مائة ، فخرجت القداح على الأبل ، فصاح القوم فى
سرور :

— لقد رضى ربك .

فقال عبد المطلب :

— لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات .

فضرب ثلاث مرات ، فخرجت القداح عليها ثلاث
مرات ، فاطمأنت نفس عبد المطلب ورضيت ، وراح ينحر
الأبل المائة فى ابتهاج ، وتركها للناس يأكلون ، لا يصد
عنها أحدا .

- ١١ -

وخرج عبد المطلب الى اليمن فى رحلة الشتاء ، فنزل على
حبر من اليهود يقرأ الكتاب ، فالتفت الحبر الى عبد المطلب
وقال :

— ممن الرجل ؟

— من قريش .

— ان فى احدى يديك ملكا ، وفى الأخرى نبوة .
وانتهت أيام التجارة ، فعاد عبد المطلب الى مكة ،
وكلمات الحبر تقد الى ذهنه كلما خلا بنفسه ، وخطب
عبد المطلب الى بنى زهرة ، فخطب هالة بنت وهب لنفسه ،
وخطب آمنة بنت وهب الابنه الذبيح عبد الله ، وتزوجا وأولما
فى ليلة واحدة .

وتأهبت العير للخروج الى الشام ، فخرج عبد الله وقومه
للتجارة ، فلما فرغوا من تجارتهم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وكان
عبد الله يحس مرضا ، فتخلف عند أخواله بنى النجار ، ثم
ما لبث أن مات قبل أن يشهد وليده الذى حملت به آمنة
بنت وهب . ونام عبد المطلب فى الحجر ، فرأى رؤيا هالته ،
فقام الى كاهنة قريش يقص عليها ما رأى :

— انى رأيت الليلة ، وأنا نائم فى الحجر ، كأن شجرة
نبتت قد نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق
والمغرب ، وما رأيت نورا أزهى منها ، ورأيت العرب والعجم
مساجدين لها ، وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ،
ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من
قريش يريدون قطعها ، فاذا دنوا منها أخرهم شاب ، لم
أر قط أحسن منه وجها ، ولا أطييب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم ،
ويقلع أعينهم ، فرفعت يدى الأئمال منها نصيبا فلم أنله ، فانتبهت
مذعورا فزعا .

فتغير وجه الكاهنة ، ثم قالت :

— لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق
والمغرب .

وجاء البشير الى عبد المطلب بأن آمنة وضعت غلاما ،
فظهر البشر فى وجهه ، وقام من مجلسه منطلقا الى دار
آمنة ، ليرى حفيده ، وقد عزم أن يسميه قثم ، لأن ابنه
قثم قد مات ، وهو ابن تسع سنين ، وقد خلف له حزنا
شديدا ، فأراد أن يسمى حفيده باسمه تخليدا لذكرى
ابنه ، فلما دخل على آمنة ، وأخذ الوليد بين يديه ، التفت الى
أمه وقال :

— لقد سميته قثم .

فقالت آمنة :

— أمرت فى منامى أن أسميه محمدا .

وفى اليوم السابع أمر عبد المطلب بجوزر فنحرت ، ودعا
رجالا من قريش ، فجاجعوا وأطعموا ، وجيء بالمولود فابتهجوا
به ، وسألوا عبد المطلب عن اسمه ، فقال :

— محمد .

فنظر القوم بعضهم الى بعض فى عجب وقال أحدهم :

— ولم رغبت عن أسماء آبائك ؟

— ليكون محموداً فى السماء الله ، وفى الأرض لخلقه .

وانصرف القوم ، وما دار بخلد أحدهم أن ابن الذبيحين
الذى ولد هو البشرى التى بشر الله بها هاجر واسماعيل يوم
قال سبحانه : « قومى احملى الغلام وشدى بك به ، الأنى
سأجعله أمة عظيمة » وأنه دعوة ابراهيم التى دعاها يوم كان
يرفع القواعد من البيت : (ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم ، يتلو
عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . انك أنت
العزیز الحكيم) .



1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the integrity of the financial system and for the ability to detect and prevent fraud. The text notes that without reliable records, it would be difficult to track the flow of funds and identify any irregularities.

2. The second part of the document outlines the various methods used to collect and analyze data. It describes the process of gathering information from different sources, such as interviews, surveys, and document reviews. The text also discusses the importance of ensuring the accuracy and reliability of the data collected, and the need to use appropriate statistical techniques to analyze the results.

3. The third part of the document focuses on the interpretation of the data and the drawing of conclusions. It explains how the collected information is used to identify patterns, trends, and anomalies. The text also discusses the importance of considering the context of the data and the potential limitations of the study. Finally, the document concludes by summarizing the key findings and providing recommendations for further research.

CONCLUSION

The findings of this study indicate that there is a significant need for improved record-keeping and data management practices. The current state of affairs is largely inadequate, leading to a high risk of errors and fraud. It is recommended that organizations implement robust systems for data collection, storage, and analysis. This should include the use of standardized procedures and the adoption of modern technologies to ensure the accuracy and reliability of the data. Additionally, it is important to provide training and support to staff to ensure they are equipped to handle the data effectively. The implementation of these measures will not only enhance the integrity of the financial system but also improve the overall efficiency and effectiveness of the organization's operations.

موسى

(وأذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور
الأيمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمنا
أخاه هارون نبيا) .

« قرآن كريم »



أرسل يوسف يدعو اليه أباه وأهل بيته ، فوفد بنو إسرائيل
الى مصر مع يعقوب ، ونزلوا بها ، وراحوا يتفلقون فى ربوعها ،
ويستولون على منابع الثروات فيها ، وما تصرمت ثلاثمائة سنة
حتى امتلأت مصر بهم ، وأصبحت ثروتها فى أيديهم .

ورأى فرعون مصر أن اليهود صاروا سادتها ، فالأراضى
أصبحت ملك يمينهم ، والصناعات تحت سيطرتهم ، والأموال
تنتشر من جيوب الشعب الى خزائهم ، فأوجس خيفة من
اشتداد شوكتهم ، أنهم غرباء عن البلاد ، فما يدرى اذا ما شبت
حرب بينه وبين أعدائه ، أن يتضوا اليهم ، ليسلبوه مقاليد الحكم
والسلطان !

وفكر فرعون ، فرأى أن يجردهم من أملاكهم ، وأن يصادر أموالهم ، وأن يسومهم سوء العذاب ، فضم أراضيهم الى أراضييه ، وأموالهم الى بيت ماله ، وجعلهم خدما له ، وصنّفهم فى أعماله ، ففريق يبنون له المدن والمعابد ، وفريق يحرثون له أراضييه ، وفريق يزرعون ويحصدون .

أصبح بنو اسرائيل فى مصر عبيدا أذلاء ، يقاسون الهون والاضطهاد ، وعلى الرغم من الضنك الذى كانوا يعيشون فيه ، كانوا يتناسلون ويتكاثرون ، فأطلق تكاثرهم فرعون ، فراح يفكر فيما يفعله ليستأصل هؤلاء الذين هيجوا مخاوفه ، وليوقى نفسه ومملكته ثورة العبيد .

واهتدى فرعون الى فكرة ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته ، فقال لهن :

— لا يولدن على أيديكن غلام من بنى اسرائيل ، الا قتلتموه .
وذاع ذلك الأمر فى مصر ، فغشى بنى اسرائيل حزن عميق .

— ٢١ —

راح رجال فرعون والقوابل يدورون على الحبالى من بنى اسرائيل ، ويعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأة ذكرا الا ذبحه أولئك الذباحون ، وحملت امرأة صالحة من العبرانيات ، وكانت فى قصر فرعون ، فركبها الهنم ، كانت تخشى أن تضع ولدا فيذبحة المصريين ، فاحترزت وأخذت تخفى أمارات الحمل ، فلما جاءها المخاض وضعت

طفلها دون أن تلتمس أحدا لمعاونتها . وأحبت المرأة وليدها ، وأجج ذلك الحب الخطر المسلط عليه ، أنها لتخشى أن تفقده فى أى لحظة . ان هو الا أن يرفع صوته بالبكاء ، حتى يفتحم رجال فرعون عليها مخدعها ، وينزعوه من بين أحضانها ، ليذبحوه ذبح الأنعام .

كانت المرأة وابنتها الكبرى التى تعمل بالقصر تتناوبان رعايته ، وفى ذات ليلة وضعت الأم وليدها فى حجرها ، ورفعت عينيها الى السماء تلتمس من الله عونه ، فأوحى اليها :

— ان أرضعيه ، فاذا خفت عليه ، فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين .
ومرت ثلاثة أشهر ، والأم ترعى ابنها وخوفها يتزايد ، وفطنت الى أنها لن تستطيع أن تخفيه عن العيون المتربصة بأبناء اليهود . فعزمت أن تنفذ ما أوحى به اليها ، فجاءت بسفط من السردى ، ووضعت ابنها فيه ، ثم ألقت به فى النهر ، وما حمله التيار وبعد عنها حتى همت بالعدو خلفه ، والبحث عنه ، لولا أن ربط الله على قلبها ، وألهمها الصبر والامتنال لأمره .

ونادت أخته وقالت لها :

— اتبعى أثره ، لتعلمى خبره .

فسارت أخته على الشاطئ ، وهى ترمقه من طرف عينيها ، وتتظاهر أنها غافلة عنه ، حتى لا ينكشف أمرها ، وحمله التيار وانطلق الى جناح القصر المعد للحريم .



خرجت آسية امرأة فرعون وجواربها يفتسلن فى النيل ،
قلمحن بين الأشجار سفلما به غلام صغير ، فهرعت احداهن
اليه وانثشلته ، فارتفع بكاء الطفل ، ومس أذنى آسية ،
فقالت :

— هذا بكاء طفل صغير .

وجاءت الجارية اليها تحمله وتقول :

— هذا طفل الذى به أهله فى النيل .

نظرت آسية اليه ، فوقعت عليه رحمتها ، وأحبته ، فضمته
اليها وقبلته ، فلما رأت أخته ذلك اكتنفتها راحة ، ونزل بقلبها
اطمئنان ، ودنت تترقب ما يكون .

ودخلت آسية الى القصر ، وجواربها حولها ، وأقبل
فرعون ، فلما رأى الطفل تحركت غلظته ، فقال :

— ما هذا ؟

— طفل التتطناه من اليم .

— انه ابن من أبناء العبرانيين ، اقتلوه .

— ارحمه يا مولاي ، انه طفل صغير .

— اقتلوه .

— قرة عين لى ولك . لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذة
ولدا .

وظلت تدافع عن الطفل ، وتلتمس من فرعون أن يبقيه ،
واستمرت ترجوه وتلحف فى الرجاء وتستوبه اياه ، حتى لان
لتوسلاتها ووهبه لها .

فرحت آسية بالطفل الذى استحيتة ، وحملته وضمته
اليها وقد تحركت فيها احساسات الامومة الرعوم ، وبكى الطفل
عالتست له : ارضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل
النساء يفدن ، لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، ولكن الطفل
استمر فى بكائه وامتناعه عن أن يلتقم ثدى احداهن .
وأشفقت آسية على الطفل ، وحاتت فى امره ، فدنت أخته
منها ، وقالت لها :

— هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟

فمنظرت آسية اليها وقد شاع فى وجهها أمل ؟

— أتعرفين أهل هذا الغلام ؟

— لا أعرفهم ، ولكن أعرف امرأة سالحة ، فلعله يأخذ

ثديها .

— اذهبى ، وأتى بها .

وذهبت أخته تحت الخطا ، وطلبها يخفق فى مرح ، حتى

إذا بلغت غرفتها فى القصر صاحت بأها :

— أبشرى ، جءاك الفرج ! انهم يلتمسونك لترضعيه .

وانطلقت الأم يلفها اضطراب ، ولكنه اضطراب لذيذ

يخدر المشاعر والحواس ، ودخلت على وليدها ، وكادت

مرحتها تفضح خبيئة نفسها ، وكادت تغمغم فى وجد ،

وهى تضمه الى الصدر اللهوف : « ولدى ، ابنى الحبيب »

وكادت تصرح به لولا أن ربط الله على قلوبها لتكون من

المؤمنين .

وناولته ثديها ، فأخذه ، فأشرق وجهه آسية بالفرح . ونزل
بقلب أمه سكيئة ، وأطرقت برأسها شكرا لله ، فقد رده الله
اليها ليكون من المرسلين .

- ٤ -

جلست آسية تنظر الى الطفل الذى تعلق به فؤادها ،
والذى فجر فى نفسها ينابيع الحنان والرأفة ، فشاعت فى
نفسها نشوة ، وأرادت أن تدعوه باسمه ، ولكنها لم تعرف
بماذا تدعوه ، وفكرت فى أن تطلق عليه اسما ، انها وجدت
بين الماء والشجر ، وراحت تردد بلغتها ماء وشجر :
موشا ، ماء وشجر : موشا ، لماذا لا تدعوه موشا ، (ماء
وشجر) ، واستراحت الى ذلك ، فنهضت الى الغلام
تساعيه :

— تعال يا موسى ، تعال يا موسى يا حبيبي .

وحملته وقبلته وجعلت تداعبه ، وهى تحس احساسات
فياضة صافية طاهرة .

وترعرع موسى فى قصر فرعون ، يركب مراكب فرعون ،
ويلبس ما يلبس فرعون ، وكان الخدم يدعونه موسى بن
فرعون ، ولكن موسى كان يعرف أهله ، وكان يعرف أنه من بنى
اسرائيل ، وكانت أسعد أويقات صباح تلك السويعات التى
يمضيها مع أخيه هارون .

ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما ، وفى ذات
يوم أقبل موسى الى القصر ، ولما لم يجد فرعون سأل عنه ،

ثَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مَنفٍ ، فَرَكِبَ مُوسَى فِي أَثَرِهِ ، وَدَخَلَ
مَنفَ فِي نِصْفِ النَّهَارِ . وَوَقَدْ أَغْلَقَتْ أَسْوَاقُهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي
فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ يَتَقَتَّلَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، وَالْآخَرُ مِنْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ
عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى ، فَخَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ :

— هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مَبِينٌ .

وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

— رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَارْحَمْنِي يَا رَبِّ .

فَغَفَرَ لَهُ ، أَنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ :

— رَبِّ ، بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهْرًا لِلْمُجْرِمِينَ .

— ٥ —

أَصْبَحَ الصَّبَاحَ ، فَخَرَجَ مُوسَى إِلَى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرْتَبِئُ ،
أَنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ أَنَّمَا
قَتَلَهُ مُوسَى فِي نِصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ
الشُّكُورَ فِي أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَلْتَعَذَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى فِي الْقَصْرِ ، لِيَعْمَلَ
عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ يَتَلَفَّتْ ، رَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الَّذِي نَصَرَهُ
بِالْأَمْسِ يُقَاتِلُ رَجُلًا آخَرَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى
اسْتَصْرَخَ :

— مُوسَى ، انصُرْنِي يَا مُوسَى .

فبان فى وجه موسى الغضب ، وقال للاسرائيلى
— انك لغوى مبين .

وأقبل نحوهما ، فلما لمح الاسرائيلى الشر فى عينى موسى ،
فرق منه ، وفر من وجهه وهو يقول :
— أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ، أن تريد
الا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من
المصلحين .

سمع المصرى ما قاله الاسرائيلى ، فذهب الى القصر ،
وأفشى أن موسى هو الذى قتل الرجل ، وبلغ النبأ مسامع فرعون ،
فغضب وصاح :

— خذوه واقتلوه بجنايته .

وكان أحد أنصار موسى عند فرعون لما أصدر أوامره بقتله ،
فخرج يفتد السير ، وجاء الى موسى رجل من أقصى المدينة
يسعى ، وقال له :

— ان المالأتهمرون بك ليقتلوك فاخرج .

فوقف موسى يتلفت فى حيرة ، لا يدري الى أين
يذهب ، انه لو بقى فى مصر لقبض عليه فرعون ، ونفذ
فيه القتل ، ليس أمامه الا الخروج ، فانطلق هاربا لا يلوى
على شىء .

سار موسى فى حلقة الليل ، وفى رابعة النهار ، يضرب
فى الصحراء لا يسكت صراخ بطنه الا ورق الشجر ، ولا
يطفىء ظمأه الا ما يصادف من الآبار ، لم يكن يعرف طريقه
لأنه لم يخرج قبل ذلك من مصر ، ولما توجه تلقاء مدين
قال :

— عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل .

بلغ موسى مدين ، وقد نال منه التعب والجوع ، ورأى شجرة فوقف تحتها يستظل بها ويستريح ، ومد بصره فإذا جماعة من الرعاة يسقون ، فذهب ليرد الماء فوجد من دونهم امرأتين تكفكتان عنهما أن تختلط بغم الناس ، فاقترب موسى منهما وقال :

— ما خطبكما ؟

قالتا :

— لا نسقى حتى يصدر الرعاة ، وأبونا شيخ كبير .

نظر موسى فوجد الرعاة قد وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة ، نتقدم فرمع الصخرة وحده ، وكان لا يرفعهما الا عشرة ، ثم استقى لهما ، وسقى غنمهما ، ورد الحجر كما كان .

وتولى موسى الى ظل الشجرة ، وبطنه لاصق بظهره من الجوع ، وقال :

— رب ، انى لما أنزلت الى من خير فقير ؟

وعادت الفتاتان الى أبيهما ، فلما رأهما قال لهما :

— ما بالكما قد عدتما اليوم سريعا ؟

قالتا :

— عاوننا رجل كريم على سقى غنمنا .

وثالت صفورة ، ابنة الشيخ الصغيرة :

- يلوح يا أبى أنه جائع مكدود .
- فأمرها الشيخ أن تذهب إليه فتدعوه ، فجاءت تمشى على استحياء ، حتى إذا بلغت وهو فى ظل الشجرة ، قالت له :
- ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .
- قام معها ، وقال لها :
- أمضى .
- فمشيت أمامه ، فضربتها الرياح ، فبدت مفاتن جسمها ، فقال لها :
- أمشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت .
- واستمر فى سيره حتى دخل على الشيخ ، وراح يتقص عليه ما حدث له فى مصر . فلما انتهى من قصته ، قال الشيخ له :
- لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين .
- وقدم الطعام لموسى ، فلما شبع قام لينصرف ، فقالت صفورة ابنة الشيخ الصغيرة :
- يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القسوى الأمين .
- فقال لها الشيخ :
- وما علمك بهذا ؟
- فقالت صفورة :
- انه رفع صخرة لا يطيق رفعها الا عشرة .
- وما أدراك بأمانته ؟
- انى مشيت قدامه ، فلم يحب أن يخوننى فى نفسى ، وأمرنى أن أمشى خلفه .
- فذهب الشيخ الى موسى وقال له :

— انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين ، على أن تأجرنى
شمانى حجج ، فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق
عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين .

فقال له موسى :

— ذلك بينى وبينك ، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على ،
والله على ما نقول وكيل .

وتزوج موسى من صفورة ، وقد أجر نفسه للشيخ ثمانى
سنين أو عشرا على عفة فرجه ، وطعام بطنه .

— ١٧١ —

رعى موسى للشيخ عشر سنين ، وكان يعاوده فيها الحنين
الى أهليه ، فلما أتم الأجل قال لصفورة :

— اشتقت الى أمى والى أخى هارون ، فتأهبى للخروج الى
مصر ، فان لى فيها شيعة وأنصارا .

وتأهب موسى وزوجته وأولاده للخروج ، حتى اذا آذنت
ساعة الرحيل ودعوا الشيخ وانطلقوا يضربون فى البيداء ،
حتى بلغوا جانب الطور الأيمن فى عشية شاتية شديدة
البرودة .

وجاء الليل ، وأرخى سدوله ، وأخذت السماء تبرق وترعد
وتمطر ، فراح موسى يدور ببصره فى الفضاء ، فأنس من جانب
الطور نارا ، فقال لأهله :

— امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة
من النار لعلكم تصطلون .

وانطلق موسى فى وادى طوى يتوكأ على عصاه صوب النار ، فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . فخاف موسى ، وفر مفزوعا ، ولما أفرخ روعه عاد ثانية الى النار ، فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة : أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين .

وفر موسى مرعوبا ، وما بعد عن النار حتى عاد اليه روعه ، فدنا منها ، فلما أتاها نودى :

— يا موسى ، انى أنا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى .

وخلع موسى نعليه ولم يذهب عنه روعه ، فقال له الله مؤنسا :

— وما تلك بيمينك يا موسى ؟

— هى عصا أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها ما رب أخرى .

قال :

— ألقها يا موسى .

فألقها فإذا هى حية تسعى ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب . فناداه ربه :

— يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، أقبل ولا تخف انك من الأمنين .

فلما رجع ، ورأى الحية تسعى ، بقى على خوفه ، فقال
الله له :

— خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى .
فمد يده الى الحية فاذا هى قد عادت عصا كما كانت ، وقال
له الله :

— اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، واضمم
اليك جناحك من الرهب .

فوضع موسى يده فى جيبه وأخرجها ، فاذا هى تتألاً كالقمر
بياضاً من غير سوء ، وشغل فكره بالعصا التى صارت حية
تسعى ، ويده التى أضاعت كالبدر ، فقال الله له :

— فذائك برهانان من ربك الى فرعون وملائه ، انهم كانوا
قوماً فاسقين .

وعلم موسى ان الله أرسله الى فرعون الطاغية ، فقال :
— رب ، انى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون . وأخى
هارون هو أفسح منى لسانا ، فأرسله معى ردعاً يصدقنى ،
انى أخاف أن يكذبون .
قال :

— سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطاناً ، فلا يصلون
اليكما بآياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون .
— اذهب الى فرعون انه طغى .

فقال موسى فى ابتهاج :
— رب ، اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى ، وأحل عقدة
من لسانى يفتقها قولى .

—*—*—

وسار موسى وأهله حتى دخلوا مصر خلسة ، وذهب الى أمه ، ففرت به عينا ، وانتظر حتى جاء هارون ، فقام الاخوان يتعانقان ، وراح موسى يقص على أخيه قصته ، ثم قال له :
— يا هارون انطلق معي الى فرعون ، ان الله قد أرسلنا اليه .

فقام هارون ليذهب مع أخيه . فهبت أمهما اليهما
تصيح :

— أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما .
فقال موسى الأمه :

— لا تخافى ولا تحزنى ، ان الله معنا ، لقد قال : اذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون ، فأتيا فرعون فقولا : انا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بنى اسرائيل .
فقالت له أمه :

— أخشى عليكما من فرعون .
فقال لها موسى :

— اطمئنى ، لقد بعثنى الله لأخلص بنى اسرائيل من العذاب .

وتحرك موسى وهارون للذهاب ، فقالت لهما أمهما :
— انتظرا حتى الصباح .
— سنذهب اليه الآن .

وذهبا الى القصر ، والتمسا مقابلة فرعون ، فقيل لهما :

— ماذا تريدان ؟

— أنا رسول رب العالمين .

وقيل لفرعون ان بالباب مجنوننا زعم انه رسول رب العالمين .

فقال فرعون :

— أدخلوه . .

ودخل موسى وهارون على فرعون ، فنظر فرعون الى موسى

مليا وقال :

— ماذا تريد ؟

— أنا رسول رب العالمين ؟ أن أرسل معنا بنى اسرائيل .

وعرف فرعون موسى ، فقال له فى استخفاف :

— ألم نربك فىنا وليدا ، ولبثت فىنا من عمرك سنين ، وفعلت

فعلتك التى فعلت ، وأنت من الكافرين .

عرف فرعون موسى ، وتذكر أنه قتل رجلا من رجاله وفر ،

وأنه يأتیه الساعة ليقول له انه رب العالمين ، فجعل يرمقه فى

زراية ، فقال موسى :

— فعلتها اذا وأنا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم

فوهب لى ربى حكما ، وجعلنى من المرسلين .

قال فرعون :

— وما رب العالمين ؟

قال :

— رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين .

قال لمن حوله :

— ألا تسمعون ؟

قال موسى :

- ربكم ورب آبائكم الأولين .
- قال فرعون لمن حوله :
- ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون .
- قال موسى مستأنفا حديثه :
- رب المشرق والمغرب وما بينهما أن كنتم تعقلون .
- وتضايق فرعون ، فحشر فنادى فقال :
- انا ربكم الأعلى . يأيها المألأ ما علمت لكم من اله
- غيرى .

— ٩ —

وعاد موسى وهارون يلتمسان الاذن لهما بالدخول على فرعون ، ولم يجرؤ أحد أن يرفع الى فرعون طلبهما ، وفى يوم ذكر له أصحابه أن الرجلين اللذين جاءا يدعوانه الى اللهما واقفان ببابه ، فأمر بالسماح لهما بالدخول ، فلما مثلا بين يديه ، قال موسى :

- يا فرعون ، انى ادعوك الى الله .
- فقال فرعون فى غلطة :
- لئن اتخذت الها غيرى الأجعلنك من المسجونين .
- قال موسى :
- أو لو جئت بشيء مبين ؟
- فأت به ان كنت من الصادقين .

فألقى عصاه ، فاذا هي شعبان مبين ، ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين .

فنظر فرعون مدهوشا ، فقال له موسى وهارون :

— انا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ، ولا تعذبهم ،
قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، انا قد
أوحى اليانا أن العذاب على من كذب وتولى .

وسكن روع فرعون ، فعاد الى استخفافه ، قال :

— فمن ربكما يا موسى ؟

قال :

— ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

قال :

— فما بال القرون الأولى ؟

قال :

— علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل
لكم الأرض مهذا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء
ماء ، فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم
ان فى ذلك الآيات الأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ،
ومننا نخرجكم تارة أخرى .

فقال فرعون فى غيظ :

— أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ فلنأتيناك

بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت

مكانا سوى .

قال :

— موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى .

تأهب المصريون للعيد ، وخرجوا مبكرين وانطلقوا الى
الساحة الكبرى ، فان اليوم هو اليوم الذى جعله موسى بينه
وبين فرعون موعدا . وجاء السحرة الذين جمعهم فرعون من
انحاء مملكته ، واصطفوا صفوفًا ، وجاء فرعون ووزيره هامان
وعلية القوم ، وتصدروا المكان ، وقال فرعون للسحرة :

— ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى .

وخرج موسى ومعه أخوه يتكئ على عصاه ، حتى أتى الجمع ،
وفرعون فى مجلسه مع أشرف أهل مملكته ، فأتبل موسى على
السحرة وقال لهم :

— ويلكم ! لا تفتروا على الله كذبا ، فيسحتكم بعذاب ، وقد
خاب من افترى :

فاختلف السحرة فيما بينهم ، فقال قائل منهم :

— هذا كلام نبى .

وقال قائل :

— هذا ساحر .

وقال بعضهم :

— هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما .

واقبلوا على موسى وقالوا :

— يا موسى ، اما أن تلقى واما أن نكون أول منلقى .

قال :

— بل ألقوا .

فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم . فنظر موسى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل
إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة ، فأوحى
الله إليه :

— موسى : لا تخف ، إنك أنت الأعلى ، وألق ما في
يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح
الساحر حيث أتى .

فالتقى موسى عصاه ، فاذا هي تلقف ما يأفكون ، فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فقلبوا هنالك ، وانقلبوا
صاغرين .

والتقى السحرة ساجدين . قالوا :

— آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

وثار فرعون ، وزاد في ثورته أن موسى هزمه على مرأى
من الملأ ، وأن السحرة سجدوا لإلهه والناس ينظرون ، فخشى
أن تشتعل الفتنة ، وأن يفلت زمام الشعب من يده ، فقال
للسحرة .

— آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي
علمكم السحر ، فالاقتطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ،
ولأصلبكنم في جذوع النخل ، ولتعلمن آينا أشد عذابا
وأبقى .

وكانت حلوة الايمان قد مست قلوب السحرة ، فلم يفزعوا
لما قال فرعون : **بل قالوا له قلى أطمئنان :**

— لم نؤثرك على ما جاء من البيئات والذي فطرنا ،

فما مضى ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، أنا
آمنا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله
خير وأبقى ، انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ، ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم
الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ، وذلك جزاء من تزكى .

- ١١ -

وضاق فرعون بموسى ذرعا ، انه يدعو الناس الى اله
غير آلهة الفراعين ، وانه يفتن الفقراء والمستضعفين ، وأن
الناس يلتفتون به ويعجبون ، وراح فرعون يفكر فيما يفعله وقد
علاه لهم ، وقال الملأ من قوم فرعون :

— أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذكرك
والهتك ؟ .
قال :

— سنقتل أبناءهم ، ونستحيى نساءهم ، وأنا فوقهم
قاهرون .

وأمر فرعون بقتل أبناء بنى اسرائيل ، فنزل بهم كرب
شديد ، فقال موسى لقومه :

— استعينوا بالله واصبروا ، ان الأرض يورثها من يشاء من
عباده ، والعاقبة للمتقين .

وزاد اضطهاد فرعون لهم ، فجاءوا موسى يقولون فى
ضيق :

— أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .
قال :

— عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض ،
فينظر كيف تعملون ؟

وجلس فرعون على عرشه مهوما ، ان قتل أبناء اليهود
لم يرحه من متاعب اليهود ، فطن الى أنه لن يستريح مادام
موسى يسعى فى الأرض ، فالتفت الى من عنده وقال :

— ذرونى أقتل موسى ، وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد .

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه :

— أنتقلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات
من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم
بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهذى من هو مسرف كذاب ،
يا قوم ، لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من
بأس الله ان جاءنا .

فقال فرعون فى اعتداد :

— ما أرى الا ما أرى ، وما أهديكم الا سبيل الرشاد .

وقال الذى آمن :

— يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد
ظلما للعباد ، ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون
مدبرين مالكم من الله من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد .
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم
به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب . الذين يجادلون فى آيات

الله بغير سلطان أتاهم كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار .

والتفت فرعون الى وزيره وقال :

— يا هامان ، ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات ، فأطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا .

فنظر هامان الى فرعون وفى عينيه حيرة ، فقال فرعون فى كبرياء :

— ما علمت لكم من إله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى .

وقال الذى آمن :

— يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وأن الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ، يرزقون فيها بغير حساب .

ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة ، وتدعونى الى النار ، تدعونى الأكفر بالله ، وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعونى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن مردنا الى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى الى الله ، وأن الله بصير بالعباد .

دخل موسى على فرعون يطلب منه تخليص بنى اسرائيل
من العبودية وأن يرسلهم معه ليتركوا مصر ، فقتال له
فرعون :

— اذا تركتهم لك ، فمن يحرق لى أرضى ، ومن يسقى
زرعى ، ومن يصنع لى اللبناات لأبنى صرحى ، لا يا ساحر لن أطلق
لك عبيدى ، فادع ربك ليخلصهم من يدي .

وأخذ الله مصر بالسنين ونقص من الثمرات ، فتفتشت المجاعة
فى البلاد ، وانتشر الجوع ، وخشى فرعون العواقب ، فبعث
الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— واذا رفعه عنكم ، أترسل معى بنى اسرائيل ؟

— أرسلهم معك .

ودعا موسى ربه ، فجاء الخصب وعم الرخاء ، ودخل
موسى على فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون واستكبر
وقال له :

— ما أصابنا الجذب الا بشؤمكم ، وما فعل الهك لنا شيئا ،
اخرج من عندى فما كنت لأطلق لك عبيدى .

وهطلت الأمطار غزيرة ، فأتلقت الزرع ، وحقاق الضيق
بالبلاد ، وفزع فرعون وبعث الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

فدعا موسى ربه ، فرفع مقته عن البلاد ، وذهب موسى الى
فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون وتكبر وقال :

— لن أتركهم لك حتى أبني صرحى وأصعد الى السماء وأسمع
ربك الذى يأمرنى بأن أرسلهم معك .

وسلط الله الجراد ، فلم يترك زرعاً ولا ثماراً ، ولا سبداً
ولا لبداً ، فجزع فرعون ، وفزع الى موسى :

— ادع لنا ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— أو ترسل بنى اسرائيل معى ؟

— أرسلهم .

فلما رفع الله عنهم نعمته ، عاد فرعون الى الاستكبار وقال
لموسى :

— مهما تأتانا من آية لتسخرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .

وسلط الله عليهم القمل ، فسقطوا فريسة المرض الفتاك ،
وانتشر فيهم الموت ، فكان يحصدهم حصداً ، فجزع فرعون وفزع
وأهله الى موسى ، وقالوا :

— يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل .

فلما كشف الله عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه ، اذا هم
ينكثون ، فأرسل الله عليهم الضفادع والدم ، فهرعوا الى موسى
وقالوا :

— يأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا
لهتدون .

فلما كشف الله عنهم العذاب اذا هم ينكثون ، ونادى فرعون
فى قومه ، قال :

— يا قوم ، أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى
من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين
ولا يكاد يبين ، فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين .

فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين .

— ١٢١ —

ما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملئهم أن يفتنهم ، وان فرعون لعال فى الأرض ، وانه لن
المسرفين .

ونفذ صبر بنى اسرائيل ، فالحن تنزل بهم ، والبلايا
تتساقط عليهم ، ورجال فرعون يسومونهم العذاب ، ففرعوا
الى موسى يطلبون منه أن يدعو الله ليخلصهم من محنتهم العظيمة ،
فقال لهم :

— يا قوم ، ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ، ان كنتم
مسلمين .

فقالوا :

— على الله توكلنا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ،
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

فأوحى الى موسى وأخيه أن تبواا لثومكما بمصر
بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر
المؤمنين .

فراح موسى وهارون ينفذان وحى الله ، فاتخذوا لبني اسرائيل بيوتا متميزة فيما بينهم ، ليكونوا على أهبة الرحيل اذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض .

وقال موسى :

— ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا أطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

قال :

— لقد أجيبت دعوتكما ، فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون .

وتأهب بنو اسرائيل للخروج سرا ، ولكن كيف يخرجون وهم أرقاء ، للأرض ملاصقون ؟ ذهب موسى وأكابر بنى اسرائيل الى فرعون يرجونه فى أن يأذن لبني اسرائيل فى الخروج الى عيد لهم ، فلم يقبل ، فظلوا به يرجون ويلحون فى الرجاء حتى قبل وهو كاره .

فرح بنو اسرائيل لقرب الخلاص ، فراحت الاسرائيليات يستعرن حليا من جارتهن المصريات للتزين بها فى العيد ، فأعرنهن شيئا كثيرا ، ولما جن الليل ، ونشر رداءه الأسود يحجب كل شيء ، خرج بنو اسرائيل يتسللون ، واجتمعوا خارج المدينة وانطلقوا طالبين الشام .

وأغذوا السير ، ليفروا من الطاغية الذى استعبدهم وأذلهم ، وانطلقوا مهطعين لا يلوون على شيء ، واقترب مؤمن آل فرعون من موسى وقال له :

— يا موسى ، أين امرت .

— البحر .

وجاء الموكلون باذلال بنى اسرائيل الى القصر يسعون
ويقولون :

— خرج بنو اسرائيل الى العيد ، ولم يعودوا الى أعمالهم ،
فضياع الملك لم يعد فيها من يحرثها ومن يزرعها ومن يجنى
ثمارها ، وذاع فى مصر ان موسى قد خرج ببني اسرائيل ، فخرج
الناس من دورهم فزعين على حلبيهم التى استعارها منهم اليهود ،
وهاجت البلاد وماجت وجمع فرعون جنوده ، وانطلق فى أثر
الفارين ليعيدهم الى اراضيه ، ولينقذ من ايديهم ذهب البلاد
الذى سلبوه .

مأ الحنق فرعون ، واشتد غضبه ، فشرع فى استحثاث
جيئشه ليلحق الهاربين ويمحقتهم ، فأوحى الله الى موسى أن
أسر بعبادى انكم متبعون .

فراح موسى يجد السير ، ولكن ما أن أشرقت الشمس
حتى كان جنود فرعون يلوحون فى الأفق القريب ، وتراءى
الجمعان ، ولم يبق الا المقاتلة والمجادلة والمحاماة ، فتلفت
أصحاب موسى وهم خائفون فالبحر أمامهم والجبال الشاهقة
من يسرتهم وعن أيانهم ؟ فوق الذعر فى ثلوبهم وهرعوا الى
موسى يصرخون فزعا :

— انا لدركون .

فقال موسى فى ثبات :

— كلا ان معى ربي سيهدين .

وتقدم الى البحر وأمواجه تتلاطم كالجبال ، وقال :

— ههنا أمرت .

وجعل بعض ارجال يقتحمون بأفراسهم البحر مرارا
ليسلكوه ، ولكنهم كانوا يرتدون خائبين ، وتناقم الأمر ،

واقترب فرعون وجنوده فى جدھم وحديدھم وغضبھم وحنثھم ، وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعند ذلك اوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ، فلما ضربه انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فانحدر بنو اسرائيل فيه مسرعين ، فلما جاوزوه وخرج آخرھم منه ، وكان ذلك عند قدوم اول جيش فرعون اليه ، فاراد موسى ان يضرب البحر بعصاه ليعود سيرته الاولى ، فأوحى الله اليه :

— واترك البحر رهوا ، انھم جند مفرقون .

واقبل فرعون وهو على حصانه حتى وقف على سفير البحر ، فلما رآه منفلقا وقف ينظر مدهوشا ، وفكر فى أن يحجم ، ولكنه لم يشأ أن يظهر أمام جنوده رعيدا ، فاقنم البحر وانطلق وتدفق جنوده خلفه ، حتى اذا كانوا جميعا فى البحر ، ارتطم البحر كما كان ، وأخذت الأمواج تتقاذف الجنود ، ورفعت فرعون وخفضته ، حتى اذا أدركه الفرق قال :

— آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . وآمن ولم يكن ينفعه إيمانه ، وكان هو وجنوده من المفرقين ، وابتلعهم اليم ، فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين .



انتقم الله من فرعون وجنوده ، فأغرقهم فى اليم ، لانهم كذبوا
بآياته ، وكانوا عنها غافلين ، وجاوز بنو اسرائيل البحر فأتوا
على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فجاءوا الى موسى وقالوا له :
— اجعل لنا الها كما لهم آلهة .

فغضب موسى وقال لهم :

— انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل
ما كانوا يعملون .

أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين ؟ !

وسار موسى بقومه صوب بيت المقدس ، انه لا يستطيع أن
يدخلها حتى يقاتل أهلها ، فقال :

— يا قوم ، اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ،
وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، يا قوم
ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا تترتدوا على
أدباركم ، فتنقلبوا خاسرين .
قالوا :

— يا موسى ، ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما :

— ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ،
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

قالوا :

— يا موسى ، انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون .

قال :

— رب ، انى لا أملك الا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .

قال :

— فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين .

وبقى بنو اسرائيل فى التيه ، فى صحراء سيناء القاحلة الماحلة ، وراحوا يبحثون عن الماء ، فلم يجده ، فجاءوا الى موسى فيزعون اليه ، فاستسقى موسى لقومه ، فقال الله له :

— اضرب بعصاك الحجر .

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وكان أسباط اليهود اثنى عشر سبطا ، فكان لكل سبط عين تنبجس . وأحسوا الجوع ، فهرعوا الى موسى يلتمسون الطعام ، فدعا موسى ربه أن يطعمهم فأنزل عليهم المن والسلوى ، وضجر كثير من بنى اسرائيل بحياتهم الجديدة ، فجاءوا الى موسى ، وقالوا له :

— يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك أن يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .

فغضب موسى ، وقال لهم فى سخرية :

— أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصرا
فإن لكم ما سألتكم .

فما إن صكت سخريته آذانهم ، حتى زاغت أبصارهم ثم
أطرقوا فى خجل شديد .

— ١٥ —

وواعد الله موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشرا ، فتم ميقات ربه
أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون :

— اخلفنى فى قومى وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين .
وانطلق موسى لميقات الله الى جبل طور سيناء ، فكلمه
ربه ، فناداه وناجاه ، وقربه وأدناه ، فطمع موسى فى أن يرى
الله ، فقال :

— ربى ، أرنى أنظر اليك .

قال :

— لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل ، فإن استقر مكانه
فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى
صعقا ، فلما أفاق قال :

— سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين .

قال :

— يا موسى انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين .

وكتب الله له فى الألواح من كل شىء موعظة وتنصيلا

لكل شيء ، وتناول موسى الألواح ، وراح يقرأ ما كتب فيها
وقد أرهفت حواسه : ان الله يأمره أن يسبحه ويقده
لا اله الا هو ، ولا يشرك به شيئاً ، ولا يقتل النفس التي
حرم الله ، ولا يحلف باسمه كاذباً ، ويأمره بالمحافظة على
السبت ، وأن يكرم أباه وأمه ، ليطول عمره فى الأرض ،
ولا يقتل ، ولا يزنى ، ولا يسرق ، ولا يشهد على صاحبه
شهادة زور ، ولا يمد عينه الى بيت صاحبه ، ولا يشتمى
امرأة صاحبه ، ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ،
ولا شيئاً من الذى لصاحبه .

وقال الله لموسى :

— ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟

قال :

— هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى .

قال :

— نانا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى . فرجع
موسى الى قومه غضبان أسفا .

— ١٦ —

ذهب موسى لميقات ربه ، وكان موسى قد وعدهم ثلاثين
ليلة ، فلما انقضت تلك الليالى ولم يعد ، جاء السامرى
وقال لهم :

— ان موسى قد احتبس عنكم ، انه ليس براجع اليكم ،
فبينفى لكم أن تتخذوا الها .

وفكر بنو اسرائيل فيما يتناول السامرى ، انهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم الها كما للأقوام الذين مروا بهم آلهة ، ولكن موسى أبى وها هو ذا موسى قد ذهب ، فما الذى يحول بينهم وبين صنع الاله ، وأعجبتهم الفكرة ، فوافقوا السامرى على أن يصنعوا بأيديهم الها .

كان السامرى صائفا ماهرا ، فأخذ منهم الحلى التى استعاروها من المصريين ، وصنع لهم عجلا له خوار ، فاجتمع القوم يعبدونه ويقولون :

— هذا الهكم واله موسى فنسى .

فقال لهم هارون :

— يا قوم . انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن . فاتبعونى

وأطيعوا أمرى .

قالوا :

— لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى .

ورجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، فبلغ سمعه أصوات عزف ، فانطلق الى الصوت ، فاذا القوم يعزفون ويرقصون حول العجل : فصاح فى غضب :

— بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم .

والقى الألواح وقال :

— يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفضال عليكم العهد أم

أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ، فأخلفتم موعدى !

قالوا كاذبين :

— ما أخلفنا موعدك بملكنا ، ولكننا حملنا أوزارا من زينة

القوم ، فقذفناها .

فتضايق موسى من هؤلاء الذين تخرجوا من تملك حلى

المصريين التى سلبوها ، ولم يتخرجوا من عبادة العجل ،
وذهب يبحث عن هارون ، فلما وجده أخذه برأسه يجره اليه
ويقول :

— يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن ،
أفصيت أمرى ؟

— يابن أم ، ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ،
فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .
وجره موسى من شعره وهو يقول :
— هلا قاتلتهم اذ علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على
كفرهم ؟

— يابن أم ، لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن
تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى .
فرفع موسى وجهه الى السماء وقال :
— رب اغفر لى والأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم
الراحمين .

وبعث الى السامرى ، فلما جاء قال له :

— فما خطبك يا سامرى ؟

قال :

— بصرت بما لم يبصروا به ، بصرت بجبريل ، فقبضت
قبضة من أثره ، فنبذتها وطرحتها فى العجل ، فأصبح له
خوار .

— ولماذا فعلت ذلك ؟

— كذلك سولت لى نفسى .

قال :

— اذهب ، فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس . وان

لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ،
لنحرقنه ، ثم لننفسه فى اليم نسا .
ونسف موسى العجل وقال لقومه :
— انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شىء
علما .

وأطرق بنو اسرائيل خجلا ، فقال موسى لهم :
— يا قوم ، انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا
الى بارئكم ، فاقتلوا انفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم .
فأصبحوا وقد أخذ من لم يعبد العجل فى أيديهم السيوف ،
ثم مالوا على عابديه فقتلوهم . ولما سكت عن موسى الغضب
أخذ الألواح ، وفى نسختها هدى ورحمة للذين لربهم يرهبون .
ورأى بنو اسرائيل أن يستغفروا ربهم ، فكلما موسى ،
شاخنار موسى سبعين رجلا من علماء بنى اسرائيل ،
وانطلقوا ليعتذروا عن بنى اسرائيل ، واقتربوا من الجبل ،
فصعد موسى يكلم ربه ، وصعد بنو اسرائيل يسمعون ،
وجعل موسى يعتذر عن عبادة العجل ، ثم رجع الى قومه ،
فقالوا له :

— لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .

فانقضت عليهم ساعة من السماء ، فماتوا جميعا . فقال
موسى لربه :

— رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما
فعل السفهاء منا ، ان هى الا فتنتك ، تضل بها من
تشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين .
قال :

— عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل
شئ .

وظل موسى يناجى ربه حتى بعثهم من بعد موتهم .

— ١٧ —

أصبح القوم فاذا بشيخ مقتول ومطروح في مجمع
الطرق ، واذا بناس ملتفون حوله يتخاصمون فيه ، كل
منهم يدعى أن الآخر قتله ، وجاء ابن أخيه يصرخ ويتظلم ،
فقالوا :

— مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله ؟

فجاء ابن أخيه ، وشكا أمر عمه الى موسى ، فقال
موسى :

— أنشد الله رجلا عنده علم من أمر القتل الا أعلمنا به .

فلم يقل أحد شيئا ، وحرار الناس في أمر القتل ،
فقالوا لموسى :

— يا موسى ، اسأل ربك في هذه القضية .

وذهب موسى يناجى ربه ، ثم عاد الى قومه وقال :

— ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

قالوا :

— اتخذنا هزوا ؟

قال :

— أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ،

فافعلوا ما تؤمرون به :

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها !

قال :

— انه يقول انها بقرة صفراء ، فاقنع لونها تسر

الناظرين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، ان البقر تشابه علينا ،

وإننا إن شاء الله لمهتدون .

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا ذلول تثير الأرض ولا تسسى

الحرث ، مسلمة لاشية فيها .

وراحوا يبحثون حتى وجدوها ، قالوا :

— الآن جئت بالحق .

فذبوها وهم مترددون ، ثم أمرهم أن يضربوا القتيلين ببعضها ،

فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى ، فقام وهو تشخب

أوداجه ، فسأله موسى :

— من قتلك ؟

قال :

— قتلنى ابن أخى هذا الذى يصرخ وينظلم ، قتلنى لبرث

مالى ، وسقط ميتا كما كان .

قام موسى خطيبا فى بنى اسرائيل ، فسئل :
— أى الناس أعلم ؟

فقال :

— أنا .

فعتب الله عليه ، وأوحى الله اليه :

— ان لى عبدا بجمع البحرين ، هو أعلم منك .

— يا رب وكيف لى به ؟

— تأخذ معك حوتا ، فتجعله بمكتل ، فحيثما فقدت الحوت ،

فهو ثم .

فأخذ حوتا فجعله بمكتل ، ثم انطلق وانطلق معه فتاه ،

حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فئساما ، واضطرب

الحوت فى المكتل ، فخرج منه وسقط فى البحر ، فاتخذ سبيله فى

البحر سربا ، واستيقظا فانطلقا حتى اذا أحسا تعباً ، قال

موسى لفتاه :

— آتينا غداءنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

فذهب فتاه ، فلم يجد الحوت ، فعاد اليه وقال :

— أرأيت اذ أوينا الى الصخرة ، فأتى نسيت الحوت ،

وما أنسانية الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر

عجبا .

فعلم موسى أن ذلك المكان هو الذى سيجد عنده الرجل

الصالح ، فقال :

— ذلك ما كنا نبلغ .

فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الرجل :

— واني مقرئك السلام .

— أنا موسى .

— موسى نبي اسرائيل ؟

— نعم ، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا .

قال :

— انك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط

به خبرا ؟

قال :

— ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا .

قال :

— فان اتبعنني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه

ذكرا .

فانطلقا يمشيان على شاطئ البحر ، فمرت سفينة ، فركبوا فيها ، فقصد الرجل العالم الى لوح من ألواح السفينة وقلعه ،

فقال له موسى :

— قوم حملونا بغير نول ، عمدت الى سفينته فخرقتها ،

انغرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا .

قال :

— ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ؟

قال :

— لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري

عسرا .

وجاء عصفور ، فوقف على حرف السفينة ، فنقر فى البحر
نقرة ، فقال الرجل العالم :

— ما علمى وعلمك فى علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور
من هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هم يمشيان على الساحل
اذ بصر الرجل بسلام يلعب مع القلمان ، فأخذ رأسه بيده فقتله ،
فقال له موسى :

— أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا .

قال :

— ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبورا ؟

قال :

— ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من
لدنى عذرا .

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن
يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ، فأقامه فقال
له موسى :

— قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، ولو شئت لاتخذت
عليه أجرا .

قال :

— هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم
تستطع عليه صبورا : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون
فى البحر ، فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل
سفينة غضبا ، اذا مر بها يدعها بعيها فاذا جاوزهم
أصلحوها فانتفعوا بها . أما الغلام فكان أبواه مؤمنين ،
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما

خيرا منه زكاة وأقرب رحما . وأما الجدار فكان لفلامين
يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما
صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما
رحمة من ربك ، وما فعلت شيئا من تلقاء نفسى ، وما فعلته
عن أمرى ، بل بأمر ربك . ذلك تأويل ما لم تستطع عليه
صبرا .

- ١٩ -

وكان قارون من قوم موسى وكان حسن الصوت ، اذا
قرأ التوراة خشعت له القلوب ، وكان مؤمنا ، فأعطاه الله
من فضله ، وآتاه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة
أولى القوة ، وأحب ماله ، فمشغل به عن العبادة وبغى .

وفى يوم خرج فى موكب عظيم ، فى ثياب فاخرة ، تجرى
أمامه المراكب ، ويحف بموكبه الخدم والحشم ، فنظر الناس اليه
مدهوشين ، وقال الذين يريدون الحياة الدنيا :

— يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم :

— ويلكم ! ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها

إلا الصابرون .

وجاء أناس صالحون من قومه فوجدوه عاكفا على الشراب

وتحصيل اللذات ، فقالوا له :

— لا تفرح بما أوتيت ، وتفخر على غيرك ، ان الله لا يحب

الفرحين . وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين .

فقال لهم قارون :

— انما أعطانى الله هذا لعلمه أنى أستحقه ، وأنى أهل له ، ولولا أنى حبيب اليه لما أعطانى هذا المال الوفير .
— ان الله فد أهلك من قبلك من هو أشد منك قوة ، وأكثر جبراً .

وظل قارون يخرج على قومه فى زينة يفتنهم ، وظل فى لهوه وعبثه ، فراح موسى يؤنبه ، ويدعوه الى انفاق ذلك المال فى سبيل الله ، ولكن قارون صم أذنيه عن أن يسمع نصحه ، وضاق بذلك النصح ، فراح يفكر فى القضاء على موسى ، فاستدعى امرأة بغيا ، وأعطاهها مالا ، على أن تقول لموسى وهو فى مالا من الناس : انك فعلت بى كذا وكذا .

وجاءت اليه المرأة وهو قائم فى قومه ، فقالت له :

— يا موسى ، لقد جئت أشكو الى الناس ما فعلته بى .

فقال لها موسى :

— وماذا فعلت بك ؟

— فعلت بى كذا وكذا .

فأرعد موسى من الفرق ، وظل فى اضطرابه فترة ، ثم أقبل عليها يستحلفها ، ويسألها عما حملها على افتراء ذلك البهتان الكبير ، فقالت المرأة فى ندم :

— يا موسى ، حرضنى على ذلك قارون .

فخر موسى الله ساجدا ، ثم انطلق الى قارون وقال له :

— ما حملك على هذا ؟

— يا موسى ، أما لئن كنت فضلت على بالنبوة ، فلقد

فضلت عليك بالمال ، وما أنت بخير مني ، ولن شئت لتخرجن
فلتدعون على ، ولادعون عليك .

فخرج موسى في قومه ، وخرج قارون في قومه ، فقال له
موسى :

— تدعو أو أكون أول من دعا ؟

فقال قارون :

— أدعو أنا .

ووقف قارون يدعو الله أن ينزل غضبه بموسى وقومه ، فلم

يستجب الله دعاءه ، فقال موسى :

— أدعو ؟

قال :

— نعم .

فقال موسى :

— اللهم من الأرض فلتطغ اليوم .

فخسف الله به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه

من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون :

— ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ،

لولا أن من الله علينا لخسف بنا ! ، ويكأنه لا يفلح الكافرون .

بقى اليهود فى التيه لا يفكرون فى الدخول الى الأرض المقدسة ، فانها محرمة عليهم أربعين سنة ، ومات السنون ، فمات هارون ، فحزن بنو اسرائيل عليه ، فقد كان عليهم ليئا ، ومات بعده موسى ، فشق ذلك عليهم ، وراحوا يبيكونه ، والتفوا حول فتاه يوشع بن نون ، وما انقضت سنون التيه حتى قادهم يوشع لحرب الجبارين والدخول الى أرض فلسطين .

داود

(واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب «
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق ، والطير محشورة كل لله أواب .
وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكم وفصل الخطاب)
« قرآن كريم »

- ١ -

خيمة الرب التى يعبد فيها يهوذا اله اسرائيل غارقة فى
الدنس ، فالكاهن على اتخذ خدمة المعبد تجارة لجمع الأموال ،
ووقف أبناؤه ببانها لتحصيل الذات ، أنهم يترصدون الفتيات
الاسرائيليات الجميلات ليضاجعوهن قبل الدخول للعبادة
والاستغفار ! وان على ليعلم بما يأتيه أبناؤه ، فلا يزجرهم
وقد تفشيت الفاحشة فى بنى اسرائيل ، وصارت طابع
الجميع ؟ !

وكان يعيش فى تلك الخيمة شمويل ، ذلك الغلام الهابط
من نسل النبوة ، الذى وهب حياته لعبادة الله ، فكان يدعو
بقلب طاهر ، ولولا ذلك الغلام المبارك لأنزل الله عذابه بالخيمة
الغارقة فى المعاصى والمنكرات .

وفى ذات ليلة دخل شمويل لينام الى جنب الشيخ

عالى ، وفيما هو غارق فى نومه ، بلغ سمعه صوت أشبه بصوت
الشيخ يدعوه :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا أبتاه ! دعوتنى ؟

فنظر الشيخ الى الغلام فى انكار ، ثم قال له :

— يا بنى ارجع فتم .

فرجع شمويل فنام ، واذا بصوت الشيخ يدعوه :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا أبتاه ! دعوتنى ؟

فقال له الشيخ وهو نائم :

— ارجع فتم ، فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى .

فرجع شمويل وما ان داعبه النوم حتى سمع صوتا أشبه
بصوت الشيخ يدعوه :

— شمويل ... يا شمويل قم .

فقام ونظر أمامه فاذا بجبريل يحادثه :

— اذهب الى قومك ، فبلغهم رسالة ربك ، فان الله قد

يعتلك فيهم نبيا .

وظل جبريل يوحى اليه ما شاء الله ان يوحى اليه .

وأصبح الصبح فقال تعالى لشمويل :

— ماذا حدث البارحة ؟

فقال شمويل :

— لقد أوحى الله الى أنه سينزل غضبه عليك وعلى بيتك ؟

جزاء لسكونتك على ما يفعله أبناؤك من المنكرات .

فأطرق الشيخ مليا ثم قال :

— أتوب الى الله ، وأترب له قربانا .

— لن يكفر عن خطاياكم شيء .

فقال على نى استسلام :

— هو الله ، يفعل ما يشاء .

— ٢ —

صار شمويل نبيا لليهود ، يدعوهم الى عبادة الله ،
وهجر السيئات ، فكانوا يصغون الى دعوته ويعجبون بها ،
ولكنهم ما كانوا يعملون على اتباعها ، فقد غرتهم الدنيا ، وصاروا
عبيدا للذات .

وكانت العداوة قائمة بين الفلسطينيين وبنى اسرائيل
فكانت الحرب تنشب بينهما فى كل حين ، تاهب الفلسطينيون
لقتال اليهود ، واستعد بنو اسرائيل للنزال ، ودارت معركة
بين الجمعين ، فانهزم اليهود وانكسروا ، وقتل منهم خلق
كثير .

واجتمع شيوخ اليهود يفكرون فيما أدى الى هزيمتهم
النكراء وأخذوا يتشاورون ، فأرجعوا سبب تخلى الله عنهم
الى أنهم خرجوا للقاء أعدائهم دون أن يأخذوا معهم التابوت
المبارك ، الذى وضعوا فيه الألواح المقدسة ، وبقيّة

ما ترك موسى وآل هارون . انهم ما حاربوا أعداءهم
ومعهم التابوت الا أيدهم الله بنصر من عنده ، فبعثوا
الرجال ليحضره ، ليبدل خوفهم أمنا ، ويقلب الهزيمة
نصرا .

وجيء بالتابوت ، فدبت الحماسة فى صدور اليهود ،
فهنفوا مستبشرين ، فتجاوب الهتاف فى أرجاء المكان ، وبلغ
مسمع الفلسطينيين ، فأشاع الخوف بينهم ، وزاد فى
خوفهم علمهم أن اليهود قد أحضروا التابوت الذى به
ينصرون .

وقام رجل بين الفلسطينيين يحمسهم ويحضهم على
القتال ، فقال لهم :

— يا قوم ، لقد جاءكم أعداؤكم بالهجم لقتالكم ، فاذا
أصابكم الوهن ، فستهزمون وتصبحون عبيدا لليهود بعد
أن كانوا عبيدا نكم ، فحاربوا عن نسائكم وأبنائكم وأعراضكم .

وهجم الفلسطينيون على الأعداء هجوم الليوث ، ففر اليهود
مفزعين ، فقد كانت قلوبهم خواء ، وما كانت هتافاتهم المدوية
للتابوت الا صيحات جوفاء ، أطلقتها الحناجر لتذهب فى الهواء .

تداعى اليهود قتلى تحت سيوف الفلسطينيين ، ونجا بجلده
من أطلق ساقية للريح ، وسقط التابوت غنيمة باردة فى أيدي
الأعداء ، واستمر الهاربون فى جريهم ، حتى ابتعدوا عن ميدان
الطعن والنزال .

ودخل رجل المدينة وهو ممزق الثياب ، يعلو رأسه التراب ،
وفى وجهه هلع واضطراب ، فقام الناس اليه يسألونه :

— ماذا وراءك ؟

فقال وهو يتلفت كأنها يعدو خلفه مارداً جباراً :

— الهزيمة والانكسار .

فارتجت المدينة بالصياح ، وبلغت الأصوات مسامع عالي ،

فقال :

— ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

وكان الرجل قد وصل إلى عالي ، فقال للشيخ الجالس على

كرسيه :

— هزمنا هزيمة منكراً .

— وماذا فعل الناس ؟

— قتل منهم الآلاف .

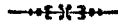
— وأبنائي ؟

— قتلوا جميعاً .

— والتابوت ؟

— أخذته الأعداء .

وبان في وجه الشيخ القهر الشديد ، وعلاه عبوس ، ومال إلى الوراء في ضيق ، فسقط عن كرسيه ، فوقع على رأسه ودقت عنقه أمام خيمة الرب ، في نفس المكان الذي كان يضطجع فيه أبناؤه مع فتيات إسرائيل الجميلات ، الواعدات للعبادة والاستغفار !



ومرت السنون ، وشمويل يدعو اليهود الى الله ، وفى ذات يوم جمعهم ، وقال لهم :

— توبوا الى الله ، وأخلصوا له ، وانزعوا من عبادة البعليم والعشتاروت والآلهة الغريبة التى لا تنفعكم ولا تضركم ، وأعبدوه وحده يخلصكم من أعدائكم ، وينصركم عليهم .
فقالوا له :

— تبنا الى الله وأئبنا .

فأمرهم أن يصوموا ذلك اليوم ، تطهيرا لنفوسهم ، وتقربا الى الله ، ليؤيدهم بنصر من عنده ، ودارت المعارك بين بنى اسرائيل وأعدائهم ، فانتصر اليهود ، لأن شمويل طهرهم من رجسهم ، وبث فيهم روح النضحية والاقدام . وأصبح شمويل شيخا ، فاجتمع أكابر بنى اسرائيل يديرون قذاح الرأى بينهم ، ثم ذهبوا الى نبيهم وقالوا له :

— يا شمويل ، أصبحت شيخا وقد جئناك لتدعوا ربك ، ليجعل علينا ملكا يحكمنا ويجمعنا حوله ، ككل شعوب الأرض ، ويقودنا لنقاتل فى سبيل الله .

فقال لهم شمويل :

— اننى ان ذهبت أترككم الله وهو خير راع لكم .

فقالوا له :

— يا شمويل اننا نعلم ذلك ، ولكننا نريد ملكا يلم شملنا ، ونلنف حوله .

فقال لهم شمويل ليردهم عن رأيهم :

— أتعلمون ماذا يفعل الملك فيكم ؟ سيأخذ أبناءكم ليركضوا أمام مراكبه ، ويجعل لنفسه آلاف الخدم والمبيد ليدثرثوا أرضه ، ويحصدوا حصاده ، يأخذ بناتكم سرارى وحظايا ، ويستولى على أجود أراضيكم ليمنحها عبده ، ويسخر عبيدكم وجواريكم ليعملوا فى أرضه ، وستصبحون جميعا عبدا له ، وستضرعون الى الله أن يخلصكم منه ، ويومها لن يسمع الله دعاءكم .

فقالوا له :

— يا شمويل ، اننا نعلم كل ذلك ، اننا نقبله . ان كل ما نبغيه أن يكون علينا ملك ، يجمع كلمتنا ، ويقودنا لقتال أعدائنا الذين أذلونا .

فقال لهم شمويل :

— هل عسيتم أن كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ؟

فقالوا له :

— وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

وراح شمويل يصرخ الى الله ويدعوه أن يجيب رغبة قومه ، وفيما هو فى دعائه أوحى الله اليه أنه سيجعل طالوت عليهم ملكا ، فخرج شمويل الى قومه ، وقال لهم :

— يا قوم ، ان الله استجاب لدعائنا ، وسيبعث لنا ملكا .

فقالوا له فى لهفة :

— من هو ؟

فقال شمويل فى هدوء :

— طالوت .

فانبعث من الناس أصوات استنكار ، فقد كان طالوت رجلا فقيرا ، وقال بعضهم :

— كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

قال شمويل :

— ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يعطى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم .

وقال قائل منهم :

— وما أدرانا أن الله اختار طالوت ليكون ملكا علينا ؟

فقال لهم نبيهم :

— ان آية ملكه أن يأتاكم التابوت ، فيه سكينه من ربكم ، وبقيته ما ترك آل موسى وإل هارون ، تحمله الملائكة ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين .

وانتظر بنو اسرائيل آية الله ، واذا بهم يجدون التابوت أمامهم ففرحوا وهتفوا بحياة طالوت ، الملك الجديد .

— ٤ —

جمع طالوت بنى اسرائيل حوله ، وراح يفودهم من نصر الى نصر ، وجاءه شمويل يوما وقال له :

— ان الله يأمرك أن تذهب الى العماليق وأن تحاربهم ، فاذا انتصرت عليهم فاذبح رجالهم ونساءهم وأطفالهم وأبقارهم وجمالهم وحميرهم ، ولا تدع لهم شيئا .

فجمع طالوت جموعه وانطلق لقتال العماليق ، فهزمهم ،
وأسر أجاج ملكهم ، ودخل اليهود مدنهم ، فلما وجدوا الأبقار
والجمال والخراف تحرك فيهم طمعهم ، وعز عليهم أن يقتلوا
هذه الأنعام تنفيذا لأمر الله ، فراحوا يقتلون الأغنام الهزيلة ،
ويسوقون أمامهم العجول الحنيذة ، والأبقار الجسيمة ، والجمال
الكريمة ، والخراف السمينة .

وجاء شمويل ودخل على طالوت ، فقام طالوت إليه ،
وقال له :

— أنت رجل مبارك ، أمرتني بما أوحى الله إليك ، فخرجت
إلى العمالقة وهزمتهم ، ونفذت إرادة الله .

فقال شمويل :

— ولكنك لم تنفذ أوامر الله ، اننى أسمع رغاء الأبل ؛
وثغاء الشاء .

— لقد أخذ الشعب هذه الأغنام لتذبح تقربا لله .

— أن تصدع لأوامر الله خير من أن تتقرب إليه بذبيحة .

— اننى أتوب إلى الله .

— وأجاج ملكهم ، لماذا أسرته ولم تقتله .

— وجدت أن فى أسره إذلالا له .

— اقتله ، اقتله الآن .

— أفعل .

— أصبحت ملك إسرائيل يوم كنت متواضعا فى نفسك ،

فما الذى غرك لتعصى أوامر الله ؟

— سأنتزع إلى الله أن يغفر لى خطيئتى ، تعال ابتهل إليه

معنى أن يعفو عنى .

فقال شمويل :

— لا اذهب مع من عصى أوامر الرب .
وأراد شمويل أن ينصرف ، فأمسك طالوت بذيل جيبته
غتمزق .

فقال شمويل :

— يمزق الله مملكة بني اسرائيل عنك .

فقال طالوت متوسلا :

— لقد أخطأت ، والآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي ،
وأمام اسرائيل ، وارجع معي فأسجد لله وأدعوه أن يغفر
ذنبي .

وسجد شمويل وطالوت لله يلتمسان غفرانه .

— ٥ —

دخل طالوت قصره ، فأحس انقباضا ، ان كلمات
شمويل لترن في أذنيه موحشة مخيفة : « يمزق الله مملكة
بني اسرائيل عنك » ماذا لو استجاب الله دعاء نبيه ؟ انه
كان رجلا فقيرا وأن الله أكرمه حتى صار ملكا ، وأنه قد ألف
عيشة الملوك ، وأنه ليحز في نفسه أن تزول عنه أبهة الملك
والسلطان .

وبقى طالوت قلنا حزينا ، فلما دخل عليه غلمانهم انكروه ،
وقالوا له :

— روح عن نفسك يا مولانا .

فقال طالوت :

— ان الأفكار السود تعبت بي .

— ابعث الى رجل يحسن الضرب على العود ، يبدد من حولك هذه الكآبة .

فقال احد الظلمان :

— أعرف غلاما يرمى الغنم ، يحسن الضرب على العود ، اذا غنى أصغى الكون ، وخشعت القلوب ، ان صوته عذب لا يحاكيه صوت فى الوجود .

— على بهذا الغلام ؟

فخرج العبيد يبحثون عن داود حتى اذا عثروا عليه عادوا به الى الملك ، وراح طالوت ينظر اليه ، فارتاح الى منظره ، كان أشقر جميلا ، وكانت عيناه زرقاوين ، وكان فى وجهه صفاء يعكس صفاء نفسه ، وكان قصيرا ولكنه ما كان قميئا .

وأخذ داود يضرب على العود ، وما أبعثت الأتغام حتى أحس طالوت كأنما السحر يسرى فى الهواء ، وشعر بالضيق يجلو عن صدره ، وبالنشوة تمشى فى أوصاله ، وأرتفع صوت داود العذب الحنون يمجده الله :

يا رب ! ما أعظم أسمك فى الأرض

ويا لروعة جلالك فوق السموات

الأطفال والرضع يسبحون بحمذك

وطيور السماء تتقدس لك

والقمر والنجوم صنع يمينك

يا رب . ما أجد أسمك فى الأرض

وإذا بطالوت يشعر بروحه تهيم فى ملكوت السماء ، انه يحس كأنما خلق خلقا جديدا ، فالراحة تلفه ، والنشوة تسكب فيه ، والطمأنينة تغشاه .

أمر طالوت بنى إسرائيل أن يستعدوا لقتال أعدائهم ، فتأهب اليهود للقتال ، وخرج فيمن خرج أخوة داود ، أما هو فبقى يرمى غنم أبيه ، وقبل أن ينطلق الجيش ، قال طالوت لجنوده :

— ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فانه منى ، الا من اغترف غرفة بيده .

وسار الجيش حتى اذا وصلوا الى النهر ، راح الرجال يشربون منه ، وعصوا أمر طالوت الا قليلا منهم ، فأمر طالوت من عصوه ان يقتلوا راجعين ، لأنه لا خير فى جنود لا يطيعون أوامر قائدهم .

وعبر طالوت والذين معه النهر ، وأصبحوا أمام جيش جالوت حاكم الفلسطينيين ، فلما رأوا جيش جالوت الجرار ، مشى الرعب فى أوصالهم ، وقالوا :

— لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .

فقال المؤمنون الذين يظنون أنهم ملاقوا الله :

— كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . وانطلق جيش طالوت حتى أصبح أمام جيش جالوت ، فدعا المؤمنون ربهم :

— ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

بدأت المناوشات بين الجيشين ، فكان الرجال يخرجون

للرجال ، وبرز من بين صفوف الفلسطينيين ملكهم جالوت ، وكان طويلا جدا ، فى وجهه صرامة ، بيعت منظره الرعب فى القلوب ، ويزلزل الأرض تحت أقدام الأبطال الصناديد .

ووقف يتألق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خوذة من نحاس تتألأ فتنبعث منها أشعة تشيع فى صفوف بنى إسرائيل رعبا شديدا ، وكان يخيل لبنى إسرائيل أن درعه النحاسية حصن منيع ، وكان فى يده رمح هائل يترجح على سنانه المنون ، وصاح فى صوت يقصف كالرعد :

— يا طالوت لم يقتل قومى وقومك ، اخرج لقتالى أو أخرج لى من شئت ، فان قتلتك كان الملك لى ، وان قتلتنى كان الملك لك .

وساد فى ميدان القتال سكون رهيب ، ولف الخوف معسكر اليهود ، فما كان أحد منهم يجرؤ على أن يفكر فى التقدم لقتال ذلك الجبار الرهيب ، وصاح طالوت فى جنوده :

— من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرج أحد ، فما كان أحد ليرمى نفسه فى أحضان الموت عن طواعية . وتقدم جالوت صوب صفوف اليهود ، فتأخروا مرعوبين ، فضحك جالوت ، وجلجلت ضحكاته ، وانبعثت الهتافات من صفوف جنوده ، وتطايرت عبارات الزرابة والاستخفاف .

ومرت الأيام وجالوت يبرز كل يوم بين الصفوف يدعو الرجال للنزال ، فلا يجرؤ أحد على أن يخرج له ، فحز ذلك فى نفس طالوت ، وأراد أن يشجع الرجال على الخروج

لقتال ذلك الطاغية الذى يسخر منهم كل يوم ، فصاح فى جنوده :

— من يقتل جالوت كرمته وزوجته ابنتى ، وجعلت بيت ابيه حرا فى اسرائيل .

فلم يفر ذلك الوعد احدا من بنى اسرائيل ، فقد كانوا على يقين من أن من يخرج لقتال جالوت سيزرف الى الموت قبل أن يزف الى ابنة طالوت .

وانتضى اربعون يوما على الحرب وجالوت يخرج كل يوم بين الصفوف يتألق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خوذته المتألثة التى تبعث الرعب فى قلوب بنى اسرائيل ، وفى يده رمحه الهائل الذى يترجع على سناناه المنون ، ويصيح بالرجال الصناديد أن يخرجوا لقتاله ، فلا يجرؤ أحد على الخروج . كانت سخرية جالوت بهم مريرة ، تحز فى نفس ملكهم طالوت .

ترك داود غنمه ، وذهب ليرى اخوته المحاربين ، ويطمئن عليهم ، ويقدم لهم بعض الطعام ، وبلغ داود ساحة القتال فوجد الحيشين قد اصطفا للنزال ، وقد برز جالوت بين الصفوف ، وأخذ يصيح فى زراية واعتداد :

— أما من احد يريد أن يقاتلنى ؟

انكمش اليهود ، ولم يتقدم منهم أحد ، فأحس داود دماؤه تشور فى عروقه ، وتندفق حارة الى رأسه ، فما بال هؤلاء الرجال يحجمون عن قتال ذلك الرجل ، فانطلق داود من بين الصفوف كعاصفة مزمجرة ، وصاح :

— انا اقاتلك .

فهرع أخوة داود اليه ، وصاحوا به :

- أمجنون أنت ؟ انه جالوت .
- ان من هو أقوى من جالوت يؤيدنى .
- عد الى غنمك يا داود ، انك تقدم على الانتحار .
- وتقدم طالوت منه وقال له :
- انك غلام وهو رجل حرب منذ صباه .
- دعنى يا مولاي أقتله ، ان الله معى ،
- فقال له طالوت :

— اذهب والله يرباك .

والبس طالوت داود ثيابه ، وجعل خوذة من نحاس على رأسه ، والبيسه درعا ، وقلده سيفا ، وهم داود بالسير ، ولكنه لم يقدر ، فنزعها داود عن نفسه ، وقال لطالوت :

— انى أجيد استعمال المقلاع ، فما صوتته الى شىء الا أصبته .

وتقدم داود فلما رآه جالوت غلاما صغيرا ، نظر اليه فى استخفاف وقال له :

— يا فتى ارجع ، فانى لا أريد ان أقتلك .

فقال داود فى حزم :

— لا ، بل أنا أقتلك .

وساد المعسكرين هدوء ، وشرأبت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وأخرج داود من جرابه حجرا ، ووضعها فى المقلاع ثم أداره وأرسل الحجر ، فأصاب به عين جالوت فسقط ، فأسرع داود اليه ، وقعد على صدره وحز رأسه ، فانبعثت أصوات الهلع من صفوف الفلسطينيين ، وانبعثت أصوات التهليل من صفوف بنى اسرائيل .

قتل داود جالوت ، فزلزل ذلى قلوب الفلسطينيين ، فما دار بخلدهم أن غلاما يقدر على ملكهم الجبار العتيق ، وبعث ذلك فى صدور بنى اسرائيل الحماسة فشدوا على أعدائهم النكير ، وأعملوا فيهم القتل حتى فروا من أمامهم مهزومين .

- V -

وعاد طالوت منتصرا ، فخرج بنو اسرائيل لاستقباله ، وراحت الاسرائيليات يرقصن ويغنين فرحات مستبشرات ، وأخذن ينشدن أن الملك ضرب أعداءه ، وأن داود استحق أن يتزوج ربوات ابنة الملك ، فأحس طالوت بعض الكدر ، فما كان داود الا راعيا يرعى الغنم ، لا يليق أن ي صاهر الملك ، ونسى طالوت أنه كان سقاء قبل أن يختاره الله ملكا لبنى اسرائيل !

كان داود متواضعا فى نفسه ، فلم يلتمس أن ينفذ الملك وعده ، وبزوجه ابنته ، أنه ما خرج لقتال جالوت طمعا فى ربوات ، ولكنه تقدم لقتله ارضاء لاله اسرائيل .

وعين طالوت داود قائدا لجيوشه ، فكان لا يخرج الى نزوة الا عاد منها منتصرا ، واشتهر داود وعلا ذكره ، أحبه الشعب حبا جما ، ورأى الملك أن ي صاهره ، فبعث اليه من قول له :

— ان الملك يوافق على أن يعطيك ابنته ميرب لو طلبتها زوجة لك .

فقال داود فى صدق :

— ومن أنا حتى أصاهر الملك ! ؟

وتزوجت ابنة الملك الكبرى من رجل اخر ، واستمر داود

فى غزواته ، ودخوله وخروجه أمام الشعب ، فأصبح محط آمال
الاسرائيليين ، وشغفت ميكال ابنة الملك به حبا ، فأرسلت الى
أبيها من يذكر له أن ميكال ابنته تهوى داود ، ولا تطيق العيش
بعيدة عنه ، فبعث طالوت اليه الرسل يقولون له :

— ان الملك يحبك وتدرك ، وانه يرى أن يزوجك ابنته ميكال
الظهارا الاعجاب به بك ، ومكافأة لك على الوفاء والاخلاص .

فقال داود :

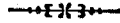
— ومن أنا حتى أصاهر الملك ؟ !

— انك قائد المظفر ، الذى يسير النصر فى ركابه ، انك
طالع السعد فى مملكته .

— اننى رجل فقير ، وليس من الهين على رجل مثلى أن
يصاهر الملوك .

— انك رجل حرب قدير ، وبمثلك توطد العرش .

واستمر الرسل فى اثناع داود بقبول الزواج من ميكال التى
تحبه ، حتى ائتمن ، وتم الزواج ففرحت ابنة الملك العاشقة ،
وزاد داود بتلك المصاهرة علوا ورفعة فى أعين بنى اسرائيل .



زاد داود علوا ورفعته فى عين بنى اسرائيل ، وزاد حبه الشعب له ، فأحس طالوت عوامل الغيرة تتحرك فى نفسه ، وأخذت الغيرة تزداد حتى فكر طالوت فى قتل داود .

كانت تلك الفكرة تراوده وتستولى عليه وتستبد به ، وفى ذات ليلة أمضى الى يونانان ابنه وولى عهده ، أنه سيقتل داود ، ليبقى على الملك فى أسرته ، فداود أصبح خطرا على العرش ، ان قلوب الشعب تلتف حوله ، وأن الزمن حليفه ، فإذا ما ترك حيا فلن يحول بينه وبين الملك حائل .

كان يونانان يحب داود حبا جما ، ويقدر مواهبه ، فهرع اليه وقال له :

— أبى يلتمس الليلة قتلك ، فاهرب من وجهه الى الخلاء ، واختبئ فإذا أسفر الصبح عن وجهه ، خرجت أنا وأبى الى قرب مخبئك وتحادثنا عنك فتسمع ما يدور بيننا من حديث .

وهرب داود من وجه طالوت ، فلما أصبح الصبح خرج طالوت وابنه وأقبلا حتى وقفا بالقرب من مخبأ داود ، وقال يونانان :

— ليت الملك لا يخطيء فى حق عبده داود ، لأن داود لم يخطيء فى حقك ، أنه لبيدك تصارى جهده ارضاء لك ، لقد شهر نفسه فى يدك سيفا على أعدائك ، وأنزل بهم

التهزائم ، أنك لا ترضى أن تزيق دما بريئا . تذكر أن الرب
الذى اختارك ملكا على هذا الشعب يرقب أعمالك ، ويعرف
ما تخفيه فى صدرك .

فأطرق طالوت قليلا وقد أحسن ندما على ما فكر فيه ،
فقال :

— أقسم أن لا أمد يدي إلى داود بأذى ما حييت .
وعاد طالوت وابنه إلى القصر يتسامران ، وخرج داود
من مكمنه وانطلق إلى الملك ، فقابلته باشا مرحبا .

وخرج داود لقتال الفلسطينيين ، فضربهم وانتصر عليهم ،
وعاد إلى بنى إسرائيل مظفرا ، فاستقبلوه استقبالا فخما رائعا ،
وبلغت مسامح طالوت هتافات الجماهير ، فتحركت الغيرة فى
صدره ، وراحت تعذبه وتضنيه .

وجلس داود يوما إلى الملك يشجيه بصوته الحنون ،
وكان الملك مطرقا وفى يده رمح ، لم يكن يصغى إلى الصوت
العجيب الذى ينفث السحر ، بل كان يصغى إلى شيطانه
الذى كان يوسوس له أن يقتل من سلبه حب شعبه ، ورفع
الرمح وطعن داود ، ولكنه أخطأه ، فنهض داود وفر من
وجهه .

هرب داود إلى بيته ، وذهب إلى ميكال ، يقص عليها
خبره ، فقالت له ميكال :

— اننى أعرف أبى ، أهرب بنفسك الليلة ، لأنه سيبعث
فى أثرك من يقتلك .

وهم داود بالخروج ، فقالت له ميكال :

— لا تخرج من الباب ، أن عبيد أبى يرصدونك ، ويرقبون
خروجك ليقتلوك ، تعال .

وساعده على الخروج من كوة فى الحائط ، فانطلق هاربا من الموت الذى ينتظره عند الباب .
ووضعت ميكال فى فراش داود تمثالا ، وغطته بغطائه ، لتخدع الرجال الواقفين بالباب يتجسسون . وأرسلت الشمس أشعتها الأولى ، فسمعت ميكال طرقا على الباب فذهبت لتحدث عبيد أبيها ، فلما انفرج الباب قالت للرسل الذين أرسلهم الملك :

— ماذا تبفون ؟

— ان مولانا يطلب داود .

فقالت ميكال فى هدوء :

— ان زوجى مريض .

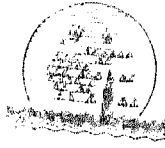
وعاد الرسل الى الملك ، فأمرهم أن يأتوا اليه بداود فى فراشه ، وقتل الرسل عاتدين ، وما دخلوا حجرة داود حتى وجدوا التمثال نى استقبالهم .

وأشتد غضب طالوت ، وصاح بابنته :

— لماذا اطلقت عدوى حتى فر من يدى .

فانبرت الزوجة المحبة تدافع عن زوجها ، ولكن ذلك الدفاع لم يذهب بغضب الملك ، فبعث رسله ينقبون عن داود .

وجاء اليه رسله يخبرونه بمكانه ، فخرج اليه فى جنوده ، وما أن وصل الى حيث كان حتى وجده والنبي شمويل يصليان الله فى خشوع ، ويشع من المكان نور الهى عجيب ، وتطوّف به نفحات ربانية تغمر بالايمان القلوب ، فانقشع الحقد عن صدره ، وهبت عليه نسائم من الرحمة ، وتذكر ما فعله الله له ، وأنه أكرمه وجعله ملكا على شعبه ، فخلع ثيابه ، وذهب يصلى الله ، يدعوهُ فى ذلة وانكسار .



— ٩١ —

قابل داود يونانان وقال :

— ماذا جنيت حتى يلتبس أبوك قتلى ؟

فقال له يونانان :

— سامحك الله ، ان أبى قد عفا عنك .

— اننى أحس الشر يحيط بى من كل مكان .

— ان أبى لا يفعل شيئا الا أخبرنى به ، فلو كان ينوى قتلك

حدثنى عن ذلك .

— لقد علم أبوك حبك لى ، فأخفى عنك عزمه .

فأطرق يونانان قليلا ثم قال :

— وماذا ترى ؟

— ان غدا أول الشهر ، وان على أن أشارك الملك فى

مجلسه فى الوليمة التى يعدها كل شهر ، ولكننى أرى أن

أتخلف عن هذه الوليمة ، فاذا سأل أبوك عنى ، فقل له : ان

داود استأذنى فى الذهاب الى بيت لحم ، ليقدم قربانا الى

الرب ، فاذا قال الملك : « حسنا » ، كان ذلك دليل الرضا

والسلام ، أما اذا غضب وثار كان ذلك آية على ما يضر لى

من شر .

واتفقا على أن يختبئ داود حتى يكشف يونانان خبيثة نفس

أبيه ، ويخبره بما يضر له . قال داود لصديقه :

— أخشى إذا جئت الى أن يبعث الملك رجاله فى أترك
يتعمقونك ليهدتوا الى مكانك .
فقال يونانان وهو يفكر :
— فماذا نفعل ؟
فقال داود وهو يضغط على يد صديقه فى ولاء : والله
لا أدرى .

فقال يونانان :
— اخرج مع غلام من غلمانى فاذا كان الملك راضيا عنك ،
فسأرى سهامى وأمر الغلام أن يلتقط السهام القريبة منه ،
أما اذا كان الملك حاقدا عليك ، فأمر غلامى أن يلتقط السهام
التي تجاوزته .

وانطلق داود يختبئ ، وذهب يونانان الى القصر ، وواهى
ميعاد الوليمة ، فجلس الملك فى صدرها ، وجلس كل فى مكانه ،
وبقى متعد داود خاليا ، ومر اليوم الأول ، ولم يقل الملك شيئا ،
وجاء اليوم الثانى ، وجلس كل فى مكانه ، وبتى متعد داود خاليا ،
فقال الملك :

— أين داود ؟ غاب اليوم ، وغاب الأمس .

فقال يونانان :

— الشمس داود منى أن أسمح له بالذهاب الى بيت لحم ،
ليقدم الى الرب قربانا . وسألنى أن يذهب ليرى اخوته ،
فأذنت له .

فغضب طالوت غضبا شديدا ، وصاح بابنه :

— يا أحمق ، ألا ترى أنه ما دام داود يمشى على وجه
الأرض ، فلن تبرع يوما على عرشك ؟ ! أبعث من يأتى به ،
الأقتله .

— كيف نقتله ولم يفعل ما يوجب القتل ؟ حرام أن تهدر
دما بريئا .

— اننى أقتله من أجلك .

— لا أرضى أن تسفك الدماء باسمى .

— عزيز على أن أرى الملك يفلت من بين أصابعك ، وأنا
أنظر لا أفعل شيئا .

— أين ذهبت حكمتك .. أنسيت أن الله يعطى الملك من
يشاء ؟

— ان حكمتى تهيب بى أن أقتله ، اذا تربع على العرش ،
فلن يترك تمشى فى الأرض يوما ، سيفقتلك ويقتل أسرتك جميعا ،
فما كان لملك جديد أن يترك أحدا دون ذبح من أسرة من سبقه ،
اننى سأقتله لأحييكم جميعا .

مقال يونانان وهو يغادر المكان :

— لن أسمح بذلك ما دام فى عرق ينبض .

وانقضت الليلة ، وبرزت الشمس تريق ضياءها على الكون ،
وخوج يونانان و غلام صغير يحمل قوسه وسهامه ، وما ان
بلغ مكان اختفاء داود حتى تناول القوس ، ووضع فيه السهام ،
وأطلقها بعيدا ، وصاح بغلامه :

— التقط السهام التى تجاوزتك ، أسرع ، اركض ، لا تقف .
وفهمها داود ، فخرج على حذر ، وانطلق وهو يترقب ، فالملك
حاقد عليه يريد اغتياله ، لقد أصبح طريد القانون ، فراح يحث
الخطا هاربا بحياته .

أصبح داود طريد القانون ، انه عرضة للقبض عليه فى اية لحظة ، وتنفيذ القتل فيه ، وان من ييدى له صداقته يعرض نفسه للمهالك ، واستمر فى فراره حتى وصل الى نوب مدينة الكهان ، ودخل على أخيك الكاهن ، فاضطرب الكاهن لما رأى داود قد دخل عليه وحيدا ، فما اعتاد أن يراه الا فى جنده وابتهه ، وأوجس خيفة ، فقال له فى ريب :

— لماذا أنت وحدك ؟

فقال داود فى همس كأنما يفضى الى الكاهن بسر :

— أمرنى الملك أمرا وأوصانى الا يعلم به أحد ، لذلك خرجت وحدى ، حتى لا يفطن أحد الى خروجى .

وتلفت داود ثم قال :

— يمكنك أن تمدنى بطعام ؟

— ليس عندى الا الخبز المقدس .

وقدم له من الخبز الموضوع على مذبح يهوذا ، فلما تناول الخبز قال :

— يمكنك أن تمدنى بسلاح ، الاثنى خرجت على عجل

دون سيف أو رمح ؟

فقال كاهن نوب :

— ليس عندى الا سيف جالوت الذى قتلته ، فان رأيت

أن تأخذه فخذ .

فقال داود :

— على به ، انه سيف يثار .

وخرج داود لينضم الى أهله ، وما درى أن احد خدم طالوت كان فى المعبد يسترق السمع ، ويعمد عليه حركاته وسكناته .

وانضم الى داود أهله ورجاله والساخطون الثائرون على الحكم ، وراح الرجال يتناطرون عليه حتى اشئتد ساعده ، واحتمى بالجبال ، فلما بلغ طالوت خروج الرجال الى غريمه ، وقف فى رجاله وقال لهم :

— ما لقلوبكم قد تغيرت على ، وما بالكم تخفون عنى أن ابنى قد تعاهد مع داود ، ما بال أفئدتكم قد تحجرت ، أيمنحكم داود جميعا حقولا وكروما ، وينصبكم رؤساء على الجند ؟ ! ماذا فعل لكم داود حتى أصبحت قلوبكم معه .

فتقدم الخادم الذى رآه فى المعبد ، وقال فى هدوء :

— رأيت داود فى نوب يتحدث مع أخيك ، وقد أعطاه الكاهن مؤونة وسيف جالوت .

فبعث الملك من يحضر له أخيك وجميع أهل بيته ، فلما مثلوا أمامه ، قال الملك للكاهن فى غضب :

— ما الذى جعلك تتآمر على ، وتتحالف مع عدوى ؟

— حاشاى أن أفعل ذلك يا مولاي .

— منحت داود طعاما ، وأعطيته سييفا ، ونفحته

ببركتك .

— من من رعاياك أكثر اخلاصا لك من داود ! انه زوج

ابنتك .

— انه عدوى .

— ما كنت أعرف يا مولاي شيئاً من ذلك .
 ولم يصغ طالوت اليه ، وقال فى غضب :
 — فلتمت أنت وأهل بيتك .
 وصاح طالوت فى خدمه :
 — اقتلوا هؤلاء الذين تأمروا على الملك مع داود .
 وقف الخدم مشدوهين ، فما كانوا يظنون أن يأمر طالوت بقتل
 رهبان الرب ، ووطن طالوت الى ترددهم ، فصاح بهم :
 — اقتلوهم .
 ولكن أحدا من الخدم لم يتقدم ، فصاح فى الخادم الذى
 أفشى سر داود :
 — اقتلهم أنت .
 وتقدم الرجل يقتل أحيالك وأهل بيته ، ولم يشف ذلك
 الدم المسفوك غليل الملك ، فبعث جنوده الى نوب مدينة الرهبان ،
 فيضربوا أهلها بالسيف ، فسقط الرجال والنساء والأطفال
 صرعى ، ولم ينج الا غلام انطلق يخبر داود بما حل بنوب : مدينة
 الرهبان .

— ١١١ —

وترامى الى داود أن الفلسطينيين قد أغاروا على قعيلة ،
 الواقعة على الحدود بين اراضى اسرائيل والفلسطينيين ،
 فقال لرجاله أن يتأهبوا للخروج لقتال الفلسطينيين ، فقال له
 رجاله :
 — اننا هنا خائفون نترقب ، نخشى أن يهبط علينا طالوت

وجنوده ، فكيف تريد أن نذهب الى قتال الجبارين ؟

فقال داود لرجاله :

— سنخرج للقتال ، وسنتصر على أعداء اسرائيل .

فقال الرجال فى اضطراب :

— كيف نغادر الحصون لنذهب الى مدينة لها أبواب

وأسرار ؟

— أوحى الى أننا منتصرون .

وخرج داود وضرب أعداءه ، وساق أمامه الغنائم والأسلاب ، وبلغ طالوت أن داود ورجاله الثائرين قد دخلوا قعيلة ، فأيقن أنهم قد وقعوا فى يده ، فما أيسر أن يحاصروهم فى مدينة ذات أسوار وأبواب ، ولكنه ما أن بلغ المدينة حتى ألقى داود ورجاله قد خرجوا منها هاربين .

واحتفى داود فى الغاب ، وإذا برجل غريب قادم ، فامتدت

الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وإذا بصائح يصيح .

— انه يونانان .

فهرع داود للقاء صديقه الحميم ، وتعانق الصديقان ، وقال

يونانان :

— لا تخف ، ان يد أبى لن تصل اليك ، وستصبح ملك

اسرائيل ، وسأصبح خليفتك .

وتعاهد الصديقان أمام يهوذا أن يخلص كل منهما لأخيه ،

ثم قفل يونانان عائدا الى القصر ، وبقى داود هائما فى الغاب .

كان داود ورجاله يسكنون الكهوف ، وفى ذات يوم خرج

طالوت فى ثلاثة آلاف رجل يطلب داود ، واستمر فى تنقيبه حتى

بلغ الكهوف ، وأحس التعب يمشى فى أوصاله ، فدخل الى

كهف ونام .

كان داود ورجاله فى ذلك الكهف ، فلما رأوا طالوت نائما
قالوا لداود :

— هذا هو طالوت قد ساقه الله اليك ، قم فاقتله .

فقال داود فى اخلاص :

— حاشى أن أقتل رجلا اختاره الله ملكا لبنى اسرائيل .

وهم الرجال بالانقضاء على ملكهم ، فقال لهم زاجرا :

— حذار أن يمسه أحدكم بسوء .

وسار داود على حذر حتى اقترب من طالوت الفارق فى
سباته ، قطع طرف جيبه ، ثم عاد الى مكانه ينتظر استيقاظ
الملك .

قام طالوت من رقادته ، و انطلق صوب باب الكهف ، وما ان
خرج منه ، حتى مس أذنيه صوت يناديه :

— مولاي ! مولاي .

فقال طالوت فى عجب :

— هذا صوت داود . أنت داود ؟

— أنا داود عبدك المخلص ، لماذا تلقى السمع يا مولاي الى
من يوسوسون لك أننى أبغى أن أمد لك يد الأذى ، ان الشر
يا مولاي لا يصدر الا عن الأشرار ، اننى لا أحمل لك الا الحب
والاخلاص ، لو كنت أريد بك شرا ، فقد كنت اليوم تحت
رحمتى ، فما كان أيسر أن أقتلك ، ولكننى ما كنت أمد يدي الى
من اختاره الله ملكا علينا . انظر يا سيدى الى طرف جيبك ،
قطعته الأذلك على ولائى ، كانت روحك تتأرجح على طرف
سيفى ، فوهبتها لك ، وأنت تقطع القنار ، وتتجشم المتاعب
لتسلبنى روحى وما أسأت اليك . انى أتركك الله يحكم بيننا وهو
خير الحاكمين .

فانهمرت دموع طالوت وقال :

— أنت أبر منى يا داود ، ظفرت بى وعفوت ، قابلت الاساءة
بِالاحسان . يا للروح الخبيثة التى حلت بى ، كانت تهتف بى
أن اقتل داود ، ولكن ماذا فعل داود ؟

اننى أسأت البك يا ولدى ، وان الغضب أعمانى حتى قتلت
رهبان الرب دون ذنب ارتكبه . سأبتل الى الله ، وأدعوه
عله أن يغفر لى ذنبى .

ووقع فى فلب طالوت التوبة ، وندم وأثبل على البكاء وكان
كل ليلة يخرج يبكى وينادى :

— أنشد الله عبدا علم أن لى توبة الا أخبرنى بها .

فقال له قائل :

— هل تدري ما مثلك ، انما مثلك مثل ملك نزل قرية
عشاء ، فصاح الديك نتطير منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية
ديكا الا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام ، قال : اذا صاح الديك
شأيقظونا حتى ندلج ، فقالوا له : وهل تركت ديكا يسمع صوته ،
وأنت هل تركت عالما فى الأرض تسأله هل لك من توبة ؟
فازداد حزنه ، وانطلق يسح دموع الندم .

—•••••

وخرجت جحافل الفلسطينيين لقتال اسرائيل ، وتأهب
طالوت وجنوده للحرب ، ودارت المعركة رهيبة قاسية ،
طالوت يقاتل في حرارة ، ليكفر عن ذنبه ، انه كان متأهبا
بوجود دمه ، لعل الله يفر له دماء الرهبان الزكية ، التي
سالت كالانهار في نوب .

وانخلعت قلوب بنى اسرائيل أمام هجوم الفلسطينيين
الرهيب ، فولوا مدبرين ، وثبت طالوت وأبناؤه للقتال ، وراح
يوناثان يحارب في قوة ويأس ، يذب عن أبيه .

سقط يوناثان صريعا ، فأحس طالوت كأن خنسا جز تمزق
فؤاده ، وسقط أبناؤه حوله يخبطون في دمائهم ، فراح يئن
كوحش جريح ، وأصابه سهم في عنقه ، فسأل دمه غزيرا ،
فالتفت الى حامل سيفه وقال له :

— استقل سيدك وأطعنى به ، فانه أكرم لى أن أموت بسيفك
من أن أموت بسيوف هؤلاء الأوغاد .

فقال له الرجل وقد اتسع عيناه رعبا :

— مولاي ، حاشاى أن أفعل ما يؤذيك .

فصاح به طالوت :

— اضرب .

فقال الرجل في فزع :

— لا أستطيع .

فأخذ طالوت منه السيف ، وثبته في الأرض ، وجعل

طرفه المدبب فى قلبه ، ثملقى بنفسه عليه ، فلفظ نفسه
الأخير ، ورأى حامل السيف ما حل بمولاه ، فألقى نفسه على
سيفه ، فسقط الى جواره. يشاركه الممات .

وجاء الفلسطينيون يبسلبون القتلى ، فوجدوا طالوت
صريعا ، فحزوا رأسه ، ونزعوا سلاحه ، وراحوا يطوفون
بالرأس فى الأسواق ، وهم يتصايحون فرحا ، وفى ذلك
الوقت كان رجل من الاسرائيليين يفر مذعورا كأنها يقتفى أثره
الشياطين .

أقبل الرجل وقد شق ثيابه ، يحثو التراب على رأسه ،
فهرع داود اليه وقال له :

— من أين أنت ؟

— هربت من عسكر اسرائيل .

— كيف خلفتهم ؟

— فر الناس من المعركة مهزومين ، وقد سقط الرجال قتلى ،
وهصرع طالوت وابنه يونانان .

وشعر داود بالحزن يعتصره ، وفاضت فى نفسه مشاعر
الحب للملك الراحل ، وليونانان الصديق ، فراح يندبهما فى صوت
حزين :

مجدك يا اسرائيل صريع على شوامحك .

كيف سقط الجبابرة !

لا تذكروا هذا النبأ فى جت .

ولا تذيعوه فى سوارع أشقلون .

لئلا تفرح الفلسطينيات .

لئلا تشمت بنات الأجلاف .

يا جبال جبلوع .

- لا تدعى الطلل ولا المطر تتساقط عليك .
- ولا المراعى تنبت على سفوحك .
- لأن هناك ألقى مجن الجبابرة .
- مجن طالوت دون أن يمسح بالدهن المقدس .
- ان الحبيبين طالوت ويونانان لم يفترقا فى حياتهما .
- وها هو ذا الموت يجمع بينهما .
- كانا أخف من النسور ، وأشد من الليوث .
- يا بنات اسرائيل ابكين على طالوت بالدمع الهتون .
- طالوت الذى دثركن فى الديباج .
- وجعلكن ترفلن فى ثياب موشاة بالذهب .
- كيف سقط الجبابرة فى وسط المعمة .
- يا يونانان ، يا من قتلت حل .
- ان حزنى عميق عليك يا يونانان .
- كنت لى حبيبا .
- وكان حبك لى عجيبا .
- يفوق حب النساء .
- كيف سقط الجبابرة .
- وتكسرت أدوات القتال ؟ !

— ١٣ —

السنون تمر ، وداود فى عاصمة ملكه حبرون يحكم
عشيرته ، وابن طالوت على بنى اسرائيل ، وفى ذات يوم جاء
الناعى ينعى اليه ابن طالوت ، فعلم داود أن موعد تنصيبه ملكا
على اسرائيل كلها قد حان .

وجاء أكابر بنى اسرائيل اليه يدعونه ، ليكون ملكا على كل الأرض ، ونودى به على اسرائيل ، ولما كانت حبرون لا تصح لتكون عاصمة للمملكة كلها ، خرج داود وزوجاته ورجاله وجنوده وانطلقوا الى حصن اورشليم .

وأوحى الله اليه :

— يا داود ، انا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ، بما نسوا يوم الحساب .

وقسم داود الدهر ثلاثة أيام ، يوما يقضى فيه بين الناس . ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوما يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وفى ذات يوم خلا بنفسه يتعبد ، فراح يقرأ الصحف الأولى فوجد فيها فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب . فرفع وجهه الى السماء وقال :

— يارب ارى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطينى مثل ما أعطيتهم ، وأفعل بى مثل ما فعلت بهم :

— ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبطل بها ، ابتلى ابراهيم بذبح ابنه ، وابتلى اسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وانك لم تبطل من ذلك بشيء . فقال داود فى ابتهاال :

— يا رب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطينى مثل ما أعطيتهم . واستأنف داود حياته ، وخرج يوما الى سطح القصر ، فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا ، فحانت منها التفاتة ، فأبصرته ، فألقت

شعرها فاستقرت به ، فزاده ذلك فيها رغبة ، وشغل داود بها ،
وسأل عنها ، فعلم أنها زوجة أوريا الحثي ، وهو قائد من
تواده ، وراحت صورة المرأة الفتانة تلح على مخيلته ، وهو
يحاول أن يطردها ، وأخذ يشغل نفسه بالعبادة ، ولكن هيهات
أنه غارق في بحر لحي من التصورات التي تدور حول المرأة
الجميلة التي انطبعت في حسه .

وتوافدت الأفكار الى رأسه متدفقة متلاطمة ، وهمس في
نفسه هامس : لو قتل ذلك القائد في معركة من المعارك ،
لأصبحت المرأة له . واستولت عليه تلك الفكرة ، واستبدت به ،
فبعث الى صاحب المسلحة التي يعمل بها أوريا ، وأمره أن
يبعته لقتال عدو شديد البأس .

خرج أوريا للحرب ، ودار القتال ، واشتدت وطأته ،
وحى وطيسه ، وانجلت المعركة عن انتصار أوريا ، وعودته
منصورا ، فبعث داود الى صاحب المسلحة أن ابعته الى عدو
آخر أشد بأسا ، فخرج أوريا للحرب وما هي إلا أيام حتى عاد
منتصرا ، فكتب داود الى صاحب المسلحة أن ابعته ليفتح حصنا
من حصون الأعداء ، فذهب أوريا الى الحصن المثين وعند
أسواره سقط مقتولا .

بلغ داود نبا مصرع أوريا ، فأخذ زوجته التي فتنته وتزوجها ،
ليعيد الى نفسه الهدوء والاطمئنان !

عادت الطمأنينة إلى داود بعد أن أكمل زوجته مئة ، وعادت حياته إلى ما كانت عليه ، ولكن ذلك الهدوء لم يدم طويلا ، ففي يوم عبادته دخل إلى محرابه يمجّد الله بصوته الذي تخشع له الأفتدة والطيور والوحوش في الغاب وجاء رجلا ن يلتمسان مقابلته ، فقال لهما الحراسي :

— انه لا يستطيع أن يقابلكما اليوم ، لأنه في يوم عبادته .
فانطلق الرجلان إلى السور وتسلقاها ، ودخلا على داود وهو غارق في عبادته ، فما شعر الا وهما جالسان بين يديه ، فخاف منهما ، فقالا له :

— لا تخف ، نحن خصمان بقى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق .

قال لهما وقد أفرخ روعه :

— قصا على قصتكما .

فقال أحدهما :

— ان هذا أخي ، له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة ، فهو يريد أن يأخذ نعجتى فيكمل بها نعاجه مائة . فقال داود للآخر :

— ما تقول ؟

— ان لى تسعا وتسعين نعجة ، ولاخى هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أخذها منه ، فأكمل بها نعاجى مائة .

— وهو كاره ؟

— وهو كاره .
 — اذا لا ندعك وذاك .
 — ما أنت على ذلك بقادر .
 — فان ذهبت تروم ذلك ، ضربنا منك هذا وهذا .
 وأشار الى طرف الأنف والجبهة ، فقال الرجل :
 — يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا ، فان لك
 تسعا وتسعين امرأة ، ولم يكن الأوريا الا امرأة واحدة ، فلم
 تنزل به تعرضه للقتل حتى تقتل ، وتزوجت امرأته .
 فنظر داود فلم ير شيئا ، فعرف أنهما ملكان أرسلتا ليفهما
 ما قد وقع فيه وما ابتلى به ، فخر ساجدا يبكي وينتحب ، ويقول
 فى حزن .
 — زل داود زلة هى أبعد مما بين المشرق والمغرب ، رب ان
 لم ترحم ضعف داود ، وتغفر له ذنبه ، جعلت ذنبه حديثا فى
 الخلائق من بعده .

— ١٥ —

اشتد حزن داود ، وشفه الأسى ، وراح ضميره يعذبه
 ويضنيه ، وفرائصه ترتعد رهبة من خشية الله ، فكان يخلو
 بنفسه فى محرابه ، ويختر ساجدا لله ، يدعو ويبتهل اليه
 أن يرحم ضعفه ، وأخذ ينادى ربه وقد زلزلت نفسه :
 سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلائق بما يشاء
 سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين القلوب
 الهى ! خلّيت بينى وبين نفسى ، فزلت بى قدمى .

الهي ! تبكى التكلى على فلذة كبدها اذا فقدته ،
ويبكي داود على خطيئته .

سبحان خالق النور ، يغسل الثوب فيذهب درنه
أما خطيئتي فلاصقة بى ، لا تذهب عنى .
الهي ! الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا
الخطيء !

الهي ! بأى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر
الظالمون من طرف خفى .
الهي ! كانت نجوم السماء تؤنسنى ، وها هي ذى
خطيئتي تكتننى .

الهي ! أنا الذى لا أطيق وعدك ، فكيف أطيق وعيدك !
الهي ! الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب .
الهي ! رق القلب وجهدت العينان من خشية اللقاء .
سبحان خالق النور ! اللهم برحمتك أغفر لى ذنوبى
ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى ، فانك أرحم الراحمين .
الهي ! انى أعوذ بك ، وبنور وجهك الكريم من ذنوبى
التي أوبقتنى .

الهي ! فررت اليك من ذنوبى ، واعترفت بخطيئتى ،
فلا تجعلنى من القانطين ، ولا تخزنى يوم يبعثون .
وظل داود يبكى خطيئته ، ويدعو الله أن يفر له ذنبه ،
ويتوب عليه ، وكان لا يرفع رأسه الى السماء حياء ! وكان الناس
يعودونه فيظنون أنه مريض ، وما به الا الحياء والخوف .
ومرت الأيام والليالى وهو فى سجوده ، لا يرقأ له

دمع . وفى ليلة هادئة نام الناس ، وبقي داود وحده يناجى ربه .

— يا رب ، قرح الجبين ، وجهدت العين ، داود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ .

ونحب نحية شققت سكون الليل ، فأوحى الله اليه :

— يا داود ارفع رأسك ، فقد غفر الله لك .

— ١٦ —

ورزق داود بسليمان من بتشيع ، زوجة أوريا ، ومرت السنوات وداود يغزو أعداءه ، وينزل بهم الهزائم القاصمة ، وكبر داود وشاخ ، كان يجلس للناس يحكم بينهم ، وفى ذات يوم جاء رجلان يختصمان ، قال أحدهما :

— ان غنم هذا الرجل دخلت حقلى ، أكلت ما فيه من الزرع .

وسأل داود صاحب الغنم :

— هل فعلت غنمك هذا ؟

— نعم .

قال داود :

— يأخذ صاحب الحقل هذه الغنم ، مقابل زرعه الذى فسد .

وكان سليمان حاضرا ، وكان غلاما فى الثانية عشرة من عمره ، فقال :

— غير هذا يا نبي الله .

فالتفت داود الى ابنه وقال له :

— ماذا ترى يا سليمان ؟

— يأخذ صاحب الغنم الحقل ليصلحه ، ويأخذ صاحب الحقل الغنم ، لينتفع بلبنها ونتاجها ، حتى اذا عاد الحقل كما كان ، أخذ صاحب الحقل حقله ، وأخذ صاحب الغنم غنمه .

وتهللت أسارير داود لحكمة ابنه ، وقضى بما قاله ، ولما انفض مجلسه ، ودخل الى أهله ، وأقبلت بتشيع اليه ، أخبرها أنه سينصب ابنها سليمان ملكا من بعده .

وفكر أدونيا بن داود فى أنه وارث العرش بعد أبيه ، فجهز عجلات وفرسانا ورجالا يجرون أمامه ، ورأى أن أباه قد شاخ ، ولم يعد يصلح للملك ، فعزم على أن ينادى بنفسه ملكا على إسرائيل ، فأعد وليمة فاخرة ، دعا اليها جميع إخوته ما عدا سليمان ودعا خدام الملك ، ليبياعوه بالملك فى ذلك الحفل .

ودخل حكيم من حكماء القصر على بتشيع أم سليمان ، وقال لها :

— أما بلغك ما فعله اليوم أدونيا ؟

فقالت فى لهفة :

— ماذا فعل ؟

— دعا إخوته الى وليمة ، لينصب نفسه ملكا على إسرائيل ،

دون أن يعلم داود .

— فماذا أفعل الآن .

— أدخلى الى داود ، وقولى له : أما وعدتني أن يكون سليمان ملكا من بعدك ؟ فما الذى جعل أدونيا يطلب الملك لنفسه ؟ وفيما أنت تحادثين الملك أدخل أنا لأشد أزرک .

ودخلت بتثييع على داود ، وقالت له :

— وعدتني أن يخلفك ابنى سليمان على عرشك ، ولكن ها هو ذا أدونيا يذبح الذبائح ، ويمد الموائد ويدعو جميع اخوته ليبايعوه بالملك دون علمك ، فماذا أنت فاعل ، ان بنى اسرائيل يتطلعون اليك .

ودخل حكيم القصر وقال :

— أأنت أمرت أن يكون أدونيا ملكا من بعدك ؟

— ادع لى الكاهن ، وادع لى رجالى .

ودخل الكاهن ورجال داود المخلصون ، فقال لهم داود :

— أركبوا سليمان على بغلتى ، وأنفخوا فى الأبواق

واهتفوا :

يحيا الملك سليمان . لقد نصبته ملكا على يهوذا

واسرائيل .

وركب سليمان بغلة داود ، ونفخ فى الأبواق ، فجاء الناس

من كل فج عميق يهتفون بحياة الملك الجديد .

وصكت الهتافات آذان من دعاهم أدونيا الى الوليمة

التي جهزها لينادى بنفسه ملكا على اسرائيل ، فارتعدت

فرائصهم ، وانتشر الخوف فى أجوافهم ، فتفرقوا ذعرا ،

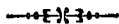
ودبت الرهبة فى قلب أدونيا ، وخشى أن يفتك سليمان به ،

ففر الى المعبد ولاذ به ، وقال : لن أبرح حتى يأتينى الأمان

من أخى .

وأمنه سليمان ، فوفد عليه يعرض ولاءه .
وصعد سليمان الى عرش أبيه ، وتربع في دست الملك ،
فخر داود ساجدا في فراشه وقال :

— لك الحمد يا رب على ما أوليتني من نعم ، الهى اغفر
لى عجزى الآن بيانى قد قصر عن أن يفصح عما يجيش به صدرى .
لك الحمد يا رب ، اذ وهبت لى اليوم من يجلس على عرشى ،
وعيناي تبصران .



سليمان و بلقيس

- ١ -

الناس يتنفسون فى حذر ، ويتلفتون فى زعر ، ويتهامسون فى خوف ، هجرت الطمأنينة سبأ بعد أن سادها الطغيان ، ونزل بها الرعب والفرع . ان زلة لسان ، أو إشارة امتعاض ، أو غمغمة استياء . كافية لاطاحة رعوس ، فالذى استلب الملك من ملكهم طاغية قد قلبه من الصخر . كان قاسيا لا يعرف الرحمة ، فأذاق الشعب صنوف العذاب ، وسفاه الذل ، وجرعه الهوان ، انه يلغ فى الدماء ولوغا ، وتستريح نفسه لأنات الألم ، وتأوهات الشقاء .

خيم على سبأ سحائب داكنة من الذل والخنوع ، وأحست بلقيس ما يقاسى الناس من كرب بعد موت أبيها ، فتألمت ، وزاد أساها على مر الأيام ، فانقلبت حقدا على الطاغية الغشوم . فما كان الشعب الوديع يستحق كل ذلك الاضطهاد .

أطرقت مهمومة تفكر فيما تعلمه لذلك الشعب الذى رماه سوء حظه بحاكم مستبد ظالم لا يطاق ، فالتهمت فى رأسها فكرة ، فبيتت العزم على انفاذها ، لعلها تريح الناس من ذلك الطاغية الجائر ، وتعيد الى القلوب الطمأنينة ، والى سبأ العظيمة الأمن والاستقرار .

تزينت وأرخت شعرها السبط الناعم الأسود ، فتهدل
رائعا ، وتحلت بأفخر اللآلىء وأكرم الأحجار ، وأبرزت الفتنة ،
فكانت آية من آيات الحسن والجمال ، وانطلقت الى قصر
الطاغية تسبى العقول ، وتلعب بالأفئدة ، وتأخذ بالألباب .

ودخلت على الملك فلان القلب القاسى ، فحقق خفقات ،
والتمعت العينان ببريق غريب ، ورنا اليها فى حنان ، وانفرجت
شفتاه عن ابتسامة فضحت سر الفؤاد . ودنت منه ، فأجلسها
الى جواره ، وأقبل عليها يحدثها فى اشتياق ، فحدثته فى
لين ، ونظرت اليه فى دلالة ، فهفت نفسه اليها ، وما قامت
عنه حتى كان أسير العينين المتكسرتين فى اغراء ، والروح
الههافة ، والقدر الحلو المياس .

وترادفت زياراتها للملك ، فهام بها حبا ، كان اذا خلا
بنفسه يشاغله طيفها ، فتلوح له فى جاذبيتها ومفتنتها ، فيخفق
قلبه ، ويطرق ليستعيد حديثها ، فيحس سعادة . كان حديثها
يدغدغ حواسه ، وطلعتها تزلزل كيانه ، ونظرة منها تدثره
بالنشوة ، فعزم على أن يتزوجها ، لتشاركه فى ملكه ، وتمالأ
تقصره حبورا .

وأوفد اليها رسله ، فاستجابت لطلبه ، وأقيمت فى سبأ
الأفراح ، وتأهب القصر لاستقبال بلقيس ، الأميرة الجميلة ،
ابنة الملك الراحل المحبوب .

ووفدت بلقيس فى ثياب العرس ، فكانت أروع من الزهر ،
وأندى من الفجر ، وأحلى من الربيع ، فهرع اليها الملك وفى
صدره لهفة ، وفى عينيه حب ، وانطلقا الى صدر المكان لتجرى
المراسيم .

وانقضت الحفلات ، فنهض الزوجان الى غرفتهما
وانصرف المدعوون ، وساد القصر هدوء . ورنا الملك الى
بلقيس الجميلة ، فتحركت مثاعره ، وهم بالدنو منها ،
فقدمت اليه كأس خمر فتجرعها ، فانتشبت روحه ،
واقترب منها فقدمت له كأسا أخرى فعبها ، وراحت تقدم
له الكؤوس حتى سكر ، فزحف اليها وهو مخمور ، وفتح
ذراعيه ليضمها اليه ، فاستلت من صدرها خنجرا وغيبته
فى صدره ، فارتبى فى الفراش يخطب فى دمه ، وقد طوقه
الموت بذراعيه ، فلفظ أنفاسه التى كان يرجو أن تتردد حارة على
وجنات عروسه الحسنة !

وسارت بلقيس فى ردهات القصر ثابتة الخطو ، حتى اذا
بلغت العرش الفت أعوانها يرصدون قدومها فى قلق ،
فألقت اليهم برأس الطاغية ، واتجهت الى سرير الملك ، وجلست
شامخة الرأس ، فانطلق أعوانها خفافا ليزفوا الى الشعب النبأ
العظيم ، نبأ تخليص سبأ من سلطان الجور ، واعتلاء بلقيس
عرش البلاد .

- ٢ -

خرج جيش جرار يضرب فى القفار ، حتى اذا نال منه
التعب ، رأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها ، أحب النزول
بها ، فحط الرحال ، والتمس الناس الماء فلم يجدوه ، فتلفت
سليمان يبحث عن الهدهد ، وكان دليله على الماء ، فلم يجده ،
فقال فى دهش : .

— مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟
وطلب عريف الطير ، فأقبل النسر ، فقال له سليمان :
— أين الهدهد ؟
— أصلح الله الملك ، لا أدري أين هو ؟
فغضب سليمان وقال :
— لأعذبه عذابا شديدا ، أو لأذبحه ، أو ليأتينى بسلاطن

مبين .

ودعا بالعقاب ، وقال لها :
— على بالهدهد الساعة .
فرفعت العقاب نفسها فى السماء حتى التصقت بالهواء ،
ونظرت يمينا وشمالا فاذا بالهدهد مقبل من نحو اليمين ، فانقضت
العقاب نحوه وقالت له :
— ويلك ! ثكلتك أمك ! ان نبى الله سليمان قد حلف أن يعذبك
أو يذبحك .

فما ارتعدت فرائص الهدهد ، وطار مطمئنا ، فلما
انتهى الى المعسكر تلقاه النسر والطير كله ، وقالوا له فى
اشفاق :

— أين غبت فى يومك هذا ؟ فقد توعدك نبى الله سليمان .
فظل فى رفقة العقاب مطلقا هادىء النفس ، مستريح البال ،
حتى أتيا سليمان ، وكان قاعدا على كرسية والى جواره وزيره
أصف بن برخيا ، فقالت العناب :
— قد أتيتك به يا نبى الله .

فالتفت سليمان الى الهدهد ، وفى عينيه غضب ، فرمى
الهدهد رأسه ، وأرخى ذنبه ، وأخذ يجر جناحيه على الأرض
تواضعا ، فمد سليمان يده الى رأسه فجذبه منه وقال :

— أين كنت ؟ لأعذبك عذابا شديدا !

فقال الهدهد فى استعطاف :

— مهلا يا نبي الله .

— ما الذى أبطأ بك عنى ! ؟

— أحطت بها لم تحط به .

فالتفت سليمان الى آصف ، وقال فى دهش :

— ما هذه الدعوى العريضة ؟

فقال الهدهد فى توكيد :

— جئتك من سبأ نبأ يقين .

— ما هو ؟

— انى وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شىء ، ولها

عرش عظيم .

— حقا ؟

— وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .

— سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .

وذهب الهدهد ليدل الناس على الماء ، وكتب سليمان كتابا

لبلقيس ، ثم طلب الهدهد ، وألبسه التاج على رأسه ، ووضع

الكتاب فى منقاره وقال له :

— اذهب بكتابتى هذا فألقه اليهم ، ثم تول عنهم ، فانظر ماذا

يرجعون .

فطار الهدهد والطيور حوله ، ثم انطلق رسول سليمان وحده

الى سبأ حاملا الكتاب الكريم .

أغلقت بلقيس عليها باب مخدعها ، ومضت الى فراشها ،
واستلقت وقد ثبتت عينيها فى سقف الغرفة ، كانت تفكر فى
أمر ملكها ، وفيما هى فى سباحات خيالها أقبل الهدهد ، ودخل
الى مخدعها من كوة كانت تتسلل منها الشمس ، فألقى الكتاب
على نحرها . فانتبهت ، وأخذت الكتاب فى عجب ، فمأذ عبير
المسك خياشيمها ، وقلبه فى يدها ، فرأت الخاتم فبهرها ، ولحت
الهدهد فى انسحابه فغمغمت :

— ان ملكا تكون رسله الطير ملك عظيم !
وفضت الكتاب وقرأته ، فأطرقت ساهمة ، ورات أن تجمع
خواصها وأهل مشورتها ، لتعرض عليهم أمر هذا الكتاب
الفريب ، فبعثت فى طلبهم ، حتى اذا اكتمل عندهم خرجت
اليهم وقالت :

— يا أيها المأذ ، انى القى الى كتاب كريم ، انه من سليمان ،
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلقو على وأتوني مسلمين .

وصممت قليلا ، ونقلت عينيها فى وجوه الموجودين ، فلمحت
الاهتمام العظيم . فقالت :

— يا أيها المأذ ، أفتونى فى امرى ، ما كنت قاطعة أمرا
حتى تشهدون .

— نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين .

فأطرقت بلقيس تنكر ، وتمعن في التفكير ، فرأت أن في الحرب دمارا وخسرانا مبينا فقالت :

— ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، واني مرسله اليهم بهدية فناظره بما يرجع المرسلون .

ودعت بلقيس المنذر بن عمرو ، وكان رجلا من أشرف قومها ، وقالت له :

— سأبعثك الى سليمان بهذه الهدايا .

وقدمت له لبنات من ذهب ، ولبنات من فضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت ، وأوعية ملئت بالمسك والعنبر ، وحقنة مغلقة ، وقالت للرسول :

— سله أن يخبرك بما في الحقنة قبل أن يفتحها ، فاذا أخبرك سله أن ينقب الدرة ثوبا مستويا ، وأن يدخل خيطا في الخرزة .

— أفعل .

— انظر الى الرجل اذا دخلت عليه ، فان نظر اليك نظرة غضب ، فاعلم أنه ملك ، فلا يهولنك منظره ، واذا رأيته رجلا بشا لطيفا ، فاعلم أنه نبي مرسل ، ورد على الجواب كما تسمعه منه .

وخرج رسول بلقيس الى سليمان يحمل الهدايا في ركب فاخر عظيم ، وطار الهدهد رسول سليمان يحمل أنباء ما جرى في قصر بلقيس الفاتنة ، التي كانت أنضرت من ورد الربيع .

أمر سليمان الجن أن يعملوا لبنات من ذهب وفضة ،
ويفرشوها على طريق وفد بلقيس ، وأمرهم أن يجعلوا بين
اللبنات موصعا خاليا على قدر اللبنات التي يحملها رسول
الملكة الساحرة ، فراح الجن يعملون ، والجنود يهيئون
مكان الاستقبال ، ومطابخ سليمان تطهو لذلك الجيش
الجرار الطعام فتذبح آلاف الأغنام والعجول ، وتجلب
مقادير هائلة من الفواكة ، حتى إذا وافى ميعاد الغداء ،
مدت الموائد الى مسافات بعيدة ، وأقبل الجنود يلتهمون
الطعام .

وقعد سليمان على كرسيه والى جواره وزيره ، وأحاط
به خلق كثير ، وأمر الجن أن يأتوه بأحسن الدواب ،
فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله ، وأقبل رسول
بلقيس ، ومن على تلك اللبنات الذهب والفضة ، ورأى ملك
سليمان ، فنتاصرت اليه نفسه ، ورأى المحل الخالي بين
اللبنات فخاف أن يتهم فوضع ما معه من لبنات فى ذلك المحل ،
وما زال سائرا على استحياء ، حتى وقف بين يدي سليمان
مضطربا ، ولكن بشاشة الرجل وتطلق محياه ، أعادت اليه
هدوءه وأطمئنته .

وجلس الرسول يقلب ناظريه فيما حوله من عجائب وهو مأخوذ ، ووقف غلمان حسان على رأس سليمان بأطباق من ذهب ، وهى مملوءة من المسك السحيق ، وفيها صحائف من الياقوت الأحمر ، وفيها شئ من ماء الورد ، وفوقها طيور صفار ترفرف بأجنحتها ، وتنزل فى ماء الورد ، وتبرغ فى ذلك المسك ، وتطير وتنتفض على الحشد الهائل ، فتعقب المكان بشذا لطيف . وانتهى سليمان من قراءة كتاب بلقيس ، فقال للرسول :

— أين الحثة التى معك ؟

— ها هى ذى .

فقلبها بين يده وقال :

— فيها درة مثمينة من غير ثقب ، وفيها خرزة من جزع وهى معوجة الثقب .

— صدقت . فاثقب الدرة ، وأدخل الخيط فى الخرزة .

فتناول سليمان الدرة وقال :

— من لى بثقبها ؟

فتقدمت أرضة ، فأخذت شعرة فى فيها ، ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر ، ورسول بلقيس ينظر فى ذهول ، وتناول سليمان الخرزة وقال :

— من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط ؟

فتالت دودة بيضاء :

— أنا لها يانبي الله .

فأخذت الدودة خيطا فى فمها ، ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر . وقدم الرسول ما بقى معه من هدايا ،

فلم يقبلها سليمان : فما كان ليقبل منهم الا أن يهجروا عبادة الشمس الى عبادة الله ، فقال :

— أتمدوننى بمال ؟ ! فما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون .

— مولاي !

— ارجع اليهم ، فلنأينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون .

وعاد الرسول الى بلقيس وقد ملئء عجباً ، وجعل يقص عليها ما رأى فى ملك سليمان العريض . فغمغت :

— والله ما هذا بملك ، وما لنا به من طائفة .

— ٥ —

تأهبت بلقيس للانطلاق ، وخشيت على عرشها العظيم ، فأغلقت دونه الأبواب ، ووكلت به حراساً شداداً ، ولما تم كل شئء أذن بالرحيل ، فشخصت الملكة الجميلة الى سليمان فى ركب هائل ، وتقضت ليلالى وأيام ، وفى ذات يوم خرج سليمان وجلس على سرير ملكه ، فرأى هرجاً قريباً منه ، فقال :

— ما هذا ؟

— بلقيس يا رسول الله .

— وقد نزلت منا بهذا المكان ؟

— نعم .

فأطرق سليمان يفكر ، ان الهدهد وصف له عرشها
فأسهب فى الوصف ، فلو أنه أحضره أمامها الساعة لكان فى
ذلك آية عظيمة ، ودليل على قدرة الله الفائقة ، فرفع رأسه
وقال :

— يا أيها الملأ ، أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى
مسلمين ؟

قال عفريت من الجن :

— أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى
أمين .

وقال آصف :

— أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك .

— حقاً ؟

— انظر يا نبى الله الى جهة اليمين .

فنظر ، فما رجع نظره حتى رآه مستقرا عنده . كان
مقدمه من ذهب مطعم باليواثيت الحمرة ، والزمرد الأخضر ،
ومؤخره من فضة ، مكلل بالأنوان الجوهرة ، وله أربع قوائم ،
قائمة من ياقوت أحمر ، وقائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة
من زمرد أخضر ، وقائمة من در أصفى ، وكانت صحائف السرير من
ذهب خالص ، كان عرشا رائعا ، فشعر بشكر ، ونكس رأسه
فى تواضع وقال :

— هذا من فضل ربى ، ليلونى الشكر أم أكفر ، ومن شكر

فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم .

— نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين

لا يهتدون .

فأخذوا يزيدون فيه وينقصون منه ، محاولين أن يخفوا بعض معالمه ، وأمرهم ببناء صرح ، فبنوه من زجاج مستور .

واقبلت بلقيس رائعة الحسن ، شديدة الأسر ، تهفو اليها القلوب ، وما ان رأى جمالها حتى مال اليها ، واستقبلها باشا وكانت فى ذهول ! رأت فى ملكه عجا لم تر مثله ، يأخذ بالألباب ، ويحير العقول . وقادها الى حيث كان عرشها ، وقال :

— أهكذا عرشك ؟

فقلبت نظرها فيه فى دهش ، وقالت :

— كأنه هو .

وقادها الى الصرح ، وقال لها :

— ادخلى .

نظرت الى صقال الصرح فرأت الأشياء معكوسة فيه فحسبته لجة ، فكشفت عن ساقبيها الرائعتين البديعتين ، فغض سليمان من بصره ، وقال :

— انه صرح ممرد من قوارير .

وعاشت بلقيس عند سليمان أياما تقضت كحلم جميل ، رأت فيها عجائب وأسرارا ، وأشياء تحير العقول ، فأيقنت أن سليمان نبي كريم ، فأمنت به ، ورفعت رأسها الى السماء وقالت :

— رب ، انى ظلمت نفسى وأسلمت لله رب العالمين .

—*~*~*

استر

قصة استر الواردة فى التوراة كتبها
مردخاى نفسه ، ولما كان أحد أبطال القصة فقد
كتبها من الزاوية المشرقة ، وقد عالجتها علاجاً
يختلف عن التوراة » .

— ١ —

قصر هائل عظيم ، يوحى بالفخامة والسرورة والغنى ،
انه قصر الملك احشويروش الذى انتشر سلطانته على الهند
وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، انه قصر أغلق أبوابه على
روائع وبدائع ، انه كنز احتوى فى بطنه كنوز .

والتف بالقصر حراس شداد ، حراس يفدون
بيروحين ، حراس واقفون لا يتحركون . ووقف مردخاى
ام باب القصر الهائل ، وقد ارتدى ثياباً مزركشة ، وتصرم
قت وهو منتصب كتمثال ، لا تخرج فيه خالجة ، وان
نت الذكريات تتتابع فى رأسه ، فتوحى اليه التأمل والتفكير .

راحت ذكريات الأيام الخوالى التى أمضاها فى اورشليم

تفد الى ذهنه ، انه يرى نفسه فى المعبد بين قومه يعبد اله اسرائيل ، فيثبىع فى صدره حنان ، ولكن سرعان ما ينمحي ذلك الاحساس ، لينتشر احساس آخر يضيق صدره ، ويحرك أشجانه ، فقد قفزت الى رأسه مشاهد اجتياح جيوش بختنصر لبلاده ، انها لتتدفق تدفق السيل العارم ، مخلفة وراءها الخراب والدمار ، ورأى بعين خياله دماء اليهود تجرى فى الطرقات ، وقد تناثرت أجساد القتلى أشلاء ، ورأى نفسه يسقط فى أيدي الأعداء ، ويساق مع الأسرى زمرا ، حتى اذا بلغ الساحة ألفى يكنيا ملك اليهود ند جىء به أسيرا ، ورأى نفسه وبنى اسرائيل وهم ينطلقون كقطيع من الأنعام ، منكسى السرعوس ، يحدوهم الذل ، ويعلوهم العار حتى خرجوا من فلسطين ، ليشتموا فى الأرض مزمز زفرة خرجت من قلب حزين .

وسمع وقع أقدام ، فانتهبه الى ما حوله ، فرأى أميرا من الأمراء قادما ، فحياه ، وما غاب الأمير فى القصر حتى عاد مردخاى الى ما كان فيه .

رأى نفسه وهو يباع بأسواق الرقيق بفارس الى رجل فقير ، لم يكن صاحب ضياع أو قصور ، بل كان صاحب عمل ، فاشتراه ليعاونه فى عمله ، ورأى نفسه وهو يعمل لذلك الرجل ، حتى كسب ثقتة ، ثم كاتبه على أن يهب له حريته لقاء مبلغ كبير . ولما كان مردخاى يهوديا ، كان قادرا على كسب الأموال ، فراح يعمل حتى ادخر ما يفك به رقه ، ويعيد اليه حريته .

واستمر مردخاى يفكر ويشلب الفكر ، حتى انتهت نوبته ، فدخل غرفة من غرف القصر الكثيرة التى خصصت لمن يعملون فيه .

دخل مردخاي غرفته ، فألقى استر تتطلع الى صورتها
فى المرآة ، وقد لاح فى وجهها الرضا ، كانت رائعة الحسن ،
شديدة الأسر ، عيناها تلمعان ببريق يخطف القلوب ، شعرها
الأسود الجميل المسترسل خلفها ، يزيدها روعة وحسنا .
كانت فى السابعة عشرة ، يتدفق فيها الدم الفوار ، ويزينها
تاج الشباب .

رماها بنظرة خاطفة ثم قال لها :

— تفتحت يا استر ، تفتح الأزهار فى الربيع ، ما أجمل
حسنك !

فقالت استر فى دلال :

— أنا جميلة حقا ؟

فقال مردخاي وقد شرد بصره :

— ما خلق الله هذا الجمال عبثا ، لا بد يا استر أن يبذل لمصلحة
بنى اسرائيل .

فقالت له استر :

— ماذا نستطيع أن نفعل ؟

— الجمال يا استر يفعل بالرجال الأعاجيب ، انه يلين
أقسى القلوب ، واننى لأرجو أن أستطيع بهذا الجمال الساحر أن
أصون مصالح شعبنا ، اننا يا استر شعب مبعض ، يكرهه كل
الشعوب ، الآن الله فضلنا عليهم ، جئنا الى هنا ونحن أسرى

وعبيد ، ولكن بجدنا اغتنينا وأصبحنا أصحاب الثروات فى هذه البلاد ، ان فارس والهند وكل هذه البلدان أصبحت فى قبضة يدنا .

فقالت استر وهى تميل برأسها الى الورا ، وتتنظر الى صقال المرأة .

— هذا جميل .

فقال مردخاى :

— هذا جميل ما دامت الغشاوة على أعين الناس ، أما اذا انقشمت تلك الغشاوة ، ورأوا أننا نستولى على منابع الثروات ثاروا علينا ، ويا ويلتنا اذا ثار الناس علينا ! ستراق دماؤنا ، وتترك أجسامنا للكلاب . كنت يا استر يوم غزا بختنصر بلادنا صغيرة ، ولو كنت عاينت ذلك اليوم الرهيب ، لما غادرت عينيك مشاهد ذلك اليوم المشؤم .

فقالت له استر :

— أنظن يا عمى أن يعود علينا يوم شديد كذلك اليوم ؟

— هذا رهن بأن يفتن رجل واحد الى ما أصبحنا فيه ، ثم يقوم بتأليب الناس علينا ، ان الشعوب تبغضنا يا استر ، تبغضنا من أعماق قلوبهم ، كأنما بيننا وبينهم ثارات .

فقالت استر وهى تنظر اليه بعينيها النجالوين الساحرتين :

— مصائرنا هنا معلقة بخيط واه .

فقال مردخاى مؤمنا :

— وستظل معلقة بذلك الخيط الضعيف ، الا اذا استولينا

على هذا القصر .

فقالت فى دهش :

— نستولى على هذا القصر ؟

— أجل يا استر نستولى عليه ونتحكم فيه .

— من ذا الذى يستولى عليه ؟ !

— أنا وأنت يا استر ، أنا بدهائى ، وأنت بجمالك ، اننى
ما جئت الى هذا القصر الا لأتسلط عليه ، وأحرك رجاله ، ليعملوا
على ما فيه مصلحتنا نحن اليهود .

فقالت له استر وهى ترمقه بنظرة فاحصة :

— هذا حلم لذيذ ، وما أحسب أن ذلك ميسور .

فقال وقد انفرجت شفاته عن ابتسامة خبيثة :

— ما أيسر ذلك على من ينفق الأموال ، ويقدم مثل جمالك

الفاثن البديع .

وصمت مردخاى قليلا ، ثم قال :

— أتعرفين مموكان حكيم المملكة ، الذى لا يقطع الملك أمرا

الا اذا استشاره ؟

— نعم أعرفه .

— انه طوع بنائى .

— وبماذا استملت ذلك الشيخ الفانى ؟

— أغرقته بهداياى .

فقالت وهى تضحك :

— أنت الحكيم يا عماه .

— انه ليس وحده الذى استملته اليانا ، فهناك الخصيان

السبعة ، الذين لا يغادرون الملك فى الليل أو فى النهار .

ورمخته من طرف عينها ، وقالت له فى خبث :

— أتحسب أننا ننجح فى استمالة كل الرجال بالمال ؟

فقال لها مردخاى وهو يبتسم فى زهو :

— من لم يأسره المال يأسره الجمال .

تأهب القصر للوليمة الكبرى ، التي أعدها الملك أحشويروس للأمرء ، وأشرف قومه ، ورؤساء مملكته ، وكان هدف الملك من هذه الوليمة أن يظهر للناس عظمته ، ليزداد في أعينهم رفعة ، لذلك أنفق على هذه الوليمة بسخاء .

وتوافد الأمرء والأشرف الى حديقة القصر الهائل ، وأقبل الملك يتألق كجوهرة ، يبدأ الحفل ، وجاء الخدم يحملون كنوس الذهب والفضة ، ينطلقون بين أعمدة الممر الهائلة ، التي كسيت ستائر بيضاء وخضراء وزرقاء ، وينسلون الى حيث جلس المدعوون ، يقدمون لهم الخمر ، وراح الجميع يعبون الشراب حتى ملثوا نشوة .

وانقضى الليل والجميع فى حبور ، حتى اذا قام الملك انصرف الجميع ليعودوا الى الوليمة فى اليوم التالى . واستمرت وليمة الأمرء والأشرف مائة وثمانين يوما ، الموائد تمد ، والخمر تصب فى البطون ، فتدير الرعوس .

وأعدت الملكة وشتى وليمة للنساء ، فما كان الرجال والنساء يجتمعون فى مكان واحد ، واستمرت هذه الوليمة أياما وأسابيع وشهورا .

وأراد الملك أن يشرك عامة الشعب فى الاعجاب بعظمته ، فدعا الشعب الى قصره ، ودعت الملكة وشتى النساء الى جناحها ، وراح الخدم يصبون الخمر حتى جرت أنهارا .

وانتشى الملك ، ولعبت الخمر برأسه ، فقال للناس :

— ان امرأتى أجهل امرأة فى هذه البلاد .

وصمت الناس ولم ينبس أحدهم بكلمة ، فقال الملك :

— ألا تصدقون ؟ سترونها الآن ، وستحكمون أنها أجهل امرأة
فى الوجود .

ونادى الملك خصيانه :

— بزتا . حربوتا اذهبا الى الملكة وقولا لها اننى أطلبها
هنا ليزى الناس جمالها البديع .

وذهب بزتا وحربوتا ، وكان مردخاى حاضرا هذه الوليمة ،
فلمعت فى ذهنه فكرة ، فاقترب من الخصى كركس ، وهمس
فى أذنه :

— هذا فظيع . ليت الملكة ترفض الحضور . كيف تحضر الملكة
الجبيلة الى هؤلاء السكارى ؟ انها لو جاءت لسقطت هيبتها ،
من يدري ماذا تشعل الخمر برعوس هؤلاء الحمثى ، ما كان لمولانا
أن يفعل هذا .

وصمت قليلا ، ونظر الى الخصى ، ليرى أثر كلامه فيه ،
فألقى على وجهه دلائل الحيرة والتفكير ، فقال همسا :

— لو كان لى من الأمر كثير أو قليل ، لذهبت اليها أشير
عليها بعدم المجيء .

ولاح فى وجه الخصى العزم ، ثم انطلق الى جناح الحريم ،
ومردخاى يرمقه ، وقد انتشرت فى صدره نشوة ، فقد بدأ
ينفذ الخطة التى نسجها شيطانه ، وتلفت يبحث عن مموكان
الحكيم حتى وقعت عيناه عليه ، فذهب منسلا اليه ، فلما رآه
مموكان حياه فى حرارة وترهيب .

ووقف مردخاى يقدح ذهنه ، وينتقى الألفاظ التى يوحى بها
الى مموكان دون أن يثير ريبه ، وبقي يترقب ، حتى اذا ما لمح
الخصيان عائدين ، وسوس لموكان :

— انظر ! انهم يعودون خافضى الرعوس ، يخيل الى أن
الملكة رفضت المجيء ، فلو أنها رفضت اطاعة الملك لكان فى
ذلك اهانة لا للملك وحده ، بل للشعب جميعا .

وانتقل مردخاى من جواره بعد أن وسوس له بما يريد ،
واندس بين الجموع .

وتقدم الخصيان الى الملك وقالوا :

— رفضت جلالتهما الاذعان لأوامركم يا صاحب الجلالة ،
وقالت انها لا تقبل أن تجيء تعرض نفسها على سكارى يترنحون .
وارتفعت أصوات استنكار ما لبثت أن خفتت وزالت ، لما هب
الملك غاضبا يصيح :

— أين مموكان ليرى رأيه فى هذه العاصية ؟

وتقدم الحكيم من الملك وهو يحنى رأسه ويقول :

— مولاي ؟

— ما رأيك يا مموكان فيما أتته الملكة الآن ؟

— ان ما فعلته يا مولاي ليس جريمة فى حقكم وحدكم ،
يا صاحب الجلالة ، ولكنه جريمة فى حق الشعب جميعا ،
لقد سمع جميع النساء المدعوات الى وليمة الملكة وشتى بذلك
الرفض ، وما هو الا الغد حتى يكون نبأ هذا الرفض قد مالا
ألبتاع ، وبلغ مسامع النساء فى مشارق مملكتكم ومغاربها ،
فاذا ما أمر رجل امرأة أمرا رفضت طاعته تشبها بالملكة وشتى
التي رفضت طاعة الملك .

ان الأمر أخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك يحتاج

فى معالجته الى قسوة وحزم حتى تعيد يا مولاي الى الرجال
هيبتهم وكلمتهم المسموعة .

ان الأمر أخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك تطرد
من القصر ، لتكون عبرة للنساء اللاتى يداخلهن الفرور ، فيعصين
أوامر أزواجهن ، وليكتب بذلك الى جميع عمالك يا مولاي ، ليذاع
على الشعب ، مؤكدا أن الرجل هو رب البيت ، الأمر وحده فيه .

فأعجب الملك برأى حكيمة ، فقال :

— على بالكتاب ، ليكتبوا الى أقطار مملكتى ، أن الملك
أحشويروس قد طلق الملكة وشتى ، لعصيانها أوامره ، فما كان
للأمرأة أن تعصى زوجها ، لأنه وحده الحاكم فى بيته .

وخرجت الأوامر الملكية الى فارس والهند والبلاد الممتدة
الى كوش ، وخرج الناس من أولاية يتحدثون فى هذا الأمر
الخطير ، وأسرع مردخاي الى استر ابنة أخيه يذف اليها نبأ
انتصاره الكبير .

—•••••

دخل مردخاى على استر ، فألفاها كمادتها أمام المرآة تتزين ؟
وتتطلع فى اعجاب الى حسنها ، فدنا منها وقال وهو يتفريس
فى مفانتها :

— يا استر آن لهذا الجمال أن يسود .
ولمحت استر تلك الابتسامة العريضة التى ارتسمت فى
وجهه ، فاستدارت وقالت له :

— ماذا جرى يا عمى ؟
فقال مردخاى وهو يرنو اليها فى حثب ، والسعادة تلوح
فى وجهه :

— طلق الملك الملكة ، وطردها من قصره .
فالت استر وهى تنظر اليه مليا :
— ومالى أراك سعيدا كأنما عادت السعادة الى شعب
بنى إسرائيل ؟

فقال مردخاى وهو يعد ذراعه فوق كتفها البديع :
— أغريرة أنت يا استر أم تتخابئين ؟ أما تدرين أهية
ذلك لنا ؟ أن الملك بعد أن طيرد زوجته سيحس وحشة ،
وسيشعر بفراغ ، وسينشد السلوى ، سيبحث عن العذارى
الغائبات فى مملكته ، وهل فيها من هى أفستن منك يا استر ؟
سأقدمك اليه لتسليه قلبه ، وتقويه حيث تقودينه ، ولن تقويه

الا الى ما فيه مصلحة بنى اسرائيل ، ستصحبين مالكة فؤاده ،
فجمالك آسر قاهر ، تعنو له المهج ، وتذل له أعناق الجبارين .
انك يا استر درة ، وستكونين أعلى درة فى مملكته ، فما خلق
الله هذا الجمال الا للملوك .

فقال استر :

— أتقدمنى يا عمى حظية للملك ؟

— وماذا فى ذلك يا استر ، وهل كان هذا يثمين يهودية ؟ !
على كل يهودى أن يقدم أى شىء وكل شىء فى سبيل بنى
اسرائيل ، عشت أعمل لهذه اللحظة مضحيا بالعمر كله ، لأجنب
اليهود نكبة من النكبات التى خصهم بها الزمن ، فاذا لاحت لى
الفرصة أتحسبين أننى أدعها تمر ؟ لا يا استر ، اننى ربيبتك
بعد موت أخى وزوجته ، واتخذتك بنتا ، وصرت أرعى جمالك
وأتعهدده ، لأقدمه قربانا الى اله اسرائيل ، يا طالما فكرت فى
الطريقة التى أستغل بها هذا الحسن الفتان ، لقد شغلت ذهنى
آلاف الفكر ، وها هى ذى الفرصة الذهبية تلوح . . لا تحسبى
يا استر أنها جاءت سهلة هينة ، أنها ما لاحت لنا الا بعد كد
وتدبير ، وامعان فى الكد والتدبير .

وغمغمت استر وقد شرد بصرها :

— حظية الملك .

— أجل ، حظية الملك ، حظية الملك التى تقدم جسدها
صيانة لمصالح شعبها ، يا لها من تضحية كريمة خليفة بنا
يا استر .

وصمت قليلا وفكره بعمل ، ثم قال هامسا :

— غلمان الملك رهن اشارتى ، سأوحى اليهم أن يشيروا
عليه أن يبعث رسله الى أنحاء مملكته يلتمسون العذارى الفاتنات ،

ويدفعون بهن الى هيجاي حارس النساء ، ويدخلونهن على الملك ،
فمن راقت عينيه ، فليُنصِبها ملكة مكان وشتى .

أطمئنى يا استر ، فهيجاي صديقى ، سأسَخو عليه ،
لينفثن فى تطيبك وتزيينك حتى اذا دخلت على الملك سلبتة لبه
وارادته ، فصار أسير جمال بنت اليهود .

فقالت استر حاملة :

— لكأنما كل ذلك قد انتهى .

فقال مردخاي وهو يتطلع اليها فى اعجاب :

— انى أراك الساعة يا استر وعلى رأسك الجويل يتألق
تاج مملكة أحشويروس !

فقالت وقد التمعت عيناها رغبة .

— يا للأحلام العذاب (٥)



بعث الملك رسله الى أنحاء مملكته يلتمسون الفتيات الأكار
الجميلات ، وتوافدت الى القصر فتيات رائعات الحسن ، ممشوقات
القد ، كن أمشاجا من الروعة والجمال ، ودفع بهن الى هيجاي
حارس النساء ، ليطيبهن بالعطور والأدهان .

وفى ذات يوم همس مردخاي فى أذن هيجاي ، أنه عثر
على تحفة من تحف الجمال ، وطلب من صديقه أن يأتى معه
ليراها ، فانه على ثقة من أنها ستبهر الخصى الخبير فى
النساء !

وانطلق هيجاي ومردخاي الى حيث كانت استر ، فلما وقعت
عيننا هيجاي عليها ، وهى تتألأ وتلمع ، لاح فى وجهه الاعجاب
وهمس :

— يا للجمال ! انها كنز يا مردخاي .

فقال مردخاي وهو ينحنى أمام الخصى :

— اننى أضع هذا الكنز بين يديك يا هيجاي . .

ثقال هيجاي ، وعينه الفاحصة تجول فى مفاذن الفتاة :

— جمال طاغ ، لا يستطيع أن يثبت أمامه انسان ، ابعث
بها الى بيت النساء ، وسأزلها فى أفخم مكان ، اننى لم أنتخب
من بين مئات الوافدين الى القصر الا سبع فتيات ، سأضم اليهن
استر .

فقال مردخاي وهو فرحان :

— غدا سأبعث بها اليك .

وخرج هيجاي ، وأقبل مردخاي على استر يضمها اليه نشوان
بخمر النصر ، وراح يهمس فى انفعال :

— غدا يا بنت أخی يفضح جمالك جمالهن ، كما يفضح نور
الصباح أضواء السرج .



تأهبت استر للانطلاق الى بيت النساء ، فاقترب مردخاى
منها وقال لها :

— تذكرى يا استر وصاياى لك ، ايك ان يعرف احد
أنك يهودية ، لأنه اذا انكشف هذا الأمر فقدنا عطف الناس ،
تذكرى يا استر أنك ما دخلت هذا القصر الا لتسهري على
مصالح بنى اسرائيل ، ان ثلوب اليهود جميعا ملتفة حولك ،
وآمالهم معقودة عليك . مصالح بنى اسرائيل أولا ، ثم يأتى
بعد ذلك أى شىء .

واقبل غلام من غلمان القصر ، ليأخذ استر الى بيت النساء ،
فسارت متأنقة متألقة ، وقبل أن تغادر المكان قبلت مردخاى ،
وانطلقت وهو واقف يرقبها خائف القلب ، فلما اختفت عن
عينيه غمغم :

— اذهبى يا استر فى رعاية اله اسرائيل .

ودخلت استر الى بيت النساء ، فألفت فتيات أنضر
من الورود ، وأطيب من الأزهار ، فمشيت فى صدرها
الرهبة ، وكادت تتعثر من الخوف ، ولكنها تذكرت اطراء مردخاى
وهيجاى لجمالها ، فاستردت ثقتهما ، ورفعت رأسها تيهنا
بحسنها ،
ودفع بها الى هيجاى ، فكان يعالجهما بالأدهان والطيب

والمطور الأيام والأسابيع والشهور ، فزادت استر روعة على روعة ، وجمالاً فوق جمال .

كان هيجاي يدفع الى الملك بعذراء كل ليلة ، فما تنقضى الليلة ، ويلوح نور الصباح ، حتى يدفع بالمرأة الى حارس السرارى ، لتضم الى قطيع النساء المترقيات اشارة من الملك للتسرية عنه ليلة .

كانت استر ترقب العذارى الداخلات الى مخدع الملك أول الليل ، الخارجات منه أول النهار وفى قلبها فرحة ، لأن احداهن لم ترق عينى الملك ، فهد ذلك فى حبل الأمل أمامها ، لأنه لو استولت امرأة على قلبه واتخذها ملكة مكان وشتى ، قبل أن تدخل هى عليه ، لكان نى ذلك تحطيم الآمالها ، وانهيال للرؤى العذاب التى تتراعى لها ، ولكن ما كانت تلك الفرحة تدوم ، بل كانت تفيض اذا ما خطر على بالها أن مصيرها قد يكون كمصير الأخريات ، اللاتى كان كل حظهن فى هذا القصر ليلة واحدة فى فراش أحشويروس ، ليلة دافئة مليئة بالأحلام ، تعقبها ليال طوال باردة ، كلها سأم وملل وفراغ .

وجاءت الليلة المرتقبة ، ليلة دخول استر على الملك ، فأخذ هيجاي يتفنن نى تزيينها ، حتى كانت آية من آيات الحسن والابداع ، وقبل أن تدلف الى مخدع الملك ، راح يوصيها بما تفعل ، لتنال نى عينى الملك حظوة .

وانقضت الليلة كحلم بهيج ، حلم كله نشوة ، وأقبل الصبح ، فذهبت استر الى حجرتها ، واستلقت مسترخية على فراشها ، وأطلقت الأفكارها العنان . راحت مشاهد الليلة الماضية تمر أمام أعين مخيلتها ، انها لترى الملك يدنو منها متدلها ، وانها لترى نفسها وهى تتثنى نى دلال ، يا لها

من ليلة ! ترى أنطفئو ذكراها فى رأس الملك أم ترسب ،
كآلاف الليالى التى أمضاها غارقا فى اللذة ؟ آ

ومر النهار واستر تترجح بين اليأس والرجاء ، وما وافى
الليل ، حتى كان هيجاي عندها يزف اليها البشرى الغالية ،
ان الملك يطلبها ليلة ثانية .

وتصرمت الليالى ، والملك يطلب استر كل ليلة ، فمقد شغف
بها حبا ، وفى ليلة من الليالى لعبت به الخمر وأفانين المرأة .
فوضع الناج على رأس استر البارعة .

وأعد الملك وليمة هائلة ، دعا اليها الامراء وأشراف القوم
ورؤساء العشائر ، وأعلن أنه اتخذ استر له زوجة ، وانتهت
وليمة استر ، وقد أصبحت بنت اليهود ملكة على البلاد ، بينما
كان مردخاى الذى فكر ودبر واقفا بباب القصر ، تشيع فى صدره
نشوة عارمة .

— ٧ —

أصبحت استر سيدة القصر ، ومردخاى حارس بابه ،
وعلى الرغم من ذلك كانت الرسل تمشى بينهما ، كانت تصل
اليه أنباؤها ، وتصل اليها أنباؤه .

وفى ذات يوم ، لاح فى ذهنه خاطر ، ان استر أصبحت
ملكة ، فما يدريه أنها قد تستهريء هذه الحياة ، وتنسى حكمة
دخولها القصر ، فاذا وقعت لبني اسرائيل محنة ، تراخت فى
مد يد العون اليهم ، فتكون الطامة العظمى ، أقلقه ذلك خاطر ،
وراح يقترح فى ذهنه حتى اهتدى الى أن خير ما يفعله ، أن

يتقرب هو نفسه الى الملك ، فهو يثق فى نفسه أكثر من ثقته فى غيره ، ولو كان ذلك الغير استر نفسها .

وقر رأيه على ان يعمل ليتقرب من أخشويروش ، ولما كان يعلم أن القصور مسارح للذسائس والمؤامرات ، أخذ يتحسس لعله يقع على مؤامرة يرغع أمرها الى الملك ، فتنبيله القرب والخطوة .

راح مردخاى يسترق السمع لكل حديث ، ويحصى حركات رجال القصر وسكناتهم ، وفى ذات ليلة رأى غلامين من غلمان الملك يتستران بالظلام ، ويتسللان الى ركن قصى يتناجيان ، فانطلق خلفهما كطيف ، ووقف قريبا منهما يحتمى بالجدران ، يتسمع .

كان الغلامان غاضبين حانقين ، فراحا يتآمران على الملك ، وما انتهيا من بثهما ونجواهما ، حتى انطلقا الى القصر على حذر ، ولو التفتا خلفهما لتيقنا أن سرهما قد أفتضح .

وبعث مردخاى الى استر أن ترفع الى الملك أن مردخاى قد قد وقع على مؤامرة دنيئة بيئت بليل ، أن بغشان وترشى خصيى الملك ، حارسى الباب يدبران اغتياله ، فهرعت استر الى الملك تنبئه بالخبر .

وقبض على الغلامين ، وجرت محاكمتهما ، فثبتت ادانتها . وحكم عليهما بالقتل والصلب ، أما مردخاى فقد فكر الملك فى مكافأته .

كان الملك يثق فى هامان ، لأنه كان حصيف الرأى ، بعيد النظر ، فكان يستشيريه فى كل أموره ، فبعث اليه ، وقال له :

— ان مردخای أنقذ حیاتی ، وانی أفکر فی أن أدنیه منی ،
فماذا ترى ؟

فقال هامان :

— اننی یا مولای أرى أن تمنحه جائزة ، وأن تدعه حیث
هو .

— لماذا یا هامان ؟

— لأنه یهودی ، والیهودی لا یخلص الا لنفسه .

وطلب الملك استر ، فدخلت علیه ، وجعلت تداعبه فی رقة
ودلال ، ثم قالت له :

— ماذا فعلت لمردخای یا مولای ؟

فقال أحشویروث وهو یضحك :

— أعطیته ما یتمنى ، قیل لی ان غایة ما یتمناه یهودی أن
تملا جیبوه ذهباً .

وأحست استر قهراً ، ولم تعترض خشية أن تكشف عن
خبیئة نفسها ولكنها رأت أن تفعل شیئاً ، قد تستغله یوماً ،
فقالت :

— ان ما فعله مردخای یتحق أن یسجل یا مولای .

فقال الملك :

— هذا حق .

وأمر أن یدون ذلك نى سفر أخبار الأيام .

كان اعجاب الملك بهامان يزداد يوما بعد يوم ، فقد أثبت
فى اكثر من مناسبة اخلاصه للعرش وللبلاد ، اراد الملك ان
يكافئه ، فرقاه ، وجعله وزيره الأول .

وفى ذات يوم دخل هامان على الملك ، وقال له :

— ان اليهود العبيد الذين وفدوا الى بلادنا سبيا من اورشليم ،
قد عظم نفوذهم فى البلاد ، أثروا واغتنوا واصبحوا اسياد المال
المتحكمين فى الأسواق والأقوات والأرزاق ، انهم يتسلاعبون
بالأسعار ، ويمتصون دماء شعبك يا مولاي .

ولاح فى وجه أخشويروش الاهتمام ، فراح هامان يقول
فى اخلاص :

— لو كان نفوذهم قد قصر على دنيا المال لهان الخطيب ،
ولكن نفوذهم تفلغل فى كل مكان ، علموا الرؤساء الرشوة ،
وبذروا فى قلوبهم الطمع ، وغرسوا فى النفس الأحتاد
ليشغل الشعب بأحقاده عنهم ، فيسلبوه هئاء وهم آمنون غضبه ،
انهم يا مولاي أس كل البلايا فى البلاد . انهم

وصمت هامان فجأة ، فقال فى لهفة :

— انهم ماذا يا هامان ؟

فقال هامان وهو يتحامى أن تتلاقى عيناه بعينى الملك :

— معذرة يا مولاي ، انهم لو قدروا على أن يقوضوا عرشكم
تحتكم لتوضوه .

فبان الغضب فى وجه الملك ، وقال :

— انهم اخبث اهل الارض ، ماذا ترى ان نفعل فيهم ؟

فقال هامان فى حماسة :

— نستأصلهم ، نقتل اطفالهم وغلماهم ، وشبابهم ونساءهم ،

ورجالهم وشيوخهم ، فنستريح من شرورهم .

فقال الملك فى انفعال :

— هذا هو الرأى يا هامان .

فقال هامان فى حماسة :

— اننى على استعداد الآن أدفع لمن يقومون بقتلهم عشرة

الآف وزنة من الفضة ، يؤتى بها الى خزائن الملك .

فقال الملك وهو يخلع خاتمه :

— أبق الفضة لك ، خذ خاتمى ، وأصدر الى الولاية امرا بقتل

كل يهودى فى ولاياتهم .

ودعا هامان كتاب الملك ، وأمرهم أن يكتبوا الى الدهاقنة

والولاية بقتل جميع اليهود فى ولاياتهم ، فى الثالث عشر من

شهر آذار ، ولما تمت كتابة الرسائل ، ختمت بخاتم الملك ،

وانطلق الرسل الى الولاية والحكام .

— ٩ —

علم مردخاى بالأمر الملكى القاضى بآبادة اليهود فى فارس

والهند ، والبلاد الممتدة الى كوش ، فشسق ثيابه ، وانطلق

الى ميدان القصر يصرخ وينوح ، وراح يحثو التراب على

رأسه ، ورأى جوارى استر ما حل بمردخاى ، فدخلوا عليها ،

وقالوا لها :

— ان مردخاى فى ميدان القصر يصرخ ، وقد ارتدى ثيابا مهلهلة ، فاغتمت استر ، وبعثت اليه ثيابا جديدة ليرتديها ، فرد اليها الثياب ، وأرسل لها مع رسول :

— ان هامان قد استنصر أمرا بقتل جميع اليهود فى الثالث عشر من شهر آذار ، لقد نزلت المحنة بشعب اسرائيل ، فوجب عليها أن تمد يد العون الى شعبها الذليل ، صار عليها أن تدخل على الملك ، مستغلة سلاح جمالها ، ملتزمة منه الرأفة بأهلها ، فبعثت اليه مع الرسول :

— أنسيت يا مردخاى تقاليد هذه البلاد ؟ كيف أدخل على الملك دون أن يدعونى ، ان كل من يدخل عليه دون دعوة نصيبه القتل ، الا من يمد له الملك قضيب الذهب ، ماذا يكون جالى لو دخلت عليه ، ولم يقدم الى قضيب الأمان ؟ ! سيكون مصيرى القتل يا مردخاى ، وان مما يزيد فى مخاوفى أن الملك لم يطلبنى منذ ثلاثين يوما .

فبعث اليها مردخاى :

— لا تحسبى يا استر أنك مستجين من هذه المذبحة ، الأنك زوجة الملك . انك يهودية يا استر قبل أن تكونى ملكة ، وما أيسر أن يبلغ الملك ذلك ، انك ستقتلين حتما اذا أحجمت عن الدخول عليه ، أما اذا أقدمت ودخلت على أخشويروش العاشق الولهان ، فمن يدرى ؟ فقد يكون فى ذلك حياتك وحياة شعبك ، اننى على يقين يا استر أن فى اقدامك بركة ، فنشجى وأقدمى انقاذا لنفسك ، ان لم يكن انقاذا لحياتنا .

نظرت استر الى المرأة ، فحز فى نفسها أن يكون مآل

جمالها الرائع العدم ، انها لو استكانت لكان فى ذلك القضاء
الأخير ، وانه لعزيز عليها أن تستسلم للموت دون أن تدفعه
عن نفسها ، وعزمت على أن تدخل على الملك دون أن
يدعوها ، فقد يكون فى الاقدام على الموت دفع له ، وابعاد
لخطره .

وراحت استر تتأهب للمعركة القادمة ، المعركة الفاصلة
بين الحياة والموت ، فجعلت تشحذ سلاحها ، فراحت تتفنن
فى ابراز مفاتنها ، ثم تقدمت الى قاعة العرش ، ومشاعر الرهبة
تنبثق من أعماقها .

نظرت استر ، فرأت الملك جالسا على عرشه ، وهامان
وبعض الوزراء واقفين خاشعين ، فخفق قلبها فى شدة ،
ولكنها لم تنكص على عقبها ، بل تقدمت وقد رفعت رأسها ،
وانطلقت وكل خالجة غيها تنتفض رهبة . وثبتت عيناها على
يد الملك ، وأرهفت حواسها .

تقدمت رويدا رويدا ، ولحها الملك فلمعت عيناها سرورا ،
ورفت على شفثية ابتسامة ترحيب ، ورفع يده بقضيب الذهب ،
فأسرعت استر وقد ردت اليها روحها ، فقد رضى عنها الملك ،
ووهب لها حياتها .

وأقبل الملك عليها ، وقال لها فى بشاشة :

— ماذا تطالبين يا استر ، لك أن تسألينى نصف مملكتى .

فقالت استر فى رقة :

— كل ما التمسه أن يشربنى مولاى وهامان بالمجىء اليوم

الى الوليمة التى أعددتها لجلالتكم .

فقال الملك وهو يرنو اليها فى شنف :

— سنحضر يا استر .

وأعدت استر وليمة فاخرة ، وتأهبت لمقابلة الملك
وهامان عدوها الخطير . وجاء الملك ووزيره ، وبالغت استر
فى إكرامهما ، ولما دارت الكؤوس التفت الملك إلى استر
وقال لها :

— ماذا تطلبين يا استر ؟ لك أن تسألينى نصف مملكتى .
فقال استر فى دلال :

— ان كل ما أطلبه هو رضى مولاي ، وانه ليدخل على
قلبي البهجة لو شرف مولاي وهامان الوليمة التى أعدها غدا
لجلالتكم .

وانصرف الملك وهامان ، وهما يحسان نشوة ، الملك
تلعب به نشوة الخمر ، وهامان تلهؤه نشوة الزهو ، فقد خصته
الملكة بدعوتها مع الملك ، وميزته عن سائر الأمراء !

ودخل الملك الى جناحه ، واستلقى فى الفراش الوثير ،
وحاول أن يغمض عينيه ، وإذا بصورة استر تحتل رأسه ،
انه يراها بالفئة الروعة والجمال وهى تقتحم عليه قاعة
عرشه وانه ليراهنا نابضة بالحياة وهى تستفيه اليوم كئوس
النشوة ، وأحس حينئذ اليها ، وهفت روحه الى لقاءها ، فبعث
يدعوها اليه .

وجاءت استر ، وهى آية فى السروعة والحسن ، فراح
الملك يضمها اليه فى وله وهيام ، وتقضى الوقت بهيجا ، وتمددت
استر فى اغراء ، وقالت :

— ان أروع لحظات حياتى يا مولاي هى تلك اللحظات
التي أقضيها معك ، وتلك السويغات التى أخلو فيها بنفسى
لأفكر فيك .

فقال الملك وهو يرمقها فى اعجاب :

— جميل يا اسنر أن يستطيع الانسان أن يعيش فى ماضيه
السعيد .

ورأت اسنر أن الفرصة مواتية لتنفيذ الى غرضها ،
فقالت :

— ما ألد تقليب صفحات الماضى يا مولاي ، ان بعض
الحوادث اذا عشنا فيها بأفكارنا لملؤنا نشوة أكثر من تلك
النشوة التى شعرنا بها يوم عشنا مع تلك الحوادث فى واقع
حياتنا .

فقال الملك وهو يعبث بيده فى شعرها السبط المتناثر على
الوسائد فى روعة :

— هذا حق يا اسنر .

فقالت اسنر وقد أفتر شعرها عن ابتسامة رقيقة :

— ما رأيك يا مولاي فى أن نمضى ليلتنا فى ماضينا ؟

— ماذا تقصدين يا اسنر ؟

— أن نمضى هذه الليلة فى قراءة سفر الأيام ، فنبعث الى
الحياة تلك الوقائع الرائعة التى طواها الزمن .

— فكر- جميلة .

وأمر الملك غلمانة أن يحضرو سفر أخبار الأيام ، فلما أتوا
به تناولته اسنر وأخذت تقرأ فيه ، والمسلك يصغى اليها
شارد الفكر ، يتذكر حوادث الأيام . واستمرت اسنر فى
القراءة حتى اذا بلغت قصة مردخاى وتلك المؤامرة التى
كانت تدبر لاغتبال الملك تمهلت فى قراءتها ، حتى اذا انتهت
منها قالت :

— هذا رجل أسدى الى الدولة أجل خدمة .

فقال الملك :

— هذا حق .

— ماذا فعلت له يا مولاي ؟

— لا أذكر يا استر أننا فعلنا له شيئاً ، كل ما أذكره أننا
بمنحناه بعض المال ، ماذا يقول الناس عنا ، أننا أخطأنا في
حقه ولا شك ، رجل ينقذ حياتنا ولا نكرمه ولا نطعمه ،
هذا نكران !

فقالت استر وهي تطوقه بذراعها :

— ليت الذين حولك يا مولاي مثل هذا الرجل الذي أفعم قلبه

بالإخلاص .

وأحس الملك حرارة أنفاسها ، فقتل في حماسة :

— غدا سنفكر ، أنا وهامان في تكريم هذا الرجل .

فقالت استر ، وقد اختلطت أنفاسها بأنفاسه :

— لى رجاء يا مولاي .

— ماذا يا استر ؟

— اذا أردت أن يكون رأى من تستشيرهم خالصاً ، فلا تذكر

له اسم من تريد تكريمه .

— فما أذكر له ؟

— سله عما يشير بفعله لرجل يسر الملك أن يكرمه .

أدار عبير أنفاسها رأسه ، فقتل :

— غدا يا استر نتحدث في الأمر .

فغمغمت استر :

— في وليمة الغد .

وغابا عن كل شيء إلا عن نفسيهما .

وافى ميعاد الوليمة التى أعدتها استر ، فأقبل أخشويروش وهامان . وما أدارت استر عليهما كئوس الخمر ، حتى تذكر الملك ما كان فى الليلة الماضية ، فقال لهامان وهو يرتو الى استر :

— بماذا تشير علينا يا هامان فى رجل يسرنا أن نكرمه ؟
كان هامان يشعر بحب الملك له ، فحسب أن الملك ينوى تكريمه لاختلاصه وتفانيه فى عمله لمصلحة الدولة ، وأنه ما سألته هذا السؤال الا ليرتك له فرصة الإفصاح عما يحب وما يشتهى ليحققه له ، فقال هامان :

— أرى يا مولاي أن يكلف أحد الأشراف باللباس ذلك الرجل اللباس السلطاني ، وأن يقدم له فرس الملك ليركبه فى ساحة المدينة ، وأن ينطلق الشريف أمامه يهتف : « هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه » .
فقال استر فى فرح :

— هذا هو الرأى يا مولاي ، يا لرجاحة عقل هامان !
وابتسم هامان فى خيلاء . وقال الملك :
— خذ اللباس والفرس يا هامان ، واذهب الى مردخاي ، ذلك اليهودى الجالس ببابى ، وافعل به كل ما قلت ، انه يسرنا أن نكرمه .

واحس هامان انقباضا ، فما كان يدور بخلده أن يكرم
الملك يهوديا بعد أن أهدر دم يهود مملكته جميعا ، وغطنت
استر الى عبوسه ، فافتزت شفتها عن ابتسامة خبيثة ، وقالت :

— ماذا يا هامان ؟ لكننا أمر مولانا أدهشك ؟

فقال وهو يكتم غيظه :

— سأفعل ما أمرنى به مولاي .

خرج هامان وفى صدره أتون نار ، وذهب الى مردخاى ،
والبسه لباس الملك ، وأركبه فرسه ، وانطلق أمامه ينادى :

— هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه .

وتجمهر اليهود فى ساحة المدينة يهتفون فرحا ، وسار
هامان يترنح يمكاد يموت من الكمد .

ووفد الليل بهدوئه وسكونه وأسراره . بعث الملك فى طلب
استر ، فأقبلت تخطر رقيقة كالنسيم ، ناعمة كالأنعى ، وارتمت
فى أحضانها ، كأنها تلوذ به وتحتسى فيه ، فمرر يده على
عنقها العاجى وعلى جسدها الترب ، وهمس فى وجد :

— ما أروع هذا العنق البديع !

— هذا العنق البديع يا مولاي يستعمل فيه السكاكين .

فقال أخشويروش مرتاعا :

— من الذى يجرؤ أن يمسه ؟ !

— من أساء استغلال عطفكم ورعايتكم .

— من يكون ؟

— هامان يا مولاي ، هامان الذى حرصكم على اليهود ،
الذين أخلصوا لكم ، والذين ما كان لهم هم الا توطيد دعائم
ملككم ، والذين لم يرتكبوا اثما ، ولم يفعلوا ذنبا الا أنهم أحبوكم .

فقال أخشويروش :

— انى لا أفهم شيئا ، وما علاقتك أنت بهامان وبأمره بقتل اليهود ؟

— اننى يهودية يا مولاي ، فاذا نفذت أمر القتل فيهم قطعت رأسى معهم . بحق حبى يا مولاي أستوهبك حياتى وحياة شعبي .

ولفحت وجهه أنفاسها الحارة ، ورنت اليه بعينيها الجذابتين اللتين أصبح عبدا لهما ، فتحرك حبه ، فضمها اليه ، انه لا يطيق التأى عنها ، فمن هو هامان الذى يريد أن يفرق بينه وبينها ؟ ونسى الملك الغارق فى الخمر والشهوة ما أسداه هامان اليه وإلى مملكته ، فصاح بغلمانه :

— اذا جاء هامان المعتوه ، فأدخلوه على .

— ١١ —

وأقبل هامان ، فأسرع اليه أحد أعوانه يفضى اليه أن الملك حائد عليه ، فعجب هامان ، واشتد عجبه ، فما دار بخلده أن يحقد الملك عليه ، ورأى أن يدخل على استر يسألها سبب ذلك الانقلاب ، وانه ليرجو أن يجد عندها عونا ، فقد أكرمته واصطفته على سائر الأمراء .

انطلق الى جناح الملكة ، واستأذن فى الدخول ، فأذنت له بعد أن بعثت الى الملك من يوسوس له أن هامان فى جناح الملكة . ودخل هامان وهو مضطرب ، وما ان وقع بصره على استر حتى قال فى صوت ينم عن المشاعر المشتعلة فى جوفه :

— بلغنى يا مولاتى أن الملك حاقد على ، ولا أدرى لغضبه
سبباً .

وصمت وانظر أن تتكلم الملكة ، ولكنها لم تنبس بكلمة ،
بل رمته بنظرة لم يرتح لها ، فملك نفسه ، وقال :
— ليتنى أعرف ذلك الذى مشى بالبهتان بينى وبين
مولاي .

فهببت كنهرة ، وقالت فى قسوة :
— أنا يا هامان .

بهت ، وألجمته المفاجأة ، وطارت نفسه شعاعاً ، وقال فى
اضطراب :

— أنت ، أنت يا مولاتى ؟ !

— نعم أنا يا هامان ، أنا استر اليهودية التى وسوست للملك
أن يبدها ويبيد شعبها ، حتى استجاب لوساوسك .
— مولاتى ، ما كنت أعرف أنك يهودية ؟
فقالت له فى سخريّة :

— آه ! لو كنت تعرف ذلك لفرشت طريق اليهود
بالورود .

— لا ، ما كنت أفعل إلا ما فيه مصلحة مولاي ومصلحة
بلادى .

— وماذا كنت تفعل ؟

— كنت أشير عليه أن يبدهم ، الآن فى أبادتهم حياته وحياة
شعبه .

— يا عدو اليهود أمقتك من كل قلبى ، أمقتك بكل جارحة
من جوارحى ، أمقتك مقتى للموت .

— يحز فى نفسى أن سقط الملك فى حبالك ، انى حزين ،

حزين حتى الموت ، لأن أعداء هذه البلاد تسلطوا عليها ، وأصبح
عبيد الأمم السادة الحاكمين .

— لن يطول حزنك يا هامان ، سسأريحك من آلام نفسك
الخبثية .

ودنا هامان منها ، وهو ينظر اليها شمرا ، فصاحت به :

— ابتعد عنى ، يا أبغض من وقعت عليه عيناي ، ابتعد .

وفتح الباب ، ودخل الملك وصوت استريرن فى أذنيه .
فثارت ثائرتة ، ورأى هامان بالقرب ممن شسفف بها حبا ،
فتحركت غيرته ، فصاح :

— يا للئيم الذى أكرمته فكفر بنعمتى ، ودخل على أهلى
فى غفلة منى .

فهتف هامان فى توسل :

— مولاي ، أتوسل اليك ان تصفى الى .

— احرص يا فاجر .

ودنت استر حتى التصقت بأخسويروثس ، فصاح :

— ما كان لمن يتنكر لى أن يعيش .

— اننى يا مولاي خادمك الأمين .

ونادى الملك رجاله ، وصاح فيهم :

— خذوا هذا القدر واقتلوه .

— مولاي ! مولاي .

وانقض الرجال على هامان الأجاجى ، وخرجوا به ، فمغممت

استر فى راحة :

— الى الجحيم يا عدو اليهود .

— ❦ —

قتل هامان ، فخلا الجو لاستر ، فأصبح الملك أطوع لها من بنائها ، تحركه كيف تشاء ، فكانت تنفذ أهدافها بين رشف الكئوس ، ورشف الثفور ، فمكنت لمرخادى فى القصر ، وقربته من الملك ، حتى أمر بمنحه ضياع هامان وقصره وأملاكه .

وظلت استر به حتى أقنعته أن ينقض أمره القاضى بقتل اليهود ، فدفع الملك بخاتمه الى استر ومردخاى ، فبعثا الى كتاب الملك وأمرهم أن يكتبوا الى الولاة أن الملك العادل أحشويروش قد عفا عن اليهود وأكرمهم ، وخصهم برعايته . وخرج الرسل على الخيل والبغال ، وانطلقوا الى الهند وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، يحملون أوامر من أصبح العوبة فى أيدي اليهود .

ولم تقتنع استر بما نالتة ، فحقدتها على هامان لم يطفىء لهيبه الموت ، انها تحس رغبة فى أن تبطش بكل ما يمت بسبب اليه ، فراحت تحرض الملك على قتل أهل هامان . فاستجاب لها الرجل المسلوب الارادة ، وبطش بأهل من كان أخلص الناس اليه .

وتحركت فيها روح الشر ، فجعلت تحرض اليهود على التكيل بأهل البلاد ، لتنزل الرعب بقلوبهم ، فتمكن لأهلها فى الأرض ، فقام فى مملكة أحشويروش عهد من الارهاب ، فى ظل استر ومردخاى ، وفى غفلة من الملك اللاهى عن شعبه

بالجسد التريب ، الذى يحوى بين جنبيه روحا تهفو الى سفك
الدماء .

وراح مردخاى يقدم إلى الملك اسرابا من العذارى ،
ليشغله باللذة عن المظالم الواقعة فى ملكه ، فصارت المالكة
الهائلة الممتدة من الهند وفارس وكوش مرتعا خصبا لليهود ،
فرضوا عن اسستر وقدسوها ، ودونوا قصتها فى الكتب
المطهرة !

—•••—

والصلاح ، ودخل عليها زكريا المحراب ، فوجد عندها فاكهة فى غير أوانها . فتعجب وقال لها :

— يا مريم أنى لك هذا ؟

— هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وراح زكريا يفكر فى أمره ، انه قارب الثمانين ولم يرزق ولدا ، وحز فى نفسه أن يبقى فردا وقد مسه الكبر ، وتمنى أن يهب الله له غلاما ، ولكن ما كان له أن يطمع فى ذلك وامراته عاقر ، ووقع بصره على الفاكهة ، فأحيا ذلك موات الأهل فى نفسه ، ان الله الذى يرزق مريم الفاكهة فى غير أوانها ، قادر على أن يهب له ذرية ، على الرغم من أنه شيخ وامراته عاقر .

ودخل محرابه ، وسجد فى خشوع ، وجعل ينادى ربه فى حرارة :

— يارب . يارب . يارب .

وصفت نفسه وفتحت روحه . وأحس كأن ينبوعا من النور تفجر فى جوفه ، فبدد الظلام الذى كان يحتويه صدره ، وشعر كأنما دنا من ربه ، فقال :

— رب ، انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم اكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا .

وأطرق خاشعا ، وفاض النور فى المحراب ، وسمع حفيفا خفيفا ، فتلفت ، قرأى ملكا كريما يقول فى صوت أخاذ :

— يا زكريا ، انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .

فرجع زكريا رأسه الى السماء ، وقال :

— رب ، أنى يكون لى غلام : وكانت امرأتى عاقرا ، وقد
 بلغت من الكبر عتيا ؟ !

قال الملك :

— كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم
 تك شيئا .

— رب اجعل لى آية .

— آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .

وخرج زكريا على قومه فى المحراب ، يفيض وجهه بابشر ،
 ويخفق قلبه من السرور ، ورمز الى قومه أن يسبحوا بكرة
 وعشيا ، فقد استجاب له ربه ، ووهب له يحيى .

- ٢ -

سار يحيى يقلب وجهه فى السماء ، ويمد بصره الى
 ملكوت الله ، فيحس رهبة وجلالا ، ويخشع قلبه ، ويعمل فكره ،
 كان يرى الله فى كل ما تقع عليه عيناه ، انه شب فى بيت
 النبوة ، قرأى أباه فى محرابه ، يعبد ربه ويقدس له ، فعرف
 الله ، وصار يهابه ويخشاه .

وانطلق وهو مشغول الى بيت المقدس ، فلمحه أترابه من
 الصبيان ، فهرعوا اليه ، وقالوا له :

— يا يحيى اذهب بنا نلعب .

فقال لهم وهو منطلق فى طريقه :

— ما للعب خلقت .

ودلف إلى بيت المقدس ، فرأى المجتهدين من الأبحار
والرهبان وعليهم مدارع الشعر ، وبرانس الصوف ، وهم يعبدون
الله في خشوع ، فتفتحت نفسه ، وهفت روحه اليهم ، ووقف
ينظر وقد شاعت البهجة فيه ، وسكنت الطمأنينة قلبه ، وأحس
هدوءا عجيبا .

وبقى في المسجد هائنا ، تهيم روحه بملكوت السماء ،
حتى اذا عاد الى داره احتلت رأسه فكرة ، فأتى أمه وقال
لها :

— يا أماه ، أنسجى لى مدرعة من شعر ، بونسا من
صوف ، حتى آتى الى بيت المقدس ، وأعبد الله تعالى مع
الأبحار والرهبان .

فنظرت اليه أمه وقالت :

— حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام ، فأؤمره فى
ذلك .

وأقبل زكريا ، وتأهب ليدخل محرابه ، فجاءته زوجته
وقالت له :

— أن يحيى قد طلب منى أن أنسج له مدرعة من شعر ،
وبرنسا من صوف .

فالتفت زكريا الى ابنه وقال :

— يا بنى ، ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير ؟
فنظر الصبى الى أبيه بعينين يشع منهما بريق الذكاء ،
وقال :

— يا أبت ، أما رأيت من هو أصغر منى ذاق الموت .

فأنشرح صدر زكريا وقال :

— بلى .
ثم التفتى الى زوجته وقال :
— انسجى له مدرعة من الشعر ، وبرنسا من الصوف .

— ٣ —

جلس فيليبس ملك أورشليم على عرشه ، وجلست الى
جواره زوجته هيروديا ، وراحت ابنتها سالومي تنظر من النافذة ،
ترقب طرقات المدينة العتيقة . كانت هيروديا رائعة الحسن ،
أندى من الندى ، وأنضر من أزهار الربيع . كان جمالها أخذاً ،
يعبث بالأفئدة ، وتهفو اليه القلوب .

وأقبل هيروودس أخو الملك ، وأخذ بأسباب الحديث ، كان
يحادث أخاه ، ويرنو الى هيروديا فى اعجاب ، ويرمقها فى
اشتهاه ، وكانت عيناه الوالهيان تتلقتان وعينيها ، فكانت
تحس حرارتها ، وتفهم لغتها ، فترقت على شفيتها ابتسامة ،
وتتالق عينها بريق السرور والارتياح .

واقتربت سالومي من هيروودس ، فمد يده وضمها اليه ،
وقال وهو يرنو الى أمها فى هيام :

— يا لروعة حسنك ! جمالك يا سالومي قاهر جبار ،
يهز أوتار القلوب ، ويزيد خفقات الأفئدة بين الضلوع .

فأشرق وجه هيروديا ، وقال فيليبس وهو يضحك :

— دع يا هيروودس الفتاة ، لكأنك عاشق برح به الغرام .

فقال هيروودس فى حرارة ، وهو ينظر الى وجه زوجته
أخيه الفتان :

— انها يا فيليبس قطعة رائعة لأقدر فنان .

وهام هيرودس بزوجة أخيه حيا ، وبادلته هيروديا ذلك
الفسرام ، فراحا يتسلاقيان ، وملك حبه لها حواسمه ،
وسيطر عليه ، فلم يطق أن يشاركه فيها أنسان ، ففكر ودبر ثم
قابل هيروديا ، وناجاها وهمس لها بما عقد عليه العزم ، فلم
تشر ولم تفرع ، بل شجعته على أن يقدم على انفاذ ما دبر ، فقد
كانت امرأة تهوى المغامرات .

وفى الليلة الموعودة ، تدثر أعوان هيرودس بالظلام ،
وانسلوا الى القصر وانطلقوا الى مخدع فيليبس ، فألفوا كل
شئ هينا ميسورا ، فقد دبرت هيروديا الأمر ، وأحكمت
التدبير ، كان باب مخدعه مفتوحا ، وما كان هناك أحد من
الحراس .

وانقض الرجال على فيليبس وشدوا وثاقه ، وقادوه الى
سجن القصر ، وما تنفس الصبح حتى كان هيرودس متربعا
على عرش أورشليم والى جواره هيروديا .

— ٤ —

راح يحيى يهيم فى البرارى ، يأكل من ورق الأشجار ، ويرد
ماء الأنهار ، ويتغذى بالجراد ، ويستتر جسمه مدرعة من الشعر ،
وعلى حقوية منطقة من جلد ، وكان يدخل بيت المقدس ينقل الى
الناس أوامر السماء ، ويبشرهم بقرب ظهور المسيح ، ابن
الانسان ، منقذ البشرية .

سار فى مسالك المدينة ، وقد التف حوله من صدقه ، وراح
يقول :

— توبوا فقد اقترب ملكوت السماء .

وعلم يحيى ما فعله هيرودس بأخيه ، فغضب ، وأخذ يقول
ان هيروديا لا تحل له ، واشتد فى تقرير المرأة ، وكان كلما
قابل جماعة من بنى اسرائيل أعلن سخطه على ما اقتترف مفتصب
الملك والزوجة ، وبلغ هيرودس ما يقول يحيى ، فثار ، ولكنه
لم ينفس عن ثورته ، كان يخشى أن يمد يده الى يحيى بأذى ،
خشية أن يثور الشعب لنبيه .

وحققت هيروديا على يحيى ، فطفتت تحرض هيرودس على
البطش به ولكنه كان يترث هيبه منه ، وخوفا من أتباعه ،
وفكر فى أنه لو قضى على فيليبس فقد تخفف حملة يحيى الشديدة
التي تهدد ملكه ، وترزع سلطانه .

وبعث هيرودس جلاده الى السجن ، وما خرج منه حتى
كان فيليبس جثة هامدة ، وذاع نبأ قتله ، فاشتد يحيى فى لوم
هيروديا الفاجرة ، فأخذت تضغط على هيرودس لينتقم لها من
ذلك الذى مرغ اسمها فى الأوحال ، فلم يجد مفرأ من أن يذعن
لها ، فأرسل جنوده فى طلبه ، فلما مثل بين يديه قال له :

— ألا تكف عنا ؟

— حتى تكف عن معصية الله .

— وكيف ؟

— أن تهجر الفاجرة .

فثارت هيروديا وصاحت :

— اقتلوه ، اقتلوه .

وقال الملك :

- ولماذا أهجرها ؟
- لأنها لا تحل لك .
- وظهر فى وجهه هيرودها الغضب الشديد ، وصاحت :
- اقتلوه .. اقتلوه .
- وقال الملك لحراسه :
- القوه فى غيابات السجن .

- 6 -

راحت سالومى ترح فى القصر كفراشة طليقة ، وفى يوم من الأيام بينا كانت بالقرب من السجن ، وسمعت صوتا عميقا يهتف فى نبرات تهز القلوب :

— فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أهل سيور حدائه .

ووقفت سالومى تفكر فى ذلك النبى الذى رمى أمها بكل سوء ، فأحسنت رغبة فى أن تراه ، ولم تستطع أن تقاوم اغراء الفكرة ، فأتجهت إلى حارس السجن ، وقالت له :

- افتح هذا الباب .
- لماذا يا مولاتى ؟
- أريد أن أرى ذلك النبى .
- محال أيتها الأميرة ، فقد حرم الملك أن يراه انسان .
- كيف هو ؟ أهو شيخ كبير ؟

— لا يا مولاتى ، انه شباب رائع الحسن .

فدنت سالومى من الحارس ، وقالت فى دلال :

— افتح الأراه .

— مولاتى . . مولاتى . .

— افتح ، ولن يعلم الملك شيئاً .

وفتح الحارس الباب ، فهبطت سالومى درجات ، وألقت
نفسها فى حجرة ضيقة . وقد وقف فى ركن منها يحيى ، بقامته
المديدة ، وقسماته الجميلة ، ونظرت إليه ، فبدأ فى وجهها
العجب . كان أبيض البشرة ، واسع العينين ، حسن الصورة ،
فمس حسنه شغاف قلبها ، فدنت منه خافقة الفؤاد ، فرفع
رأسه ، وقال :

— من أنت ؟

— أنا سالومى ابنة هيروديا أميرة الأردن .

— ابتعدى عنى ، فقد ملأت أمك الأرض عصياناً .

— ما أحلى صوتك يا يحيى .

ودنت منه ، وهى تكاد تلتهمه بعينيها ، فارتد خطوات ، وهو
يقول :

— لا تقتربى منى ، اذهبى ، اذهبى .

وأحست شغفا فى أن تغرى نبيا ، فقال وهى تتثنى ، وترنو
إليه فى وله :

— ما أجملك يا يحيى !

— غضى من بصرك يا فاجرة .

ومدت يدها تتحسس وجهه ، ولفحت أنفاسها الحارة جيدة ،
فنفر منها وصاح :

— ابتعدى عنى ، ابتعدى عنى .

وثبتت عينيهما على فمه ، وقالت :
— ما أروع ثغرك يا يحيى ، تعال وضع شفطيك على
شفطى .

— اذهبى .. اذهبى .

— أنصت يا يحيى ، أنصت . ألا تسمع دقات قلبي ،
ان الفؤاد يخفق بحبك ، وشفطى ترتجفان ، وجسدى
استعر نارا ، قبلة واحدة تطفئ اللهب الذى أشعلته
عيناك ..

وأشاح بوجهه عنها ، وهى تدنو منه وتقول :

— قبلنى يا يحيى .

— أخرجى يا سالومى .. أخرجى ..

— قبلة واحدة تطفئ النار التى تأججت فى صدرى .

— اغربى عن وجهى يا فاجرة .

وبقيت سالومى تتثنى وتتأود ، ويحيى ينفّر منها ،
وخرجت أخيرا مطأطئة الرأس ، منقبضة الصدر ، دامية النفس ،
تحس ذلة الانكسار ، وقد اندلعت النار فى أحشائها . جاءت
لترى النبى الذى تمقتة أمها : فخرجت من عنده تحس طعم
الصاب فى فيها ، فقد أشهت النبى الجميل ، وحاولت أن تضع
شفطيهما على شفطيه ، ولكنه صدها أقسى صد ، وترك نار
الصبابة ترشى فى الصدر ، وتضنى الفؤاد .

كان اليوم عيداً من أعياد الصوم ، فأقبل إلى القصر الأشرف
وكبار رجال الدولة والأعيان ، وانتظم عندهم ، فجعل الملك
وهيروديا وضيوفهما يجبون الخمر ويضحكون ، وجلست سالومي
ساهرة ، قد غاضت نضارتها ، فقد جرحت هزيمتها كبرياءها ،
وجعلت أبخرة الحقد تنتشر في صدرها فتخنقها .

وارتفعت ضوضاء المجتمعين ، وراحت ضحكاتهم المخمورة
ترن في جنبات القصر ، وبلغ يحيى في سجنه أن المسيح قد ظهر ،
وأنه أحيا الموتى ، وأبرأ الأعمى والأصم والأبرص ، فصاح :

— العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ،
والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

ورن صوته في القصر ، فصمت الجميع ، وقال أحدهم :

— ما هذا ؟

فقال هيرودس :

— انه يحيى .

— ماذا يقول ؟

— لا أدري .

فقالت هيروديا في ضيق :

- انه يهرف .
- وبلغ صسوته آذان سالومى ، فزاد امتشاعها ، وسرعان ما عادت المشغوضاء ، وانطلق القوم فى مرحهم .
- ولاحظ هيرودس انطواء سالومى على نفسها ، فقدم اليها كأسا من الخمر فرفضتها ، فقال لها :
- اشربى .
- لا يا مولاي .
- اشربى وامرحى يا سالومى ، فاليوم عيد .
- فافتتر ثغرها عن ابتسامة باهتة ، فقال لها :
- ارقصى يا سالومى .
- لا أشعر برغبة فى الرقص يا مولاي .
- أرجو أن ترقصى .
- لا أستطيع . . لا أستطيع .
- فقال لها فى اغراء :
- اذا رقصت لى أعطيتك ما تشائين . .
- فخطرت لها فكرة . انها تستطيع أن تثار من ذلك الذى جرعهها كأس الهوان ، فرنت الى الملك وقالت :
- حقا ؟
- أقسم لك يا سالومى .
- بماذا تقسم ؟
- أقسم لك بالهتى ما سألتنى شيئا الا أعطيتك .
- لقد أقسمت .
- أقسمت يا سالومى وما حدثت فى قسمى قط .
- وغابت سالومى قليلا : وعادت فى غلاتها السبع ،

وانسابت الأنغام العذبة ، فراحت ترقص وتغنى فى خُمة الطيف .
وأخذ الجميع يرمقونها نى اعجاب ، وقد حبست الأنفاس .
كانت ترقص فى حرارة تتدفق فى عروقها نار . وانبسطن
الأسارير ، وفاض وجه الملك بالبشر ، وسالومى تميل ، فتميل
مبها القلوب ، وما انتهت من رقصتها حتى هرعت الى الملك ،
وانحنى أمامه ، فقال لها فى انشراح :

— انهضى الأملحك ما تطلبين ، لقد أدخلت يا سالومى على
نفوسنا السرور . ماذا تريدين ؟

— هدية فى طست من فضة .

فظهرت الدهشة فى وجه الملك ، وقال :

— هدية فى طست من فضة ، وما هذه ؟

— رأس يحيى .

فأربد وجه الملك ، وتهلل وجهه هيروديا ، وقالت :

— أحسنت الاختيار يا فتاتى ، انها خير هدية فى هذا

العيد .

فقال الملك فى جزع :

— لا . لا يا سالومى . لا تسألينى ذلك .

— أريد رأس يحيى نى طست من فضة .

— لا .. لا .

— لقد أقسمت . أقسمت قسما عظيما .

— أقسمت يا سالومى ، ولكن أتوسل اليك أن تسألينى

شيئا آخر .

— لا أريد الا رأس يحيى .

— لا ...

فقالت هروديا :

— لقد أفسمت ، بز بقسمك .

— اسكتى .

فقالت سالومي فى اصرار :

— أرجو رأس يحيى .

— ما هذا يا سالومي الذى تطلبين ؟ ان ما تطلبين

مريع !

— أعطنى رأس يحيى .

وحسبت هروديا أن سالومي تطلب رأس يحيى اكراما لها ،

فقالت :

— أعطها ما طلبت ، أعطها رأس من سب أمها ، ولطخها

بالعسار .

ونظرت الى ابنتها فى شكر ، وما دار بخلسدها أن

سالومي تطلب رأسه لتنتقم لما نالها من هوان ، لعل النار

التي استشرت فى جوفها تخدم ، ولعل القلب الذى كان

ينزف حقدًا يهدأ ، ولعلها تستطيع أن تلثم الفم البارد الذى عز

عليها أن تلثمه وهو نابض بالحياة .

وانكشس هرودس من عرشه ، ونزل به هم ثقيل ، وقال

لحراسه فى صوت خفيض :

— أعطوها ما طلبت ،

وخرج الحراس ، وسداد القاعة صمت رهيب ، ومر

الوقت بطيئا بطيئا ، وقد استولى على الجميع رهبة

وقلق . ثم عاد الحراس يحملون طنستا من فضة به رأس

يحيى بن زكريا ، وقدموه لسالومي . فنظرت الى فمه وقد

اتسعت عيناها ، وأدنت شفثيها لتلثم شفثيه ، ولكن
الأرض زلزلت ، وانقضت صاعقة من السماء ، فسقطت
سالومي صريعة ، وسقط الرأس بعيدا ، فقد حرم عليها
أن تلثم شفثيه حيا وميتا .

الْقِصَصُ الدِّينِيُّ

(قصص من الكتب المقدسة)

1910

1910

نداء من السماء

- ١ -

سار « شطا » فى ردهات القصر شاردا لللب ، مبلبل الفكر ، منقبض الصدر ، يمد بصره الى لا شىء ، وقد ارتسبت الحيرة فى وجهه . وكان شابا تدل قسماته على الذكاء ورجاحة العقل ، انطلق دون أن يفطن الى الخدم الذين كانوا ينحنون له تحية واکراما اذا ما أقبل أو أدبر ، ودون أن تجذب بصره تلك التماثيل الرائعة الفخمة ، التى كانت تزين ردهات القصر العظيم ، فقد كان واجما منطويا على نفسه ، انه يحس اضطرابا وقلقا ، فقد كره عيشته ، وعافت نفسه كل شىء ، ودلف الى غرفة كانت من احب غرف القصر الى قلبه ، ولطالما اجتمع فيها بعلماء المدينة ، وطالما أصغى اليهم فى نشوة ، وطالما أخذوا ياهم بأطراف أحاديث لذيذة كانت تنعش روحه ، وتميد اليه هدوءه .

ألقى العلماء مجتمعين يريدون النقاش بينهم ، فجلس كما اعتاد أن يجلس ، وأعارهم سمعه ، وما انقضى قليل وقت حتى شرد فكره ، وعاد اليه وجومه وحزنه ، وسرعان ما فطن الى شروذ ذهنه ، فراح يجمع شتات أفكاره ، ويحاول أن يلقى السمع اليهم ، وأن يتتبع حديثهم فى

شغف ، ولكن ما مرت لحظات حتى احس ضيقا وانقباضا ،
فنهض متبرما وانصرف ساهما مفكرا كما أقبل ساهما مفكرا .

وأغلق عليه بابه ، وراح يفكر فى نفسه وفيما حوله ،
وأرعى لخيساله عنساته ، فألقى نفسه سجين القيود ، وما
أبغض القيود الى النفس ، فما تخلف الا القلق والحيرة والفرع
والخوف والأحزان ، انه يود أن يكون طليقا من كل قيد . فلم
لا يهجر القصر ، وينبذ المال ، ويدع السلطان ، ليعيش وحيدا
سيدا طليقا ، ينعم بالراحة وهدوء البال ،

وأقبل البامرك تحف به بطانته ، وسأل عن ابنه ،
فقيل له انه فى جناحه وقد أغلقه عليه ، فأطرق البامرك ،
وطافت به سحائب من حزن . فان ابنه قد ركن الى
الوحدة ، وأصبح يطلق عليه بابه ، لينفرد بنفسه يحادثها
وتحادثه . ان نفور شطا واعتزاله أصبح يقلقه ، وان
وجومه صار يحزنه ، فلو أن ابنه كان كلداته من الشباب
بسر بلذات الجسد لهان الأمر ، ولبعث اليه بالجوارى
الفاتنات ، وبالسراى اللاتى يأخذن باللب ، ويشغلن
القلب ، ولكن ابنه أعرض عن كل شيء . وجعل البامرك
يعجب فى نفسه لوجوم ابنه ، وأغراقه فى التفكير ، فما كان
لمثله أن يكتب أو يفكر ، فالدنيا لهم باسمه ، بسطة فى
العيش ، ومال موفور ، وخدم وحشم ، وسؤدد وسلطان ،
انسه ابن حاكم ديساط ، وابن خال حاكم مصر المقوقس
العظيم !

وسار البامرك حتى اذا ما بلغ باب ابنه طرقه فى رفق ،
ففتح شطا الباب ، فلما رأى أباه ابتسم ابتسامة ، كانت
أسمى على قلب الأب بن الدموع ، فزادت من آلامه ، فقد

كانت ابتسامته ساهم واجم ، لا تعرف نفسه الراحة او
الهدوء ، واقترب البامرك من ابنه ، ولف ذراعه حوله ،
ورنا اليه رنوة كلها عطف ، وكلها حنان ، وقال له فى صوت
متهدج :

— ما بك يا بنى ؟

— لا شىء .

— فما بالك تفر من الناس وتغلق عليك بابك ؟

— ضقت ذرعا بالناس وتفاهاتهم .

— اخرج الى القصر يا بنى واختلط بمن فيه تذهب عنك
وحشتك ، ويعود اليك هدوءك .

— سئمت القصر ومن فيه .

— اخرج الى الصيد وروح من نفسك تجد لذة وشغفنا
وسعادة .

— هيهات ! ما لى لى اللهو من ارب .

— وما تريد ؟

— ان تاذن لى بان ابنى صومعة اتفرد فيها .

— تبنى صومعة لتتركنا ! ؟

— ان روحى تهفو الى شىء ونفسى تتشوف له ، ولكنى
لا ادري ما هو ، وكل ما ادريه انه ليس هنا فى القصر ، فدعنى
احيا حياتى .

— شطا ، ولدى .

— دعنى يا ابنت اذهب ، دعنى ان روحى تمسذبنى .

تضمنينى .

نضمه البامرك الى صدره فى وله وحنان ، وقال له فى
توسل :

— لا يا شطا ، لن أدعك أبدا أبدا ، انى لا أطيق فراقك .
— انى أحس أن روحى هنا حبيسة ، ولن تهدأ حتى تهيم
طلليقة ، لتتصل بالكون .
— ابق من أجلى يا شطا . أما كفانى اليوم أن أعلم أن
العاصمة قد سقطت فى ايدى العرب المغيرين ، حتى تأتى أنت
لتزيد فى كربتى ؟ !
فخفف شطا بصره ، ولم ينبس بكلمة ، ونهض البارمك
وجذب ابنه من يده ، ليخرج به الى القصر .

— ٢ —

انتشرت الجيوش الاسلامية فى ربوع مصر تضيع يدها
على مدينة اثر مدينة ، بين فرح الاهلين واغتيالهم ، فقد
كانوا قوما عدلا ، وما كانوا بفاسقين . وأخذ الناس يتناقلون
القصص العجيبة عن الغزاة الفاتحين ، وانتشرت أنباؤهم
حتى بلغت دمياط ، فجعل شطا ينصت الى ما روى عنهم
فى اهتمام وانتباه ، ويستفسر عن ذلك الدين الجديد الذى
جاءوا به لينشروه على العالمين . أنهم قوم متواضعون رحماء
لا يريدون عرض الدنيا وزخرفها ، ولكنهم يبغون وجه الله .
انهم على تواضعهم أصحاب مثل عليا يخوضون المهالك
لتحقيقها ، ويجودون بأرواحهم راضين مطمئنين فى سبيلها .
انهم يحبون الموت حبهم للحياة .
وأخذ شطا يتقصى أخبارهم فى شغف ، ويفكر فيهم ،
وفيما جاءوا به ، فلا يزداد الا عجبا وعجابا . وفى يوم وفد

الى القصر رجل من رجال المقوقس الذى فروا بعدد سقوط
حصن بابلين ، فهرع شططا اليه ، ليستمع الى انباء اولئك
الذين أصبحوا شغله الشاغل ، وراح الرجل يقص نبأهم ،
فما كان لمصر حديث غيرهم ، وشططا يستمع فى رضا . قال
الرجل فيما قال :

— انهم فى الليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، اذا رأيتهم
فى سكون الليل يدعون ربهم ، ويصلون صلاتهم ، حسبتهم ملائكة
أبرارا ، واذا رأيتهم فى النهار فى حلبة القتال يطلبون الموت
فيغير منهم ، حسبتهم شياطين مردة .

وزحفت جيوش المسلمين تطلب دمياط ، فحصن البارمك
البلد ، وجمع الجيوش ، وتأهب للقاء ، واجتمع بأرياب دولته ،
وكان عندهم حكيم يثقون به وبرأيه ، فأرسل البارمك فى طلبه :
فلما جاء قال له :

— ايها الحكيم العالم ، ما الذى تشير به علينا فى أمر هؤلاء
العرب ؟

— ايها الأمير ، ان هؤلاء القوم لا تذل لهم راية ، ولا تلحق
لهم غاية ، وقد فتحوا البلاد ، وأنزلوا العباد ، وأشتت
أمرهم ، وعلا ذكركم ، وفشا خبرهم ، وعلت كلمتهم ،
وإلغيت بالأرض دعوتهم ، فما أحد يقدر عليهم ، وما نحن
بأشد من جيوش الشام ولا أمنع بلدا ، وهؤلاء القوم أيدوا
بالنصر ، وان الرحمة فى قلوبهم ، فعاهدتهم ، فما عاهدوا
عهدا فخانوا ، ولا حلفوا يمينا فكذبوا ، وقد بلغك ما هم
عليه من الدين والصيانة والصدق والأمانة ، والسرائى عندى
ان تصالحهم لتنال بذلك الأمن ، وحقن الدماء ، وصون الحرم ،
ودفع الأمر العظيم .

فشارت ثائرة البامرك ، فان الحكيم ليبيث روح الهزيمة فى القوم ، فاستل سيفه ، وقطع به رأسه ، وصاح فى القوم أن يتأهبوا للحرب .

وجاء الليل بمد أرديته السود ، وانسل شطا الى معسكر المسلمين ينظر ، فرأى الأعراب فى ثيابهم البيض يرتلون القرآن ترتيلا ، ويبتهلون الى الله فى خشوع ، واستمر يرقب ما يجرى فى المعسكر فآلفى بساطة رائعة تأخذ بمجامع القلوب ، فتفتحت نفسه ، وغشيته طمانينة وهدوء ، وعاد شطا الى معسكره متسللا تراوده أفكار وأحلام .

وطلع الصباح فخرج المصريون للقتال ، وكان البامرك على رأس جيشه ، وعن يمينه شطا يرقب الأعراب كالمشدوه ، واضطربت نفسه ، وخفق قلبه فى صدره ، وشخص الى السماء ببصره فرأى كأنها نور عظيم يسقط على عسكر المسلمين ، فصاح وسقط عن فرسه ، فارقاع أبوه وجميع عسكره من تلك الصيحة ، فلما أفاق قال له أبوه فى اضطراب :

— ما وراءك يا بنى ؟

فقال شطا فى يقين :

— ظهر والله الحق .

وحرك جواده وقال :

— أشهد أن لا اله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وانتفت الى الرجال وقال :

— من أحببني من رجالى وغلماي فليتبغنى .

وانطلق الى صفوف المسلمين وقد القى سلاحه ، وإذا

بألف من المصريين يتبعونه ، ويلحقون به ، ويلتصون
بأسلحتهم .

وتطلع البامرك الى ابنه ورجاله فى ذهول ، ومضت مدة
قيل أن يفيق الى نفسه ، ولما استرد ليه الذاهل بعد تلك المفاجأة
المباغثة قال :

- والله ما فعل ولدى شطا ذلك الا وقد رأى الحق .
- وحرك جواده ، وسار الى صفوف المسلمين ، فلما نظر
أرباب دولته ذلك قالوا :
- اذا كان الأمير وولده قد أسلما ، فما وقوفنا !
- وانتشر الاسلام فى دمياط دون أن تراق قطرة دم .

— ٣ —

فتحت دمياط ، واعتنق البامرك الاسلام وتعصب له ، وشاء
ان يعمل على نشره ، فالتفت الى شطا وقال :

— هذه تنيس بالقرب منا ، وهى جزيرة ، ولا يمكن التوصل
اليها الا فى المراكب ، والصواب أننا نكتب صاحبها أبا ثوب ،
وندعوه الى الله ، والى دين نبيه ، فان أجاب ، والا قصدناه والله
ينصرنا .

فقتل شطا :

— هذا هو رأى ، وأنا اكون الرسول اليه بنفسى .

فقال البامرك :

— اعزم يا بنى على بركة الله وعونه .
وجهزت المراكب وركب شطا وأربعة من غلمانه

الخواص ، فلما نظر ذلك يزيد بن عامر صاحب رسول الله
قال :

— وأنا أسير معك الى صاحب تئيس ، فانه لو سألك
عن ديننا ومعالمة لم يجد عندك ما يشمئ غلته ، ونحن بحمد
الله ما فينا من ينكبر ولا يجبر ، وما طلبتنا الا الآخرة ، والعمل
بما يقربنا الى الله .

وأطلع المركب بشططا ويزيد حتى اذا ما اقترب من الجزيرة
أسرع الحرس اليهما ، فلما رأوا فيها بدويا أظهروا عجبهم ،
وسألوا شطا :

— من أنت ؟

— أنا ابن البامرك صاحب دمياط ، ومعنا هذا الرجل من
أصحاب رسول الله ، وقد جئناكم رسلا .

فأرسلوا واحدا منهم يستأذن لهم ، فأذن لهم أبو ثوب ،
فنزلوا في الزورق ، ولما بلغوا اليابسة وجدوا أبا ثوب
قد أرسل لهم دواب ليركبوها ، فامتنع يزيد من الركوب ،
ووافقته شطا على ذلك ، وساروا كلهم راجلين الى أبي ثوب .

وبلغوا القصر ، فاخترقوا مواره حتى دخلوا على أبي
ثوب ، واذا به في حشمه وخدمه وزينته ، والحجاب والغلمان
بين يديه ، فلما رآهم مقبلين نظر اليهم شزرا ، ثم أعرض عنهم
في عجرة وكبرياء ، ولم يأذن لهم بالجلوس ، فلم يجسر أحد
من جماعته أن يأذن لهم ، فلما رأى يزيد بن عامر ذلك لم يغضب
ولم يثر ، بل قرأ في هدوء : (ان الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده ، والعاقبة للمتقين) .

وجلس ، فجلس شطا الى جواره ، وراح يزيد يعرض

على أبى ثوب فى ثقة : الاسلام أو الجزية أو القتال ، فغضب أبو ثوب ، ولكنه كظم غيظه ، وأخذ بأطراف الحديث مع يزيد ، واستمر الأخذ والرد ، والجذب والشد ، وأخيرا انصرف يزيد هو ومن معه الى دمياط ، وقابلوا البامرك ، فسألهم عما فعلوا ، فقال يزيد :

— قال أبو ثوب انه سوف يعرض دين الاسلام على أهل جزيرته وأصحابه وأهله ، ويبنى المساجد ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فقلت له : ان أنت فعلت ذلك رشدت ، وان نافقت فان ربك لبالمرصاد .

فأطرق البامرك قليلا ثم غمغم :

— والله لقد خدعكم بخديعته ، ورامكم بسهم مكيدته .
فقال يزيد :

— (ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين) .

وانتضت أيام ، ووصل الى علم المسلمين أن أبى ثوب جمع جندا من سائر الجزائر وأنه قادم عليهم ، فلما سمع البامرك بذلك قال ليزيد :

— ما الذى ترى من رأى فى أمر هذا العدو ؟

— نستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن قاتلنا

قاتلناه .

وأرسل البامرك شسطا الى البرلس ودميرة وطناح يجمع الرجال ، فانتقل شطا يجند الجيوش ، فجاءوا من كل صوب ، وطلب يزيد من عمرو بن العاص مددا .

نفر الى أبى ثوب الحساكر ، فأخرجهم بظاهر تنيس ، وعداهم فى المراكب ، وأتوا نحو دمياط ، فألفوا جيش البامرك على أهبة القتال ، فوقف الجيشان وجها لوجه ،

وبرز شطا للنزال ، فقتل رجالا ، وجدل أبطالا ، ونشعبت
المعركة ، واستمرت رهيبة حتى خيم الظلام ، فتحاجز
الجيشان ، وراح شطا يصلى الله ، ويدعوه فى حرارة
وابتهال حتى مضى أكثر الليل فاضطجع ، فلما كان وقت
الفلس ، وقرب الصبح وتنفس ، استيقظ شطا وهو باكى العين ،
فقال له أبوه :

— يا بنى ، ما الذى أبكك ؟

— انى لك مفارق .

فبان القلق فى وجه البامرك ، وقال :

— أعوذ بالله يا بنى ، ما هذا الكلام ؟

— رأيت شيئا فى منامى .

— لعله أضغاث أحلام .

— لا والله ما هى أضغاث أحلام . انى رأيت فى منامى
كأن أبواب السماء قد فتحت ، وأضواء قد سطعت ولعلت ،
ثم رأيت ملائكة سجودا على جباههم لا يقومون ، وركعا
لا ينتصبون ، وثيابا من هيبة ربهم لا يقعدون ، باكين لا تجف
لهم دموع ، ثم رأيت تبة من زمرد أخضر ، وفيها قناديل
من الجواهر ، وهى تشع بالأنوار ، وتوقد من غير نار ، وفيها
أربعون حوراء ، عليهن حلال ما رأيت قط مثلها ، ولا أبصرت
شكلها ، بوجوه مشرقة باسمة ، تفتن من رآها . فصاحت بهى
أهداهن ، وقالت : يا مفتونا بدار الدنيا ، أما أن لك أن نذكرنا !
ان مهرنا منك الجهاد .

وصهبت شطا ، وشخص بصره الى السماء كأنها يتطلع الى
شئ ، وقال البامرك :

— أعلم يا ولدى أن المنام قد يصدق وقد يكذب ، فلا تشغل نفسك بما رأيت .

— لا والله يا أبت ، ما بقى لى فى الدنيا طمع .

وصلى شطا فى اطمئنان ، وما طلع الصبح ولاح ، حتى تأهب للخروج الى الحرب ، فتعلق به أبوه دامع العين ، وقال له :

— يا بنى ، بحقى عليك لا تبلى بفرائك .

— دع عنك العتاب .

فضم البامرك ابنه اليه فى وله وقد سحت العيون :
وخفقت القلوب فى الصدر ، انه الفراق ، وهمس البامرك فى
أذن ابنه فى صوت مخنوق بالبكاء :

— يا بنى ، ان صح منامك فاذكرنا عند ربك .

وبرز شطا للقتال كليث فى أكمة ، ودعا للبراز ، فخرج اليه واحد فقتله ، وثان وثالث حتى قتل اثنى عشر فارسا ، فلما رأى أبو ثوب ما فعل شطا بفارسانه لم يطلق صبيرا ، فخرج اليه بنفسه ، وكان فارسا صنيديدا ، ودار القتال بينهما رهيبا ، لا هواده فيه ولا رحمة ، واستمر نصف نهار ، فعطش شطا ، ولاح له فى السماء القبة التى رآها فى المنام ، والحوراء التى قالت له : يا مفتونا بدار الدنيا ، أن آن لك أن تذكرنا ، وفى يدها كأس ، وكأنها سمعها تهتف به :

— يا شطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا

يفيق .

فتوقف عن القتال ، ورفع بصره الى السماء كالمشده ،

فعاجله أبو ثوب بطعنة في صدره ، فأطلع السنان من ظهره ،
فخر صريعا .

رأى البامرك مقتل ابنه ، فأحس نارا تشوى كبده ، وحمل
على الأعداء حملة منكرة ، تبعه رجاله وأقبل مدد عمرو بن
العاص ، فانهزم جيش الأعداء ، وأخذ أبو ثوب أسيرا وأتى
البامرك شطبا فاذا به يبتسم ويتطلع الى السماء ، فطأطأ البامرك
رأسه ودمعه ينهمر . . .

—•••—

هـ ا ر و ت و م ا ر و ت

- ١ -

اجتمعت ملائكة فى السماء تتهامس ، فطففتوا يتذكرون ما وقع
قبل أن يخلق الله آدم .
قال الله للملائكة :
— انى جاعل فى الأرض خليفة .
فقالت الملائكة :

— أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك ؟
قال لهم :
— انى أعلم ما لا تعلمون .

وها هى أعمال البشر تصعد الى السماء دكناء ممعنة
فى الدكنة ، خبيثة كل الخبيث ، محملة بالآثام والأوزار ،
فقد ساد بين الناس اهراق الدماء والظلم والفسق والكذب
والرياء ، وها هم خلفاء الله فى أرضه قد أشركوا بربهم ،
فجعلوا يعبدون أصناما وأوثانا ، يمضون نهارهم فى لغو
ولعب ، ويقضون ليلهم فى لهو وعيب ، يقبلون على الشهوات
اقبالا ، ويلفون من الدنيا ولوفا ، كأنما يتنافسون فى المعاصى ،
ويتسابقون فى الخطايا .

وظل الملائكة يسخرون وأغرقتوا فى السخرية ، وراحوا
يعيروون بنى آدم بذنوبهم ، ينكرون عليهم فعالهم ، حتى قالوا :
— هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض واخترتهم فهم
يعصونك !

فقال تعالى :

— لو أنزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم ، لفعلتم
مثل ما فعلوا .

فقالوا فى انكار :

— سبحانك ربنا ما كُنْ ينبغي أن نعصيك .

— اختاروا ملكين من خياركم .

فاختاروا هاروت وماروت وكانا أورعهم وأكثرهم تقي .

— ٢ —

أبواق موسيقية تنبعث منها أنغام شجية ، وقهقهات
عالية مخمورة ، وضحكات نسوية ناعمة مثيرة ، وشبابات
رائعات الحسن يبرزن فتنهن ، فالشعر الأصفر الأخاذ ،
والشعر الكستنائى الجذاب ، والشعر الأسود السبب
الطويل يتهدل على الأكتاف العارية العاجية ، يبرز محاسن
الوجوه الحلوة التى زانتها عيون اذا نظرت سلبت ، واذا
أسبلت سحرت ، عيون تبعث سهامها الى القلوب ، ثم
تتكسر فى وهن يزيد النار التى تضطرم بين القلوب ضراما ،
وأناس يغدون ويروحون ينقذمون خطوة ثم يتلفنون لفتة
أو يقفنون لحظة ، فهم فى بابل مدينة الترف واللهو والجمال .

وانطلق فى طرقات المدينة الصاخبة ثسابان جميلا
تنطق قسمات وجهيهما بالرجولة والفتوة ، وتتشع عيونهما
اشماعات البراءة والطهر ، سارا مرفوعى الرأس ، وأخذت
الأنغام الموسيقية تداعب آذانهما ، والأجساد النسوية اللينة
المتثنية تهر أمام عيونهما ، فلا يحفلان بالموسيقى المشجية .
ولا بالأجسام المشوقة المغرية . كان جمالهما ياسر
الأفئدة ويأخذ بالألباب ، فلو أنهما انطلقا فى مدينة أخرى لكانا
فتنة ، ولكنهما كانا فى بابل ، مدينة الفتنة والجمال والخمر
والنساء .

انطلقا يعلوهما مهابة ووقار ، وظلا نى انطلاقيهما يضربان
فى الطرقات على غير هدى . فأخذ نشاطهما يفتت ، وتفصد
العرق ، وبدا عليهما اعياء ، فالتفت أحدهما الى الآخر
وقال :

— انى أشعر بضيق فى صدرى وارثشاء فى جسمى ودوار
فى رأسى .
فقال الآخر :

— أحس وهنا فى ساقى ، وأشعر كأنى سأنهار .
وكانا قد بلغا مكانا يكسوه العشب الأخضر الندى ، وقامت
فيه أشجار كانت تنشر ظلها ، هنا وهناك ، فارتبوا فى ظل
شجرة ، وتمددا فى تراخ ، وجعلا يملآن صدريهما بالهواء فأحسا
بعض الراحة ، ولكن استمر الوهن يسرى فيهما ، فقال أحدهما
وقد وضع يده على بطنه :

— أحس لما هنا .

— انه الجوع .

— أتكابد ما أكابد ؟

فهز الآخر رأسه وقد شخص بصره الى السماء ،
وعبق المكان برائحة شواء ، ومالت خياشيمهما ، فهما من
رقدتهما ، واجالا الطرف حولهما ، فلمحا أناسا قد جلسوا
يشوون صيدا على قيد خطوات ، فهما بأن يهرعا اليهم ،
ولكن زجرهما زاجر من نفسيهما ، انه الكبرياء ، فلبثا قليلا
فى مكانهما ، وراح الجوع يعرضهما ، ورائحة الشواء تداعبهما
فنضنيهما ، فدحرت الكبرياء ، فتقدما على استحياء حتى
وقفا بالقرب من القوم ينظران ، وأحس الناس وقوفهما ،
فدعوها الى الطعام .

جلسا يأكلان حتى اذا امتلأا تطلعا الى القوم ، فرأيا
رجالا ونساء ، وكان بين النساء امرأة باهرة الجمال ،
حسنها قاهر ، كانت عيناها فى زرقة السماء ، وكانتا
ساختنين سخونة الشمس ، فما ينبعث شعاعهما الى
انسان حتى يسرى فى بدنه دفء ، وكانت بشرتها ناصعة
البياض ، أنصع من سحابة . وكان شعرها كجدول من
الذهب الرقراق ، أما الصدر فقد كان الفتنة والاغراء ،
فراحا يختلسان النظر اليها ، فيخفق القلب ، ويتوه الفكر ،
ثم يثوبان الى نفسيهما ، فيغضبان الطرف فى ندم وحياء ،
فيهب وسواسهما يوسوس لهما أن يمتعا العين بالجمال الفتان ،
يرفعان بصرهما اليها وقد تألقت العيون ببريق الرغبة ، ثم
زجرهما زاجر من جوفهما ، فيشعران بشيء من الندم والخجل ،
ولكن سرعان ما يذوب الخجل ، ويتبخر الندم ، فيتطلعان ناذية
فى وله واشتهاء .

والتقت العيون أكثر من مرة ، فخفقت القلوب فى
الصدور ، وثار الدماء فى العروق ، واعتري الشابين تبدل

وارتباك ، وخشياً أن يفطن الناس الى ما اعتراهما من
تغير ، أو يبلغ مسامع القلوب خفتان القلوب ، فاستأذنا
شاكرين ، ونهضنا وقد اسبلا عيونهما ، حتى لا تقع على
الفتنة الجالسة أمامهما ، وما ان ابتعدا خطوات حتى أحسا
قوة عاتية خفية ترغهما على التلفت ، فالتفتا الى المرأة التي
أُشرق وجهها بابتسامة جذابة تسبى العقول ، فهفت
نفسهما اليها ، ولو ألسعا قلبيهما لعادا ليتزودا من
الحسن والجمال ، ولكنها كبنا عواطفهما ، وانطلقا وفي التلاب
لوعة ، وفي الصدر نار .

سارا صامتين ، وظلا ساهمين ، لا ينطق أحدهما بكلمة ،
فقد كان كل منهما يفكر في ذلك الصراع الذي ينشب في جوفه
في كل لحظة وفي كل آن ، والتفت أحدهما الى الآخر ، وقال
في جزع :

— ركبت في نفس خبيثة تدفمني دفعا الى ما تستهيه
ثم تنهاني بعد وقوع المحذور ، وتنهال على باللوم والتقريع ،
فما أخبت هذه النفس !

— انها نفس من نفوس البشر .

— أتحمس ما أحس ؟

— أحسه وأقاسى منه .

— أخشى يا هاروت أن تذلني هذه النفس .

— لا تخش شيئا ، سنكبح جماحها ، وسندحرها وسنخلصها
من ذلك الخبث .

فقال هاروت في حرارة :

— سندحرها ما في ذلك شك .

وبلغ هاروت وماروت مكانا هادئا بعيدا عن المدينة
الصاخبة المأجنة ، كان كل ما فيه ينطق بعظمة الخالق ،
فأجلا بصرهما مأخوذين ، فأنزل الفضاء اللانهائى الواسع
العريض بقلبيهما الخشوع ، وحلت رقعة السماء الصافية
الزرقاء التى زينها قرص الشمس عقدة لسانيهما ، فمسبحا
لله فى حرارة ، وصفر الريح صفيرا خافتا ، فكان فى آذانهما
كأهازيج السماء ، واستنابت احساساتهما الفوارة ، وشاع فيها
طمأنينة وأمن ، وصفت نفسها ، ورقت مشاعرهما ، وهامت
روحاهما سابقتين فى الكون ، فقد كانا فى هذه اللحظة أقرب
لأهل السماء منهما أهل الأرض .

وراحت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربى ، وأخذت توجهها
يخفت ، وخبا بصرها حتى صارت قرصا من عقيق أحمر ،
وجعلت تغوص فى الأفق البعيد وقد تغير لونها ، وعلتها
صفرة الاحتضار ، وتأهب الكون للنوم ، ولكن هاروت وماروت
كانا فى صلاتهما غارقين ، وظلا فى تسبيحهما حتى نشر الظلام
جناحيه ، فحجب كل شئ ، وهبت الرياح فى قوة ، فجعلت تصفر
فى شدة ، وترمجر فى حدة ، فصار صوتها أشبه بصوت
العويل ، فأحسا شمورا غريبا ، أحسا وحشة تسرى فى
صدريهما ، ورهبة تستولى على مشاعرهما ، فلم يحملا البقاء
فى ذلك المكان الهاجع ، فقد كان سكونه يخلع القلوب ، فنهضا

لينصرفا الى المدينة الصاخبة ، لعل الطمأنينة تنزل بالقلب
الواجف ، وما أن ابتعدا عن المكان قليلا حتى سكن روعهما ،
وهدأت نفساهما ، فعجبا من تلك المشاعر المتضاربة السريعة
التقلب فى صدر الانسان !

وراحا يضربان فى الظلام ، واستمرا فى سيرهما حتى
عاودهما احساس سبق أن شعرا به ، فقال هاروت :

— أحس جوعا .

فقال ماروت فى أسى :

— يا ويلتنا ، صرنا عبيد هذا البطن .

— وما العمل ؟

— ننطلق الى المدينة نبحث عن طعام .

— أنعيث عيالا على الناس ؟

— وما نعمل ؟

— نمارس عملا مما يمارسونه .

— أى عمل ؟

— والله لأدرى ؟

وأطرق هاروت يفكر ، فبان فى وجهه الاهتمام ، فقال له
ماروت :

— فلندع مقاليدنا لله .

ودخلا المدينة وحادا خلالها ، وقد نال منهما الجهد
والجوع ، فأتيا أناسا يترنحون من السكر ، فرمقاهم
شزرا ، ولاح فى نظراتهما الاحتقار الشديد ، ولحسا جموعا
تنطلق الى دار فائرة فذهبا معهم ، واجتازا بعض ممار
طويلة هائلة ، كل ما فيها ينطق بالفنى ، فوجدا نفسيهما فى
قاعة فسيحة هائلة ، قد مدت فيها موائد عامرة

بالأطعمة الشهية ، والفواكه المنوعة ، فأجالا بصرهما فى المكان ،
فرايا سيدا يرتدى ثيابا مزركشة فاخرة ، يلوح عليه الهيبة
والسلطان ، قد جلس عند رأس مائدة كبيرة ، واصطف حول
الموائد رجال يلوح عليهم الثراء ، فظهر على هاروت وماروت
الارتباك ، فأطرقا حياء وهما بالانسحاب ، ولكن السيد
لمحهما ، وحزر ما يعانيانه ، فأشسار اليهما ، ودعاهما الى
الجلوس .

جلسا يتناولان طعامهما فى صمت ، وقدمت اليهما الخمر ،
فاعتذرا ، فرمتهما فى دهش ، ولكن سرعان ما عاد القوم الى
احاديثهم ، فأسدل ستار على ذينك اللذين ترفعا عن احتساء
ما قدم اليهما من شراب .

وفطن هاروت ومارت الى أن السيد الجالس عند
رأس المائدة الكبيرة ، هو حاكم المدينة ، وصاحب الصولة
والسلطان ، وأن الآخرين خواصه وندماؤه ومستشاروه .
وتحدث الحاكم فأعاره الجميع سمعهم ، وتعلقت عيونهم
به ، فراح يبسط نزاعا نشب بينه وبين أحد الموجودين ،
وما ان انتهى من قوله ، حتى تآهب الجميع ليحكموا
لصالح السلطان ، وما كان الحق فى جانبه ، ولكنهم اعتادوا
أن يحكموا لصالح الأقوى ، ولكن الحاكم رنا الى هاروت وماروت
وقال .

— أحب أن يحكم ضيفانا فى هذه القضية ، فشخصت
اليهما الأبصار . كان القوم على يقين من أنهما سيحكمان لصالح
رب الدار ، فهما فى بيته ، وعلى مائدته يطعمان ، ولكن هاروت
وماروت وأن ركبت فيهما غرائز البشر ، الا أنهما لم يتلفتا بعد
النفاق والرياء ، فحكما بالحق ، وأدانا الحاكم المهيب رب الدار ،

فسرت همهمة وغمغمة ، وبان فى الوجوه العجب ، ثم انبثت
صيحات انكار ، وتطلع القوم الى الحاكم ، وترقبوا فى لهفة
ما ينطق به ، وقال الحاكم فى هدوء :
— قد وليتكما القضاء .

— ٤ —

خصص لهاروت وماروت جناح فى القصر العظيم ، فدلنا
اليه مغتربين ، فقد صار لهما عمل يعملانه ، ولن يكونا بعد
الليلة عيالا على الناس ، وطفقا يصليان لله ، ولكنهما لم يحسا
صفاء النفس الذى كانا يشعران به لما صليا أول مرة . كان
فكرهما يشرد ، فقد كانا يعرضان فى صلاتهما ما مر عليهما من
أحداث ، وكان الزهو والغرور والخيلاء تزحف لتحتل الصدر
النقى لشعر صفاه ، وتلوث نقاه .

ودب التعب فيهما فاضطجعا ، وأحس ماروت بعينه
تسبلان برغمه ، ويسرى فى بدنه خدر ، ففتح عينيه فى قزع
واستمسك قليلا ، ولكن سرعان ما انطبق جفناه ثانية ، فهب
مرعوبا وقال فى رهبة :

— اكتب علينا الموت يا هاروت ؟

— لماذا ؟

— أحس قوة ترغمنى على اطباق عيني ، وأحس عدم قدرة
على السيطرة على حواسي ..
— أشعر بما تشعر به .

— ما ابشع الموت ، أنفنى ؟

— لا أظن .

وتتأعب ماروت وهوم فى جلسته ، ثم رقد وهو يتكلم فى
نماس ، أخذ صوته يخفت ، حتى صمت راح فى النوم ، فرمقه
هاروت فى عجب ، فألفاه يتنفس فى هدوء وقد أسبل عينيه ،
فأطمأن بعض الشيء وغمغم :

— لعله شعور جديد لا ندرية .

وأسلم جفنيه للرقاد ، فراح فى سبات .

وتنفس الصبح ، فنظر هاروت الى رفيقه ، فألفى وجهه قد
أشرق ودبت فيه الحياة ، فغمغم :

— ما الذ الرقاد بعد التعب والجهد !

فقال ماروت وهو يملأ صدره بالهواء :

— أحس كأنى خلقت من جديد .

وجلسا للناس يفصلا فى قضاياهم ، فرضى الناس ،
وترادفت الأيام وكرت ، وتقضت هادئة لينة لا ينفصها شيء .
فقد كانا اذا ما انتهيا من عملهما يعتكفان فى جناحهما ، يسبحان
بحمد الله ويقدمسان له ، ودعاهما الحاكم الى ولائمه مرات ،
فكانا يشاركانه فى الطعام ، أما اللهو والشراب فقد كانا يمرضان
عنهما ، برغم أنهما يهفوان اليهما .

وفى يوم أقبلت الزهرة تعرض عليهما قضيتهما ، فما أن
أهلت بطلعتها حتى خفق القلب ، وما أن التقت عيونهما
بعينيها الزرقاوين ، حتى تدفق الدم حارا الى رأسيهما .
انهما ليذكران ذلك الحسن الرائع ، وهاتين العينين الساخنتين
الصافيتين . وأسبلا عيونهما ، ونظرا من خلال

أهدابهما الى الشمع الذهبى ، والجيد العاجى ، والفتنة
المشرقة ، فأحسا رعدة تسرى فى بدنيهما ، وعجب كل منهما
فى نفسه لذلك التبدل الطارىء ، فقد أرهفت حواسه وشمع
بروحه تهفو اليها .

انهما قابلاها مرة واحدة قبل اليوم ، كان ذلك يوم هبطا
الى الأرض ، وهذه هى المرة الثانية ، فما بالهما يتلفنان اليها ،
وما بال القلب يخفق كل ذلك الخفقان ؟ !

وحسب كل منهما أنه وحده يعانى ما يعانى ، ويحس ما
يحس ، فرنا كل منهما الى صاحبه ، ليستشف ما يخفى فى صدره ،
فما التفتت العيون حتى أنقن كل منهما أن صاحبه يكابد ما يكابد ،
وانه مسرح لاحساسات جبارة عاتية .

واخذت الزهرة تقص قصتها فى نبرات حلوة ، كانت تدغدغ
آذانهما ، فتجنبا أن تسترسل فى الكلام ، وجعل كل
منهما يحاول أن يغض بصره ، ولكن قوة طاغية ترغمه على
النظر .

وأتمت الزهرة قصتها وهاروت وماروت يعبانان ضغوط
الاحساسات التى ضاق بها الصدر ، وابتسمت ابتسامة زادت
لهيب القلب ، وقالت فى دلالة :

— هذه قضيتى عرضتها عليكما ، وفى انتظان حكيمكما
العادل .

فرفع ماروت رأسه وقال فى صوت منهدج :

— هذه قضية تحتاج الى درس ، فالى النغد . . .

فقال هاروت فى انشراح :

— هذا هو القول . . .

وقامت الزهرة ورمقتها بنظرة هزت كيانهما ، وانسلت كما
ينسل الطيف ، وبقي هاروت وماروت فى صمتهما ، واخذت
الاحساسات تتبخر ، حتى اذا انمحت وصفت النفس ، رفع
هاروت رأسه وقال فى عتاب :

— لماذا أجلت هذه القضية الى الغد ؟

— والله لا درى . نطلق لسانى دون ن يوجهه فكرى .

— أخشى يا ماروت أن تقهرنا هذه النفس .

— دع هذه الوسواس ، هذه تجربة بسيطة واختبار يسير ،

سنجتازه فى يسر .

فسمع هاروت صوتا ينبعث من جوفه كأنها يأتى من مكان

سحيق يهمس فى ذنه : يا ليت !

— ٥ —

وتنفس الصبح وجلسا للناس وقد ارتسم فى وجهيهما قلق

ووجوم ، وليثا صاهتين ، ثم قال ماروت :

— ما بك ؟

— أنى مهموم .

— لماذا ؟

— رأيت رؤيا أفزعتنى .

فقال ماروت فى صوت خفيض :

— رأيت الزهرة ولا ريب .

— وكيف عرفت ؟

— رأيت ما رأيت .

— يا وليثا ، هل كنا .

- هل كنا . هذه الرؤيا نذير السماء .
- لا تقنط ، ولنعمل جاهدين على ألا يحدث فى اليقظة ما قد جرى فى المنام .
- حاشا لله ما كنا فاسقين .
- وما ينبغي أن نكون . .
- وعلام عولت ؟
- اذا أمّلت هذه المرأة فصلنا فى قضيتها ، وتركناها تنصرف .
- فى الحال .

ودخلت الزهرة عليها فى خفة الغزال وقد بدت زينتها ، فطغى جمالها الساحر ، فما ان وقع بصرهما عليها حتى اضطربا ، ولكنهما تجلدا ، وتحادثت وهما فى تكلفهما ، واصطناع الوقار ، ولكن ما دار الحديث بينهم حتى نسوا أنفسهم ، فاقترب هاروت منها ، فشعر بنشوة ، وأخذ يدها بين يديه ، فغمره احساس لذيق اطمأن اليه ، ودنا ماروت منها ، ومس كتفه كتفها ، فمخفق بدنه خفقات ، وسرى فيه خدر انشرح له صدره . ورفعت الكففة ، وضحكت الزهرة ضحكات نمت عن قلب خلى طروب ، ودكت حصونهما . ولححت المرأة ذلك البريق الذى ولد فى عيونهما ، فنفرت فى خفة ، وابتعدت فى دلال ، فقال هاروت :

- الى أين ؟
- الى المعبد ، هيا .
- وماذا نفعل هناك ؟
- نصلى للشمس .

— لا . لن يكون ذلك .

— اذن الى الغد .

— الى الغد .

وخرجت الزهرة وتركتها لنفسيهما ، فهب ذلك الصوت الذى لا يرتفع مزمجرا الا بعد حلول البلاء ليعتب ويؤنب ، ويزجر ويخز النفس وخزات ، فقال هاروت فى النتياع :

— قطعنا فى المعصية شوطا ، فحل علينا العذاب .

— هون عليك ، فما هذه النزوات الا السكين التى تخضد

شوكة الزهر ، ان هى الا حطب الايمان ، تزيد حرارته ، وتؤجج ناره ، اننا نزداد خشوعا فى صلاتنا كلما هفوتنا هفوة ، لنكفر عن خطايانا .

— بالله دع عنك هذا ، اننا ننزلق فى طريق الدنس .

— لا تجزع ، واذكر رحمة ربك ، فقد وسعت رحمة ربك

كل شىء .

وتصرم النهار وهما فريسة للموساوس والأفكار ، وانقضى شطر الليل وهما فى قلقهما واضطرابهما ، وأخيرا مس النوم جفونهما ، فأراحهما من وخز الضمير وشهوات النفس وعذاب الفكر ، وتسلمت أشعة الشمس الى الحجر ، فهبا من نومهما وقد أشرقت نفوسهما ، فقد انجلت المشاعر عن صدريهما ، فعزما على أن يزرعا الزهرة اذا ما أقبلت وحاولت اغراءهما .

ودخلت عليهما ، فنسبيا كل شىء الا ذلك الحسن ،

وتضعضعت أرادتتهما ، وانهارت مقاومتهما . وحسبت عقدة اللسان ، فانساب الحديث عذبا شهيا ، وما ان انتهى حتى كان ثلاثتهم فى دار الزهرة .

وجاعت الزهرة بخمر ، وقدمتها الى الرجلين ، فرفضا

ان يمسها ، فأظهرت الاستياء ، فساءهما غضبها ، ولعبت الخمر
برأسيهما ، فقاما الى الزهرة وقد التمعت عيونهما ببريق الرغبة
والاشتفاء .

وسمع وقع أقدام فرجع هاروت وماروت رأسيهما فزع ،
وبان في عيونهما الغضب ، وظهر عليهما الارتباك ، فقد رأى
الرجل ما يفترقان . لن يكتفم الرجل ما رأى ، وستصبح فضيحتهما
على كل لسان ، فلن يستطيعا بعد اليوم أن يمشيا بين الناس
مرفوعى الرأس ، وفي مثل لمح البصر خطرت لهاروت فكرة ،
انه يستطيع أن يقتل الفضيحة في صدر ذلك المتطفل الدخيل ،
فوثب عليه ، وقبض على رقبتة ، وأخذ يحاول أن يكتفم أنفاسه ،
وهرع ماروت يعاون رميمه ، وما تركاه حتى كان جسدا
بلا حياة .

وطارت الخمر من رأسيهما ، فألقنا الى نفسيهما ، فمشعرا
برعب شديد ، ونزل بهما هم ثقيل ، فتد تلتخا في لحظة بكل
الأوزار ، واقترفا ما يفترفه أحقر انسان . وأحسا خزيا ،
فطألتا رأسيهما ، وعزما على أن ينطلقا الى السماء ، ليكفرا
عن خطيائهما ، ولكنهما أحسا بأرجلهما قد شددت الى الأرض ،
فشدت منهما صرخات فسزع ورعب ، فقد ضاعا بين الأرض
والسما .



رابعة العدوية

— ١ —

أنين خافت ينبعث فى جوف الليل البهيم ، وظلام تكاثفت طبقاته وهدوء شامل لا يعكره الا ترديد الأنين ، كانت امرأة فقيرة وحيدة تقاسى آلام الوضع ، وما كان يؤنسها الا زوجها المهوم ، الذى قبع فى مكانه وقد غشيه قلق ووجوم ، وهنقت المرأة فى صوت خفيض :

— اسماعيل ، أوقد القنديل .

فقال الرجل فى نبرات تنم عن الأسف العميق :

— ليس فى الدار زيت .

— سل الجيران .

— لا أسأل أحدا ، لا أسأل الا الله .

وأطرق الرجل ، وزاد الأنين ، ثم وضعت المرأة طفلة ، ولولا الظلام لبان فى وجه اسماعيل الأسى والحزن العميق ، فله ثلاث بنات يقاسى ما يقاسى فى سبيل القيام بعبثهن ، فقد كان فى شظف من العيش شديد ، وها هى ذى الرابعة جاءته الليلة لتزيد فى أعبائه وتنقص ظهره .

وهدأت المرأة وضمت وليدتها إليها ، ثم أغفت ، فنام اسماعيل وهو حزين ، فرأى فيما يرى النائم رسول الله

ﷺ قد أقبل عليه يواسيه ويقول له : لا تحزن ، قد وهب الله لك أمة من عباده الصالحين ، فقام اسماعيل من نومه منشرح الصدر ، هادىء النفس ، وانطلق الى الوليد ، ونظر الى وجهها الصغير ، فتحرك حناته الدفين ، فابتسم وغمغم :
ايه يا رابعة .

- ٢ -

خرج اسماعيل الى أسواق البصرة ، ليكدح فى سبيل
تحصيل قوت عياله ، وخرجت رابعة الى المسجد الكبير ،
لتندس فى الحلقات التى تعتقد حول صحابة الرسول واكابر
التابعين . كانت جارية صغيرة ، مرهفة الحس ، صافية الروح ،
فكانت تشعر بخشوع ، اذا ما ذكرت قدرة الخالق ، وترتجف
اذا ما ذكرت النار والعذاب والحساب .

وغابت الشمس ، وسجا الليل ، ففقل الناس الى دورهم
عائدين ، وعاد اسماعيل مكودا يحمل بين يديه طمأما ،
وجلس مبهور النفس ، يلتقط أنفاسا متتابعات ، ولما استراح
جنىء بالطعام الذى كدح طوال يومه ليجنيه ، ووضع على
الأرض ، فتحلقوه وطفقوا يأكلون ، ولكن رابعة شردت بفكرها
قليلًا ، ثم قالت :

— يا أبت لست أجعلك فى حل من حرام تطعمنيه .

فرفع الرجل رأسه . وحدجها ببصره ، وقال :

— رأيت ان لم نجد الا حراما ؟

فقالت فى ايمان عميق :

— فنصبر في الدنيا على الجوع ، خير من أن نصبر في
الآخرة على النار .

ودارت عجلة الزمن ، فطوت اسماعيل ، فحزنت رابعة
لفقد أبيها ، وقد حل ذلك الحزن بنفس شفافة ، فجعلها تفكر
في الموت وما بعد الموت . وكانت ذكية الفؤاد تكثر من التأمل
العلوي ، فراحت تبحث عن المعرفة في كل ما تقع عليه
عينها .

وما كاد حزنها على أبيها يبلى حتى فجعت في أمها ،
فربسح في نفسها أن هذه الدنيا أن هي إلا دار زوال ، أنها ممر
إلى مقر ، فالشقي من شغل بها عن أخراه ، فجعلت تبذل الجهد
في فطام جوارحها عن الشهوات .

ونزلت بالبصرة ضائقة ، وجاء القحط ، فتنفرت أخواتها
بحثا عن الطعام ، وشغل الناس بأقواتهم ، ولكنها لم تشغل
شئ عن الله طرفة عين ، كانت تناجيه بالليل ، وتفكر فيه
بالنهار ، حتى صارت لا تحس توافه الاجساسات التي يحسها
الناس ، فقد ذابت نفسها في الله .

وخرجت تتأمل الكون ، فما سنع لبصرها صورة إلا عبرت
إلى الصور بصائرهما ، وانطلقت نشوى ، فقد أصبحت من
تنسم روح الوصال سكرى ، وأصبحت من ملاحظة سبحات
الجلال حيرى ، وفيها هي في هيامها ، لمحها رجل من تجار
الرقيق ، فانتفض عليها وخطفها ، فومعت في ذل الأسر ، وراحت
تحمل صنوف العذاب في صبر ، ولم تجر بالشكوى فقد كانت
فيها زراية لا تليق بها .

وخرج الرجل بها الى سوق الرقيق ، فباعها فى قبيلة
بنى عدى بستة دراهم ، فأصبحت رابعة العدوية مولاة آل
عتيك ، وكان سيدها جاف الطبع يسومها سوء العذاب
لأنفه الأسباب ، فما كانت تفكر فى ذلك الاضطهاد ، فقد
كانت مشغولة بحبها : لقد ملئ قلبها عشقا لله حتى فاض .

وفى يوم بعثها سيدها لقضاء حاجة له ، فانطلقت
تهرول فى أزقة البصرة ، ولحها أحد المارة ، فأعجبه شبابها ،
فرماها بنظرة منكرة ، فاضطربت وارتجفت ، وحاولت أن تنزور
عنه ، فزلت قدميها ، وسقطت على الأرض ، فانكسرت
ذراعها ، فغشى عليها ، لشدة ما أصابها . وبقيت فى غيبوبتها
لحظات ، ولما استردت صوابها رفعت رأسها خاشعة الى
السماء تناجى ربه : ربه قد انكسرت ذراعى ، وأنا أعانى الألم
واليتيم ، وسوف أتحمل كل ذلك وأصبر عليه ، ولكن عذابا أشد
من هذا العذاب يؤلم روحى ، ويفكك أوصال الصبر فى نفسى ،
منشؤه ريب يدور فى خلدى ، وهل أنت راض عنى يا الهى ،
هذا ما أتوق الى معرفته .

وأطرقت قليلا ، فغشيتها أمن ، ثم نهضت مطمئنة .

وفى ليلة من الليالى أرق سيدها ، فاذا بصوت يرن فى
أرجاء داره ، فخرج من غرفته يتلفت ويتمس بمبعث الصوت ،
وتادته أذناه الى غرفة رابعة ، فظهر فى وجهه العجب ،

ان مولاته تعبد ربها خاشعة ، وقد انهمل دمعها غزيرا ، فوقف
يرقبها مشدوها ، وخيل اليه ان قنديلا من نور يتألق فوق رأسها ،
فشعر برهبة ، وصك أذنيه قولها ، ربى انك تعلم أن أشد
ما أتوق اليه هو عبادتك ، وتأدية ما لك من حقوق ، ولكنى
أسيرة لا أمك حريتى ، فلا سبيل الى تحقيق هذه الغاية ،
فلتعذرنى يا الهى ، فاشتد وجيب قلب الرجل ، وأحس وجلا
يلفه ، فراح يفكر فى اطلاق سراح مولاته ، فما كان له أن يحبس
صالحة وهبت نفسها لله .

وما انطلق عمود الصبح حتى بعث اليها ، فلما مثلت امامه
قال لها :

— أنت حرة طليقة يا رابعة ، ولك الخيار فى أن تمكثى هنا
أو تذهبى الى حيث تشائين :

فخرجت رابعة من دار آل عتيك تستنشق عبير الحرية
ثانية ، وكان قلبها مغمما بالفرح ، فقد صار وقتها كله فى يدها ،
فلن يشغلها عن الحبيب بعد اليوم شاغل .

وانطلقت الى الصحراء حيث الصفاء والهدوء ، وهامت
تتاجى ربها ، ولكنها عادت واتخذت لها خلوة متواضعة
تخلو فيها بالحبيب . ظلت طوال الليل تصلى ، حتى اذا
ما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود هجعت فى مصلاها
هجة خفيفة ، ثم هبت مذعورة وهى تقول : يا نفس كم
تنامين ؟ ! والى كم تنامين ؟ ! يوشك أن تنامى نومة لا
تقومين منها الا لصرخة يوم النشور . وانهمرت دموعها ،
وجرت على خدها ، فزفعت رأسها ، ونظرت الى السماء
من خلل الدموع وهنقت : يا الهى ، أتحرق بالنار قلبا
يحبك ؟ !

واشتهر أمر رابعة في البصرة ، فتطالت اليها الاعناق ، وقصدها كبار العلماء ، فوفد عليها حسن البصرى النقى الشهير ، وشقيق البلخى الصوفى العظيم ، وسفيان الثورى المجتهد الكبير ، والملك دينار حاكم الكرج ، وكانوا لا يجدون فضاضة في أن يأخذوا عنها أمر دينهم ، فقد أخذ كبار الصحابة عن عائشة ثلثي الدين .

حمل الناس اليها هداياهم ، ولكنها كانت ترد عطايا الناس وهى تقول : ما لى بالدنيا حاجة .

وزارها أحد التجار يوما ، فوجدها تعيش في دار متواضعة تحتاج الى اصلاح وتعمير ، فعرض عليها أن يعطيها دارا من دوره حتى يتم الاصلاح ، وما زال بها حتى وافقت فانتقلت الى دار الرجل ، فوجدت جدرانها تزدهى بزينات تأخذ بالالباب ، وزخارف تسبى العقول ، وساخت قدمها في طنافس فاخرة ، ولمست الحرير الهفاف ، فراحت تنقل عينيها فيما حولها وهى حيرى والهة ، انها لم تر قبل اليوم مثل هذا النعيم ، فتأملت طويلا حتى شغلت به ، وسرعان ما عادت الى طبيعتها فأنكرت على نفسها ما هى فيه ، لقد شغلها العرض الزائل عن ذكر الحبيب ، فانتفضت وأشاحت بوجهها عن التحف المتناثرة ، وخرجت من الدار ، فرارا من الفتنة التى كادت تستهويها .

ولحها الرجل وهى خارجة ، فهرع اليها وقال :
— الى أين ؟

— الى دارى .

— انتظرى حتى يتم اصلاحها .

— لن أعود ثانية الى هذه الدار ، ولو مكثت بها لأتلفت
نفسى بهذه الأشياء الجميلة ، فيستهوينى لطفها ، فيحول دون
ما أنا صائرة اليه ، من الأخذ بأسباب الآخرة .

— ٥ —

وانطلقت رابعة شاردة اللب تفكر فى الله ، وكانت زرية
الحال ، نلتقيها سفيان الثورى ، فقال لها : يا أم عمرو ، أرى
حالا رثة ، فلو أتيت جارك يغير بعض ما أرى !
فقالته له فى هدوء : والله انى لأستحى أن أسأل الدنيا من
يملكها ، فكيف أسأل من لا يملكها .

فأطرق سفيان ، ثم استأنف حديثه ، فتجاذبا أطرافه ،
وفيما هو يتحدث قال : وأحزنناه !
فقالته فى حزم : لا تكذب بل قل : واقلة حزنى ! ولو كنت
محزونا لم يتهيا لك أن تتنفس .

فأربد وجهه ، ولكن سرعان ما عاد اليه هدوءه ، فقال
لها : كيف أيمانك يا رابعة ؟ وكم هو مبلغ اعتقادك بالله
تعالى ؟

— لا أعبد ربى خوفا من ناره ، أو شوقا الى جنته ، ولكن
أعبده لحض المحبة والأخلاص .

ورفعت رأسها الى السماء ، وأخذت تنأجى ربهها ،
الهي أحبك لوجهين : لحبى وهيامى بك ، ولأنك أهل للمحبة
والعبادة ، فباشتياقى ومحبتى أذكر اسمك ، وأشغل بذاتك
العلية ، وبأهليتك للمحبة أنال من لدنك مرتبة المشاهدة ، فلا يقف
حمدك وثناءك الأمر منهما ، وإنما لك الشكر ، ومنك الفضل
للحالين .



وكان أبو سليمان الهاشمى واليا على البصرة ، وكان
يريد الزواج ، فبعث الى علماء البصرة يستشيرهم فى امرأة
يتزوجها ، فأجمعوا على رابعة ، فكتب اليها ، بسم الله
الرحمن الرحيم ، أما بعد فان ملكى من غلة الدنيا فى كل يوم
ثمانون ألف درهم ، وليس يمضى الا القليل حتى أتمها مائة
الف — ان شاء الله — وأنا أخطبك ، وقد بذلت لك من
الصداق مائة ألف ، وأنا مصير اليك بعد أمثالها فأجيبينى .

وبلغتها رسالة الوالى ، فلم نجد هوى فى نفسها ، انه
يعرض عليها الدنيا وما كانت الدنيا تهمها ، فراحته تكتب
اليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فان هذا الزهد
فى الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم
والحزن ، فاذا أتاك كتابى فهبى زادك ، وقدم لمعادك ، وكن
وصى نفسك ، ولا تجعل وصيتك الى غيرك ، وصم دهرك
واجعل الموت فطرك ، فما يسرنى أن الله عز وجل خولنى
أضعاف ما خولك فشغلنى به عنه طرفة عيين ، والسلام .



كانت رابعة صائمة ، فخلت الى ربها تدعوه وتناجيه ، وغربت الشمس وهى على هذه الحال منقطعة الى العبادة ، وعادت الى نفسها فغمغت : الى متى تعذبين نفسك يا رابعة ، وتحملينها مشقة ليس بعدها مشقة ؟

وصك أذنيها طرق على الباب ، فذهبت فاذا برجل فى يده صحن من الطعام ، تركه ثم انصرف ، فتناولت الصحن ووضعتة فى زاوية من الغرفة وتشاغلته باصلاح القنديل . فدخلت مرة فأكلت ما فى الصحن ، فلما عادت رابعة وجدت الصحن خاويا فقالت فى نفسها : لا بأس ، أفطر على الماء .

وذهبت لتعود بالماء فانطفأ القنديل ، فلم تطق احتمالا ، فقالت : اللهم لم هذا العذاب ؟

وأحست ندما ، فأطرفت فى استحياء ، وسمعت صوتا آتيا من جوفها كأنها ينبعث من مكان بحقيق يقول : لو شئت يا رابعة وهينا لك ما فى الدنيا ، ومحونا ما فى قلبك من نار العشق ، لأن قلبا مشغولا بحب الله لا يشغل بحب الدنيا .

أسفت رابعة أشد الأسف لما بدر منها ، فوطنت العزم على ألا تعود فتتمنى سعادة الدنيا .

وأقبل الملك دينار ، فوجدها على حصيرة بالية ، وموضع الوسادة قطعة من الآجر ، وتشرب من اناء مكسور ، فقال لها :

— أعرف يا أم الخير أصحابا لى من ذوى اليسار ، فاسمحي لى أن أذهب اليهم ، أطلب اليهم معسوتهم فى أمر رفاهيتك وراحتك .

كان الملك دينار يريد أن يستأذنها فى أن يأتيتها ببعض حاجات ، فهو يعلم أنها ترد ما يعطيها الناس ، ولكنها كعادتها لم تأذن له ، وقالت :

— ان الله رازق الأغنياء يهون على الفقراء أيضا حاجتهم ، فما علينا الا الصبر والقناعة .

— V —

وأقبل حسن البصرى ليزور رابعة كعادته ، فرأى على بابها تاجرا يبدو عليه التردد ، فسأله عن حاجته ، فقالت الرجل :

— أحضرت كيسا من الذهب لرابعة ، واننى مضطرب لا أدرى أتقبله أم ترفضه ؟ فادخل بالله وانقذنى من هذا الاضطراب .

فدخل حسن وأخبرها خبر الرجل . فقالت :

— الا تعلم يا حسن أن الله يرزق عباده ، حتى الذين هم عنه لاهون ، فما بالك بمن يكن فى سويداء قلبه محبة يقف دونها الحصر لفاطر السموات عز وجل !

اننى يا حسن لم أتوجه الى غير الله منذ اليوم الذى أدركت فيه قدرته الالهية . كيف أستطيع قبول هدية هذا التاجر وأنا لا أعلم هل اكتسب ماله من حلال أو من حرام ؟ وماتت زوجة حسن البصرى ، فطلب رابعة للزواج ، فلم تقبل ، فجاء يكرر طلبه ، فقالت له :

— أتزوجك ان أجبتنى على ما يشغل خاطرى .
— قولى .

— هل أموت وأنا على ايمان كامل ؟

— علم ذلك عند ربى .

— هل أنال صحيفتى بيدى اليمنى يوم الحساب ؟

— فسكت قليلا ، ثم قال :

— علم ذلك عند ربى .

— مع أى فريق اكون يوم الحشر ، أمع الذاهبين الى الجنة
أم مع الهالكين فى جهنم ؟

— علم ذلك عند ربى .

— وساد بينهما صمت ، ثم قالت :

— فاذا كنت مشغولة اللب بأمثال هذه الأمور ، فكيف أبحث
عن الزواج ؟ !

— فحججها ببصره وقال :

— أليس لك رغبة فى الزواج أبدا ؟

— فقال فى هدوء :

— انما يتزوج من يملك ارادة نفسه ، أما أنا فليس لى

ارادة ، ان أنا الا عبدة المولى عز وجل .

— وانصرف حسن البصرى ، وجن الليل ، ونام الكون ، فقامت

رابعة البتول على سطح لها ، فنادت :

— الا هداى الأصوات ، وسكنت الحركات ، وخلا كل

حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك ياها الحبوب ، فاجعل خلوتى

منك فى هذه الليلة عتقى من النار .

—•••••

أرض الله

انساب فى طرقات المدينة أشسعت أغبر ، وقد طال
شعره ، واسترسلت لحيته ، وبرقت عيناه ، وبان فى وجهه
الهم الدفين ، وراح يدق صدره بقبضة يده ، ويصيح فى
أسى عميق :

— واشقائى ، واعذابى ، حطمت سعدى بجهلى ، وعدت
الى الشقاء بعد النعيم .

وراح الناس ينظرون اليه فى رثاء فتد كانوا يعرفونه .
وكانوا يحبونه ، كان عاقلا رزينا ، فاذا بهم يصبجون ذات
يوم ، فيجدونه ينطلق فى مسالك المدينة شارد اللب ، شاخص
البصر ، يهمهم فى جنون .

وأصبحوا فى حيرة ، فهم لا يدرون ما حل به ، وراحوا
يتهامسون عما جرى له ، ويقولون ان طول قيامه ، وكثرة
عبادته ، وقلة نومه ، اطاشت عقله ، وذهبت بلبه ، وجعلته
فى ذهول ، أصبح مجذوبا يهذى ، يبعثر الكلام دون فكر
أو تدبير .

وساء واحدا من أصحابه ما أصابه ، فعزم على أن يحدثه ،
وعلى أن يلتمس منه أن يلزم داره ، حتى يريح أعصابه ، ويعود
الصفاء الى ذهنه المكدود ، فلما لمح قادمه يصرخ فى لوعة
ووله ، ذهب اليه ، وقال له فى توسل :

- أرح نفسك .
 فقال فى يأس مرير :
 — دعنى فى شقتائى .
 فهد يده وجذبه فى رقبة ، وقال له :
 — تعال معى ، وهدىء من روعك .
 — هيهات أن يهدأ روعى ، أنا الطريد ، أنا المعذب ،
 يا لشقتائى .
 — ما هذا الذى تقول ؟
 — عدت الى الجحيم ، عدت الى البؤس المقيم ، وولت أيام
 الهناءة كحلم قصير .
 — ما هذا الجزع ؟
 — لو رأيت ما رأيت ، وطردت من النعيم كما طردت ، لكان
 جزعك أشد من جزعى .
 — وماذا رأيت ؟
 — دنيا السعادة ، عشت فيها أرشف كئوس الهناءة ،
 حتى ارتكبت الخطيئة الكبرى ، فخرجت منها مذموما
 مدحورا .
 فهز الصديق رأسه فى حزن وقال :
 — آه .
 فقال الرجل :
 — بالله لا تسيء الظن بى ، فانى لم أجن بعد .
 — لا أستطيع أن أفهم ما تقول ؟
 — وكيف تفهم اذا كنت لم تر ما رأيت ، لو أنك تركت دنياك
 هذه وانتقلت الى الدنيا السعيدة التى عشت فيها ، لما لمتنى
 على ما أنا فيه .

— واين دنياك هذه ؟
— أتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طرف المدينة
الشرقى ؟

— أعرفه .
— اذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، ستجد بها نافذة ، انظر
منها تر عالما عجبا .

ورمى صديقه ، فألفاه يرنو اليه فى انكار ، لم يكن
يصدق ما يقوله ، فانطلق فى طريقه يدق صدره بقبضة يده
ويصيح :

— واشقائى ، واعذابى ! حطمت سعدى بجهلى ، وعدت
الى الشقاء بعد النعيم .

ووقف صديقه يرقبه حتى اختفى عن عينيه ، فعاد الى
داره مطرقا يلفه حزن عميق ، وخلا بنفسه وجعل
يفكر فى صديقه الذى أصابه مس من الجنون ، فانقبض وزاد
أساه ، واحتلت ذهنه صورته وقد اتسعت عيناه وهو
يقول : « أتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طرف المدينة
الشرقى ؟ اذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، وستجد بها نافذة ، انظر
منها تر عالما عجيبا » .

وخطر له أن يذهب الى ذلك الجامع المهجور ، وسخر
من ذلك الخاطر . ولكنه ظل يلح عليه ويضايقه ، ويحتل
أقطار رأسه ، فلم ير بدأ من أن ينهض وينطلق اليه
ليستريح من ذلك الخاطر المجنون ، سار كأن قوة خفية
تدفعه حتى اذا بلغ الجامع المنشود أحس شعورا غريبا يستولى
عليه ، وسرت فيه تلك المشاعر التى تسرى فيمن يكون مقبلا
على عمل خطير .

وعجب من تلك الاحساسات التى اكتنفتها ، فتمالك

نفسه ، واتجه الى المئذنة وراح يصعد فى درجها كدوامه تدور ،
حتى اذا خرج الى سطحها العلوى الذى يتحلقتها ، ولفح
وجهه الهواء البارد أحس رأسه يدور ، وتلفت بعيون زائفة ،
فراى شباكا فى الجدار ، فحقق قلبه واضطرب ، فما كان فى
جدران المآذن شبابيك .

واتجه اليه ، وأطل منه ، فبان فى وجهه الدهش ، وكادت
المفاجأة تذهله عما حوله ، وأحس قواه تخور ، ولكنه
أمسك بالنافذة ، وظل ينظر وهو مأخوذ . رأى دنيا واسمة
عجيبة يتألق فيها نور هادىء لطيف ، وقد امتدت الدور
الأنيقة على نهر رقرق ، يحيط بها حدائق زاهرة بهيجة تسر
العيون ، وتأخذ بالالباب ، ورأى فى ناحية من المدينة سوقا
نسقت تنسيقا بديعا ، أمثالت حوائيتها بالخيرات ، وأناسا
يفدون ويروحون فى طرقاتها ، يلوح عليهم الدعة والاطمئنان ،
وتعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، فهفت نفسه الى ذلك العالم
الغائن الجذاب .

ورفع رأسه ، فراى حبلا قريبا يتدلى فى الهواء ، فخطر له
أن يستعين به على الهبوط ليجوس خلال تلك الديار ، فتسلق
النافذة ، ومد يده وأمسك بالحبل ثم راح يتدلى فى حذر ،
وما هى الا دقائق حتى النى نفسه يسعى فى المدينة ويتلفت
فى دهش وأعجاب .

كان الجميع منهمكين فى أعمالهم ، فراح يتفرس فيهم ،
فراعه ذلك الصفاء الرائع المتألق فى عيونهم ، ومسحة
الدامينية التى تكسو وجوههم ، وذلك البشر المترقق فى
مدياهم ، ولاحوا لعينيه كأطياف شفافة نقية ، لا يشدها الى
الأرض خبائث النفوس .

وانطلق كالمأخوذ ، وقد أدهشته تلك السكينة النازلة بالقلوب ، وحيره أمر القوم ، فلم يجد لذلك النقاء من تأويل . ورأى اثنين يتناجيان ، فاسترق السمع ، فزادت دهشته ، وزاد عجبه ، كان حديثا لطيفا ، كله ود واخاء ، لا لغو فيه ولا تأثيم . قلوب فطرت على الوداد ، وصدور نقية أنقى من البلور . .

وبلغ السوق فراح يتلفت فى ذهول ، كانت البضائع منمقة تميمقا بديعا ، يأخذ بالألباب ، وكانت فى أماكن مفتوحة لا نوافذ فيها ولا أبواب ، وشعر بالجوع ، فذهب الى مخبز ، ومد يده فى جيبه ، فلم يجد معه نقودا ، فهم أن يدور على عقبه ، وأن يعود من حيث جاء ، ولكن رجلا أقبل على الخباز وقال له :

— أعطنى رغيئين على بركة الله .

فناوله الخباز الرغيئين بوجه سمح كريم وقال له :

— خذهما على بركة الله .

فاتسعت حدقتا الوافد الغريب ، وبانت فى وجهه الحيرة والعجب ، لم يفهم مما جرى أمامه شيئا ، وخطر له أن ينطلق وراء ذلك الرجل الذى أخذ الرغيئين ، ليرى ما يكون ، فسار خلفه حتى اذا بلغ سماكا ، وقف على قرب منه ، وأرهف سمعه ، فسمعه يقول :

— أعطنى سمكا على بركة الله .

فناوله السمك ما طلب مشرق الوجه ، ففغر الغريب فاه من الدهشة ، وخطر له أن يفعل ما فعله ذلك الرجل ، فعاد الى المخبز ، واجف القلب ، يحس رهبة وقلقا ، وقال

فى نبرات خافتة ، كأنها آتية من أغوار بئر عميقة :

— أعطنى رغيفا على بركة الله .

فناوله الرجل الرغيف ، والابتسامة الحلوة ترف على شفثيه ، فأخذه وسار ، وهو حائر لا يدرى شيئا ، ثم اتجه الى جزار ، وقال له :

— أعطنى رطل لحم على بركة الله .

فأعطاه ما طلب ، فذهب الى فرن قريب وقال :

— اشو لى هذا على بركة الله .

وجلس ينتظر ، وحاول أن يفكر فيما رأى ، ولكن الجوع استبد به ، وعطل تفكيره ، فجعل يرنو الى ما حوله وهو فى شبه غيبوبة ، لا يدرى أنائم هو أم يقظان ! وقدم اليه الفران اللحم المشوى ، فأخذه شاكرا ، وذهب الى حديقة وأرقت الظلال ، تطل على نهر المدينة الصافى الذى ينساب فى وقار ، وتعد يلتهم طعامه . حتى اذا سكت صراخ بطنه ، جعل يتلفت حوله فى عجب ، لم يكن فى الحديقة البديعة غيره على الرغم من جمال الجو وروعة المناظر الخلابة ، وأعمل فكره ، ليعرف لذلك سببا ، ولكنه لم يهتد الى شىء .

وتمدد على الخضرة وشخص الى السماء ، وراح يفكر فيما مر عليه ، فتكشف لعينيه بعض ما كان مقلقا عليه ، اهتدى الى أنه هبط الى مدينة سعيدة ، لا تعرف النقود ، ولا المصارف ، ولا الصكوك ، ولا الديون ، ولا الهموم ، فعاش أهلها سعداء ، لا يتعاملون الا ببركة الله .

وظل فى رقدته ، واسترسل فى تفكيره ، فأحس رغبة
فى العودة الى المدينة السعيدة لينعم بها فيها من عجائب
وأسرار ، فنهض وغادر الحديقة الفتانة ، وراح يضرب فى
مسالك المدينة ، وقد نزلت بقلبه سكونة وأمن . وانساب
صوت المؤذن عذبا حنونا ، يهز المشاعر ويعبث بالقلوب ،
يؤذن بالعصر ، فقاد الناس المتاجر والأعمال ، وأقبلوا على
المسجد الكبير خاشعين ، يلوح فى وجوههم الايمان العميق .
تركوا البضائع والعروض فى أماكنها المفتوحة ، دون أن يفلتوا
دونها الأبواب ، فما كانت تجارتهم ؟ انها أموال الله ، تركوها فى
حراسة الله .

وأفترت الطرقات من الناس ، ولم يبق بها غيره ،
فسار الى المسجد الكبير ، وراح يصلى العصر فى اطمئنان
غريب ، كان كل ما حوله يخشع القلوب ، ويئد وساوس
الصدر ، ولأول مرة فى حياته يحس أن روحه صغبت ،
وانها حلقت وهامت ، حتى اتصلت بملكوت السماء ، وامتلأت
بالنور .

وقضيت الصلاة ، فارتفعت الأصوات تسبح بحمد
الله الرازق الوهاب ، ثم نهض الناس ، وراحوا يغادرون المسجد
الى دورهم ، أو الى الحدائق الممتدة على شاطئ النهر
الصافى ، الذى استمد صفاءه من صفاء النفوس ، كانت
صلاة العصر ايذانا بانتهاء ساعات العمل ، وابتداء ساعات
الدعة والهدوء .

وخرج من المسجد ، فألقى فتيات رائعات الحسن فى
ثياب بيض ، تحلين بأساور من الفل ، وقلائد من الورد .

كانت فتنتهن تبهر الأبصار ، وتجعل القلوب تخفق فى الصدور ،
فنظر اليهن فى ذهول ، فألقى كلا منهن تحمل ابريقا من بلور ،
به ماء زلال سائغ للشاربين ، فأحس رغبة فى الشرب ، فأتجه
انى فتاة كأنها من الحور العين ، يشمع من عينيهما بريق
ثان ، اخترق صدره ، ونزل بسويداء قلبه ، فرنا اليها فى
اعجاب ، فغضت من بصرها فى حياء ، فمد يده وتناول الابريق ،
فاحمرت وجنتاهما ، وهزها السرور ، وشرب منه وأعاده اليها
شاكرا ، ودار على عقبه لينصرف ، فاقترب منه رجل ، وهمس
فى رقة :

— لعلك غريب ؟

— نعم .

— انها أصبحت زوجك ؟

فأتسعت حدقتاه ، وقال فى دهش :

— زوجى ؟ !

— أجل زوجك ، انهن فتيات حان أوان زواجهن ، يحملن
ابريق السعادة على باب الله ، فى انتظار الزوج السعيد ،
فمن يشرب من يد احدهن كان ذلك اختيارا لها وقبولا منه ،
لتصبح زوجته .

فقال فى صوت خافت :

— وما مهرها ؟

— حسن معاشرتها ، خذها على بركة الله .

فلفته سعادة عارمة ، وسرت فى صدره نشوة ، ومد
يده ووضعها فى يدها ، وسار وهو مسرور ، لا يدرى أعلى
الأرض يمشى أم فى السماء يطير . انطلقا الى شاطئ النهر .

وراحا ينعمان بمشاهدة الغروب ، وفى صدريهما نشوة ، وفى
قلبيهما حب .

وجاء الليل ، وأرعى ستائره السود ، فتحرك حبه ،
وطغى وجدده ، فلف ذراعه حولها ، وضمها اليه ، وراح
بلثمها فى جنون . وتصرم الوقت وهو لا يدري ما يفعل . ولا الى
أين يتوجه ، فالتفت اليها وقال :

— الى أين نذهب انييت ليلتنا ؟

— تعال .

وسارت وسار الى جوارها ، حتى بلغا دورا تحيط بها
حدائق زهراء ، ينبعث منها ضوء شاعرى خافت ، يحرك المشاعر
فى الصدور . ووقفا أمام دار جميلة ، والتفتت اليه ، وقالت وقد
أشرق وجهها بابتسامة عذبة :

— هذه دارنا .

— دارنا ؟

— أجل ، كل هذه الدور أعدت للمتزوجين .

وتقدما حتى اذا ما اقتربا من باب الدار ، سمعا صوتا عذبا
يهمس :

— ادخلا على بركة الله .

فالتفتا ، فألقيا رجلا يبتسم لهما ابتسامة حلوة ، كادت تنير
لهما الطريق .

ودخلا الدار ، فاذا فيها ما يحتاج اليه الزوجان من متاع .
فقعدا يتناجيان ويتعانقان ، فغبرته السعادة ، وأحس احساس
النائم الغارق فى حلم لذيذ .

وانقضت الليلة كأحلى ما تكون ليلة ، وأشرقت الشمس ،

وطلع النهار ، وهو راقد فى سريرته نشوان ،
فدنت منه ، فجذبها اليه فى حنان ، فدفعته فى رقة ،
وقالت :

— هيا ، انهض .

— لماذا ؟

— لتذهب الى عملك .

— لن أخرج اليوم .

— بل لا بد أن تخرج .

— له ؟

— على من يعيش فى أرض الله أن يعمل .

— لن يضير المدينة السميدة شيئا لو لم أعمل اليوم .

— لو أن كل انسان قال ما تقول لتقوضت مدينتنا ، ولا ندك

صرح هنائنا .

— يوم واحد الى جوارك ، ثم أذهب الى العمل .

— لا . على من يعيش فى أرض الله أن يعمل من الصباح

حتى العصر ، فى تقديم خيرات الله ، الى عباد الله ، ثم يتمتع

بعد ذلك بما يشاء .

— ماذا أعمل ؟

— أى شىء يعود على الجماعة بالخير ، ازرع الأرض

... أخصد الحب .. أنسج الثياب .. اصنع ما تشاء

لتهكن الناس من أن يأكلوا من رزق ربهم ، وأن يعيشوا فى سعادة

وأمان .

وترك فرائشه وخرج ، وفيما هو فى طريقه ، راح يفكر

فيما يفعله ، تذكر أنه كان تاجرا ماهرا يبيع الناس أشياء

بأبسط الأثمان ، ليبنى الأرباح ، ويكدس الأموال ، ولكن

هنا لا بيع ولا شراء ، ولا أموال ، ولا أطماع . الكل يعتمدون على الله ، ويعيشون على بركة الله . وتذكر أنه كلما مر على صانع الزجاج أشتى أن ينفخ الزجاج مثله ، وأن يصنع الأواني والثوابير والأكواب ، فعزم على أن يعمل زجاجا . واستمر فى سيره ، ووقعت عيناه على قطعة كبيرة من الذهب ملقاة فى الطريق ، فحقق قلبه ، واتجه إليها وفى قلبه غبطة ، وتناولها هيمان ، ولكن لم يطل سعه ، فقد تذكر أن لا قيمة للذهب فى أرض الله ، فالتقى بها بعيدا دون اكتراث ، كما يلقي المارة بحجر يصادفونه فى عرض الطريق .

ومرت الأيام ، فصفت نفسه ، وشفقت روحه ، وانشرح صدره ، ولكن لم يبلغ ما بلغه أهل المدينة السعيدة من إيمان عميق . واعتاد أن يبعث الى زوجته زاد يومها عقب خروجه الى عمله ، وما كان يبعث لها الا ما يكفيهما ، وفى يوم من الأيام بينما كان عائدا الى داره ، رأى سمكا طيبا فاشتتهه نفسه ، فطلب من السمك أن يعطيه بعضا منه على بركة الله ، فأعطاه ما طلب .

ودخل على زوجته ، ودفع السمك إليها ، فقالت له فى انكار :

— ما هذا ؟

— سمك طيب .

— وماذا أحضرته ؟

— اشتتهه نفسى .

— ولكن عندنا قوت يومنا ، فما نفعل به ؟

— نبقيه الى الغد .

فأربد وجهها ، وبان فيه الفزع ، وصاحت فى لوعة :

— الغد ؟ ! يا لحظى العاثر ، انتهت أيام هنائى .

— ماذا تقولين ؟

— لقد جئت أمر ادا .

— ماذا فعلت ؟

— فكرت فى الغد ، واخترت طيبات الله ، ولا يكون المؤمن

مؤمنا حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده .

— أكفر عن ذنبى .

— هيهات . . ان معصيتك زلزلت جنبات مدينتنا السعيدة ،

أغضبت الخالق الذى نعتمد عليه ، لقد جرح تفكيرك فى الغد

إيماننا العميق بالله ، واتكالنا عليه .

ودنا منها مضطربا ، وقال فى صوت كفحیح الأفعى :

— وماذا أفعل ؟

— لا تستطيع أن تفعل شيئا ، انتهى كل شيء ، وقعت فى

الخطيئة الكبرى ، وحق عليك العذاب المهين .

— أى عذاب ؟

— العذاب الذى كنت فيه ، ستخرج من أرض الله مذموما

مدحورا .

فغطى وجهه براحتيه ، وراح يصيح فى جزع شديد :

— ويل لى . . ويل لى !

وأحس رأسه يدور ، وشعر بالأرض تهيد تحت قدميه ،

وبدوامة من الريح تصفر فى أذنيه ، وظل فى شبه غيبوبة ،
حتى اذا أفاق الى نفسه رفع راحتيه عن وجهه ، فوجد
نفسه فوق مؤذنة الجامع المهجور ، وفى صدره حيرة وقلق ،
وتذكر ما جرى له كما يتذكر حلما أفاق منه ، فهرع الى
نافذة المؤذنة ، التى تطل على المدينة العجيبة ، ولكنه لم
يجد نافذة ، كانت المؤذنة صماء كجميع المآذن ، فراح يلف
حولها يبحث وينقب فى جنون ، ثم نزل فى الدرج يصرخ
ويصيح ، حتى اذا بلغ أول الطريق ، اندفع الى المدينة ، يبكى
وينتحب ، ويدق صدره فى جزع شديد ، حزنا على الفردوس
المفقود .

—•••••—

وادی الأرزاق

اطرق يفكر مهموما ، فعلا وجهه عبوس ، وسرى فى صدره نبرم وضيق ، انه استورد بضاعة كان يطمع فى أن يجنى من ورائها أرباحا وفيرة ، فلما باعها لم يكن ربحه يتفق وما كان يحلم به ، وزاد فى ضيقه أن هذه ليست أول مرة تتفوض فيها آماله ، ويخيب تقديره ، أخفق مرات فى أن يحقق الأرباح التى كانت تتراءى له فى خياله قبل أن يقدم على صفقاته .

ولج فى التفكير ، فرأى رفقاءه الذين ربحوا أموالا كثيرة وما كانوا أكثر منه خبرة ، أو ألم منه بأسرار السوق ، فربا حزنه ، وزاد ألمه ، وأحس طعم الصاب فى فيه ، ودخلت عليه أمه وكانت عجوزا نالت منها السنون ، وجلست اليه ، فأتكرت منه عبوسه ، وحزرت سبب حزنه ، فقد كانت تعلم سبب تجربته وضيقه ، فأحست يدا قوية تهصر قلبها ، وقالت له توأمسيه ، فى صوت خافت حنون :

— روح عن نفسك يا بنى ، لا طائل من استسلامك للأفكارك ، فلن تجنى الا الهموم .

فرفع وجهه العبوس وغمغم :

— ما أمر الفشل !

فقالت أمه فى إيمان :

— بعد الضيق الفرج ، واننا والله الحمد فى سعة .
فقال فى حقى :

— لست أدرى لماذا أقفل أنا وينجح من دونى ؟ لا .
— أرزاق .

فقال فى ثورة :

— أية أرزاق ؟

— أرزاق تهبط من السماء يا بنى .

وهم بأن ينفجر فى ثورته ، ولكنه كبج جراح نفسه ، ونظر
الى العجوز المؤمنة من بين أهديه ، ورفت على شفثيه ابتسامة
سخريية ، فما كان من المؤمنين بالأرزاق التى تنزل من السماء .
ولاذ بالصمت العميق .



وفكر ، وأمعن فى التفكير ، حتى اذا ما خيل اليه أنه
اهتدى الى الخطأ الذى يضيع بسببه ما يرجوه من أرباح ،
اتخذ كل ما فى مقدوره لعلاج ذلك الخطأ ، ثم أقدم على صفقة
جديدة ، وقد تجددت ثقته فى أنه فى هذه المرة سيحقق ما يرتجيه
من أرباح .

ومرت الأيام والأمل يداعبه ، والأرباح الوفيرة تتراءى له ،
حتى اذا تمت الصفقة ، عاد اليه عبوسه ، فقد انتهت على
غير ما يشتهى ، ولم يحقق ما كان يرجوه من مكاسب ، وانزوى
فى غرفته مطاطيء الرأس مهموما ، وأقبلت عليه أمه العجوز
تحفف عنه وتواسيه ، وراحت تقول :

— لا يجنى الانسان الا ما كتب له .

فقال فى مرارة :

— اكتب على أن أجد الأشقى ؟

— أى شقاء ؟ أننا فى سعادة ، ادع الله أن يديمها علينا .

— لعلك تحسبين هذه الخيبة المتلاحقة سعادة !

— أننا بخير يا بنى ، أرح نفسك التى تضنيها بالباطل .

— ومن أين الراحة اذا كان الاخفاق حليفنا !

— من أنفسنا . لو أنك رضت نفسك على الرضا لعشت هائنا

سعيدا .

— كيف أرضى وأنا أرى من هم دونى ينالون ما يبغون ، وأنا

أشقى باجتهادى ؟

— قسمة .

— أصبح رفقائى يملكون الدور والقصور ، والشركات

والمنشآت ، وأنا لم أحقق حلما واحدا من أحلامى .

— أرزاق .

فقال فى ثورة ساخرة :

— لعلك تقصدين أرزاقا تهبط من السماء !

فقال فى ايمان :

— أجل يا بنى ، أرزاق تهبط من السماء ، لو رضيت بما

قسم لك كنت أغنى الناس .

— بل أشقى الناس ، هذه القناعة التى تبيرونها فى نفوسنا

هى بلوانا ، انها تورثنا الخنوع والاستسلام .

— انها البلسم الشافى ، الدرع الواقية التى تقابل بها القدر

الجبار .

— درع صنعت من أوهام ، لو أعرت نصيحتك أذنا

مصغية لنمت فى فراشى ، ورحت أرقب رزقى المنهمر من
السماء .

— لا يا بنى ، ما قلت لك أتعهد عن طلب الرزق .

— فماذا تقولين اذن ؟

— اعمل ، ورض نفسك على أن تجسد السعادة فى
عملك ، وعلى الرضا بما تجرى به الأقدار ، فليست بقادر على
تغيير ما كان .

فقال فى استكبار :

— انى قادر على ما أريد .

— كل ما تقدر عليه هو الاسترسال فى التفكير ، والاسراف
فى الحزن .

— انى قادر على أن أصنع نفسى بيدي .

— هيهات ، اجمع هواهيك ، واحشد قواك ، وافعل كل ما فى
طاقتك لتغيير ما كان .

— سأغير ما سيكون ، سأخلق مستقبلى بعزى ، وأصنعه
كيف أشاء .

— والله لن تجنى الا ما وعدت به فى السماء .

فقال فى تبرم :

— ولن أومن بهذا حتى أعرج الى السماء لأرى منبع
الأرزاق .



ودخل فراشه ، وأسلم جنبه للرقاد ، وأسبل عينيه ،
ولكن النوم جافاه ، كان ذهنه يفكر فيما جرى بينه وبين أمه
من حوار ، وفكر في الأرزاق التي تهبط من السماء ، فارتسمت
على شفثيه ابتسامة هازئة ، وان حسد في قرارة نفسه أمه
على إيمانها الذي يدها بالراحة والاطمئنان ، وظل فريسة لأفكاره ،
حتى غلبه النوم فنام .

راح في سبات ، فرأى نفسه فيما يرى النائم يسير في
السماء ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، وإذا بملك كريم
لاح لعينيه ، وقال في رفة :

— عم تبحث هنا ؟

— عن رزقي .

فأشار الملك بأصبعه بعيدا وقال :

— هناك في وادي الأرزاق .

فانطلق يهرول ، ثم أخذ يمدو حتى أشرف على واد هائل ،
لا يبلغ البصر مداه ، تفجرت فيه الأرزاق كينابيع الماء ،
وكانت الينابيع تتفاوت في قوة اندفاعها ، فبينما بعضها ينبثق
في غزارة ، إذا بعضها الآخر تسيل منه الأرزاق كـرذاذ
الماء .

ووطف ينظر خائف القلب ، مكروب الأنفاس ، وقد لاح
في وجهه الدهش ، وبقي في مكانه لا يريم قلقا مضطربا ، حتى
إذا هدا روعه ، انحدر كالعاصفة الى وادي الأرزاق ، وتد
أرهفت منه الحواس ، وجعل يجوس خلال الينابيع المتفجرة ،
ينقب عن رزقه في جنون .

جعل يعدو هنا وهناك ، يبحث وينقب ، وقد علاه البهر ،
وأخيرا وقف أمام ينبوع أوحى اليه أنه رزقه ، فنظر اليه فى تبرم
وضيق ، كان الرزق يتدفق منه فى اعتدال ، فما كان كالأرزاق
المنبثقة فى قوة وغزارة ، وما كان كالأرزاق الواهنة التى تسيل
قطرات .

ومد بصره الى الينابيع الفوارة ، وظل يديم النظر اليها .
ولم يعر الينابيع الضحلة أدنى التفات ، فأحسن كأن عقدة عقدت
فى صدره فضيقته ، وأبصرة الحسد تنتشر فى جوفه فتضئيه ،
فراح صدره يرتفع وينخفض فى حنق شديد .

وتمنى أن يجد فى هذا السوادى الهائل العجيب قدوما
ومسارا يوسع بهما الثقب الذى يتدفق منه رزقه ، وما
أن خطرت هذه الأمنية على باله ، حتى ألغى القنوم والمسار
بين يديه ، فأتلج صدره ، وهرع الى رزقه نشوان ، فما
هى الا دقائق حتى يتفجر رزقه تفجرا يفوق كل ما فى وادى
الأرزاق .

ووضع المسار فى ثقب الينبوع ، ثم طفق يدق عليه
بالقدوم فى قوة وعزم ، وتفصد منه العسرق ، ونال منه
التعب ، ولكنه لم يلتفت الى تعبته ، فما هى الا دقائق
أخرى حتى ينتهى كل شئ . واستجمع قواه ، ودق على
المسار دقة هائلة ، فكسر المسار فى الثقب ، فجعل يحاول
جاهدا أن يخرج المسار المكسور وهو مرعوب ، وأخفقت
محاولاته ، فأحس خوفا شديدا ، وقلقا يلفه ، ورهبة تستولى
عليه ، فقد حبس رزقه بيده ، ولم يعد له ينبوع فى وادى الأرزاق ،
وخطر له أن الرزق لا ينحبس الا اذا مات صاحبه ، فأتنع نفسه
أنه قد مات .

وهب من نومه مذعورا ، وقد سرت في بدنه رعسدة :
ودب الرعب في جسمه دبيب النمل ، وجلس في فراشه يرتجف
من الخوف ، يحس جفانها في حلقه ، وراح يمرر يده على
وجهه ، ثم يتحسس جسمه ، ليتنع نفسه أنه ما زال حيا يرزق ،
وأخذت رهبته تنفشع رويدا رويدا ، حتى إذا ما اطمأن قليلا ،
راح يفكر في حلمه ، فعادت اليه رهبته ، وفكر فيما يفعله
لو حبس رزقه عنه ، فزبا خوفه ، وزاد اضطرابه ، ونهض من
فراشه يجوس خلال داره ليهدىء قلبه النائر المرعوب .

راح يتلفت حوله فرأى بديع الرياش الذي أثث به داره ،
ولمح متعدا وثيرا ، فاتجه اليه ، وغاص فيه ، وراح خوفه ينقشع ،
حتى إذا هدأت نفسه ، وزال خوفه ، فكر في أمره ، فمشعر لأول
مرة بأنه سعيد ، وأنه في نعيم .

—٢٥٢—

الفهرست

٥	خطيئة ودم
٢٥	ابن الذبيحين
٤٩	موسى
٩٣	داود
١٢٤	سليمان وبلقيس
١٤٦	اسنتر
١٧٨	سسالومي
١٩٥	نداء من السماء
٢٠٧	هساروت وماروت
٢٢٢	رابعة العدوية
٢٣٣	ارض الله
٢٤٦	وادى الأرزاق

مؤلفات

عبد الحميد جوده السمحار

—١٤٣٥—

الطبعة الاولى		
مايو سنة ١٩٤٣	قصة	احمسن بطل الاستقلال
يوليو سنة ١٩٤٣		ابو ذر الغفاري
مايو سنة ١٩٤٤		بلال مؤذن الرسول
ديسمبر سنة ١٩٤٤	مجموعة اقايص	في الوظيفه
يوليو سنة ١٩٤٥		سعد بن ابي وقاص
فبراير سنة ١٩٤٦	مجموعة اقايص	هزات الشياطين
اكتوبر سنة ١٩٤٦		ابناء ابي بكر الصديق
فرج بناير سنة ١٩٤٧	مع محمد محمد	الرسول (حياة محمد)
سنة ١٩٤٧	رواية	في قافلة الزمان
مايو سنة ١٩٤٨		اهل بيت النبي
سنة ١٩٤٩	قصة	اميرة قرطبة
مايو سنة ١٩٥٠	قصة	النقاب الازرق
سنة ١٩٥١		المسيح عيسى بن مريم
١٩٥١		محمد رسول الله (مترجمة)
سنة ١٩٥٢		قصص من الكتب المقدسة
سنة ١٩٥٢	رواية	الشارع الجديد
سنة ١٩٥٣	مجموعة اقايص	صدي السنين
سنة ١٩٥٤		حياة الحسين
سنة ١٩٥٤	قصة	قلعة الابطال
ديسمبر سنة ١٩٥٧	قصة	المستنقع
يناير سنة ١٩٥٨		ام العروسة
مارس سنة ١٩٥٨	قصة	وكان مساء
يوليو سنة ١٩٥٨	قصة	أذرع وسيقان
سبتمبر سنة ١٩٥٩	رواية	الحصاد

الطبعة الاولى

سنة ١٩٦١	القصة من خلال تجاربي الذاتية
اكتوبر سنة ١٩٦٢	جسر الشيطان
ديسمبر سنة ١٩٦٣	ليلة عاصفة
يناير سنة ١٩٦٤	النصف الآخر
يونيو سنة ١٩٦٥	السهول البيض
يوليو سنة ١٩٦٧	وعد الله واسرائيل
يناير سنة ١٩٧٢	عمر بن عبد العزيز
اكتوبر سنة ١٩٧٢	الحفصيد
فبراير سنة ١٩٧٤	هذه حياتي
ابريل سنة ١٩٧٤	ذكريات سيمائية
١٩٨٢	كشك الموسيقى
١٩٨٢	خفقات قلب
١٩٨٣	صور وذكريات
١٩٨٣	الاسراء والمعراج
ابريل سنة ١٩٨٤	عدو البشر (سيناريو وحوار)
ابريل سنة ١٩٨٤	النمسر (سيناريو وحوار)
ابريل سنة ١٩٨٤	الله اكبر (سيناريو وحوار)
١٩٨٥	ابطال الجزيرة الخضراء
١٩٨٥	ثلاثة رجال في حياتها
١٩٨٥	مسجد الرسول
ابريل سنة ١٩٨٦	فات الميعاد (سيناريو وحوار)
ابريل سنة ١٩٨٦	آدم الى الابد (سيناريو وحوار)

القصص النبوية

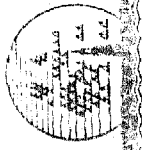
(للأطفال)

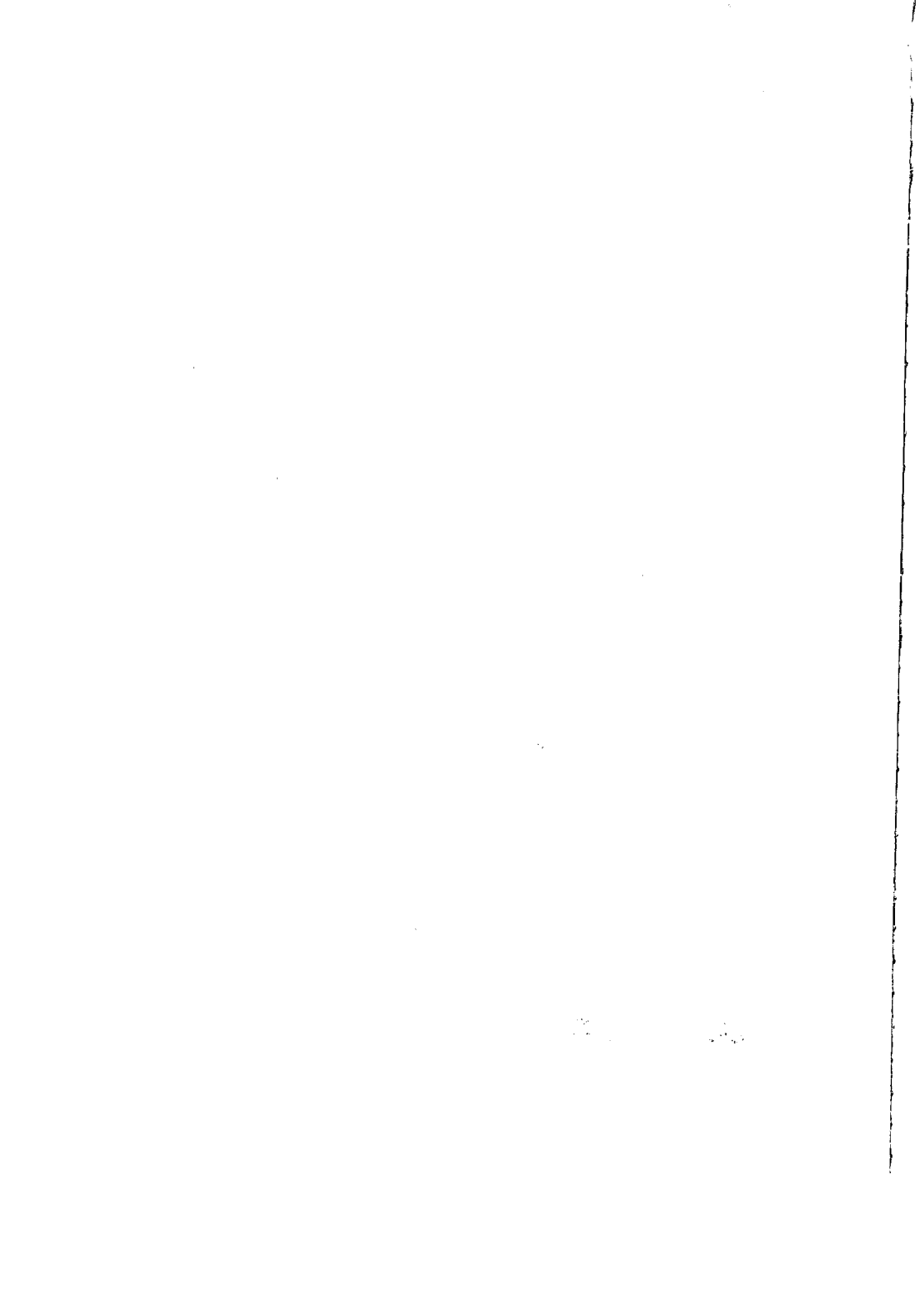
في ١٨ جزءا	قصص الانبياء
في ٢٤ جزءا	قصص السيرة
في ٢٠ جزءا	قصص الخلفاء الراشدين
في ٢٤ جزءا	العرب في أوروبا

محمد رسول الله والذين معه

في عشرين جزءا

- | | | |
|-------------|-----------------------|------|
| أكتوبر ١٩٦٥ | ابراهيم ابو الانبياء | ١ - |
| مارس ١٩٦٦ | هاجر المصرية أم العرب | ٢ - |
| سبتمبر ١٩٦٦ | بنو اسماعيل | ٣ - |
| فبراير ١٩٦٧ | العدنانيون | ٤ - |
| مايو ١٩٦٧ | قريش | ٥ - |
| يولية ١٩٦٧ | مولد الرسول | ٦ - |
| أكتوبر ١٩٦٧ | اليتيم | ٧ - |
| يناير ١٩٦٨ | خديجة بنت خويلد | ٨ - |
| مارس ١٩٦٨ | دعوة ابراهيم | ٩ - |
| مارس ١٩٦٨ | عام الحزن | ١٠ - |
| سبتمبر ١٩٦٨ | الهجرة | ١١ - |
| نوفمبر ١٩٦٨ | غزوة بدر | ١٢ - |
| يناير ١٩٦٩ | غزوة أحد | ١٣ - |
| مايو ١٩٦٩ | غزوة الخندق | ١٤ - |
| يونية ١٩٦٩ | صلح الحديبية | ١٥ - |
| نوفمبر ١٩٦٩ | فتح مكة | ١٦ - |
| نوفمبر ١٩٧٠ | غزوة تبوك | ١٧ - |
| مايو ١٩٧٠ | عام الوفود | ١٨ - |
| نوفمبر ١٩٧٠ | حجة الوداع | ١٩ - |
| ديسمبر ١٩٧٠ | وفاة الرسول | ٢٠ - |





مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجمالا

الثنى ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه